Blue #22

٥٤

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

ع شاقل

لعدد
ع والخمسون
ن اول ـ ١٩٨٤

- وحدة منظمة التحرير الفلسطينية كفيلة بلجم الركض الاردني نحو كامب ديفيد .
- استقلالية القرار الفلسطيني
- يجب توفير ضمانات النجاح لدورة المجلس الوطني السابعة عشرة
- المقتطعات من اجور عمال المناطق
- " سلطة العاملين في اسرائيل
- اضواء على تجربة التوجه الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
- بعض جوانب ازمة السكن في الضفة الغربية .
- قوة الماركسية ـ اللينينية الخلاقة .
- محاولة لتحليل الهيكلية الجديدة للمجتمعات العربية .
- الهندسة الوراثية ، تطورها ، امكانياتها ، احتمالاتها .
- نريد نقدا علميا

تحرك جديد نحو كامب ديفيد

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب

للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المسؤول
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB

For human culture and progress

Editor -
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بسام الصالحي — تيسير عاروري
جميل السلحوت — صالح زقوت
عادل الزاغة — عمر حمش
محمد البطراوي — محمود الشيخ

المسؤول الإداري: يحيى شقير

صف وصناج: حمير أبو غوش

المراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

الاشتراكات:

بالبريد أو ما يعادل عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

الهدف
العدد (٥٤) السنة (٥) تشرين اول ١٩٨٤م

كلمتنا

- وحدة منظمة التحرير الفلسطينية كفيلة بلجم الركض الاردني نحو كامب ديفيد ٢

سياسة

- اسعد الاسعد تحرك جديد نحو كامب ديفيد ٤
- نعيم الاشهب استقلالية القرار الفلسطيني ٨
- ابو وديدة يجب توفير ضمانات النجاح لدورة المجلس الوطني السابعة عشرة ١٢
- محمد شاهين الادارة الامريكية "تسيس" الرياضة ٩٧

دراسات وابحاث

- تيسير العاروري المقتطعات من اجور عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل ٢٠
- د. سمير عبدالله اضواء على تجربة التوجه الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٣٧
- عادل الراعة بعض جوانب ازمة السكن في الضفة الغربية ٤٨
- غريشا فيليوف قوة الماركسية ـ اللينينية الخلاقة ٦٢
- صالح الحاجي ـ الهاشمي الطرودي محاولة لتحليل الهيكلية الجديدة للمجتمعات العربية ٧٣
- د. صابر محمود حسن الهندسة الوراثية، تطورها امكانياتها احتمالاتها ٨٨
- موسى علوش في اشعار فوزي البكري ١١٩

مداخلات

- جميل السلحوت نريد نقدا علميا ١٢٠
- حسن حميد البرغوثي راس روس ١٢٣

قصة

- اسامة محسن العيسة عشق وسنابل ١٠٢
- صافي صافي الصعود ثانية
- خالد فلاح انتصار ١٠٨

شعر

- ماجد ابو غوش شهداء ١١٢
- محمد مصطفى دله ماذا سيضيع ١١٤

شهريات

- محمد البطراوي رسائل وردود ١٢٦
- امداء ثقافية ١٢٨

Digitized by Birzeit University Library

وحدة منظمة التحرير كفيلة بلجم التركيا

الالتحاق رسميا وبصورة مباشرة بركب "كامب ديفيد" والانقضاض على حق منظمة التحرير الفلسطينية الشرعي في وحدانية تمثيل الشعب الفلسطيني تبرز في مقدمة الاهداف التي يرمي اليها القرار الاردني الاخير باعادة العلاقات الرسمية مع مصر .

وقد مهد لهذا القرار مجموعة من المقدمات على رأسها تلمس أقطاب الرجعية العربية لخطر التبدّل في موازين القوى لصالح الشعوب العربية اثر النجاح في افشال المشروع الانعزالي في لبنان وارغام القوات الامريكية على الرحيل منه، واثر الفشل في جر منظمة التحرير الى طريق مشروع ريغان وكامب ديفيد وعلى اثر التأييد الواسع الذي لقيه المشروع السوفييتي لعقد المؤتمر الدولي .

ان خطوة النظام الاردني هذه جاءت منسجمة مع رغبة ادارة ريغان في انعاش سياستها في المنطقة كما انها جاءت استكمالا لخطوات النظام الهاشمي في منازعة منظمة التحرير تمثيلها للشعب الفلسطيني كاحياء البرلمان الاردني وتصعيد اجراءاتها ضد اوساط وفئات مختلفة من ابناء المناطق المحتلة .

وكان واضحا ان النظام الهاشمي استفاد في خطوته الاخيرة من ثغرتين بارزتين الاولى تتمثل في تفكك جبهة الدول المعادية للامبريالية في المنطقة حيث تتسارع خطوات النظام الليبي ابتعادا عن دول الصمود

Digitized by Birzeit University Library

ـــــــة التحرير الفلسطينيـــة
ـــــــض الأردني نحو كامب ديفيد

كما سمح الاستعداد السوري لقبول الوساطة الامريكية، والتعاون مع الموفد الامريكي باضفاء المصداقية مجددا على الدور الامريكي في المنطقـــة.

والثاني في استمرار الحالة الراهنة من التشتت في صفوف منظمة التحرير وعدم النجاح حتى الان في انجاز الوحدة الشاملة، التي دعت اليها مقررات عـــدن ـ الجزائـــــر.

ومهما كانت "نورويه" الشعارات التي تطلقها اطراف التحالف الوطني في تبرير موقفها المناهض لاتفاقات عدن ـ الجزائر فانها في الواقع تحولت الى المسؤولة الاولى عن استمرار حالة التشتت حتى الان في صفوف المنظمة، وهي بذلك تفتح مجالا واسعا لزيادة تأثير وتدخل اطراف الرجعية العربية في منظمة التحرير كما تقدم المبرر لتغذية المواقـــف الاستسلامية والمهادنة لدى بعض الاوساط الفلسطينية والتي تمني النفس بنتائج ايجابية من خلال زيادة التنسيق مع النظام الاردني والحجيـح المستمر الى عاصمتـــــه!

ان الاجراء الاردني الاخير ينبغـي ان يكون حافزا من اجل تذليـل كل العقبات التي تحول حتى الان من التئام الصف الوطني الشامل، وتفرض تجاوز العديد من الثغرات والتقدم بوحدة صف حقيقية من اجـل حماية الصفة التي تجسدها منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطينـــــي.

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

تحـــرك جَديد نحو كامب ديڤيد

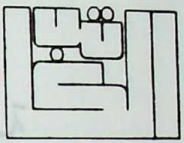

أسعد الأسعد

مر عامين على الغزو الاسرائيلي للبنان وما نجم عنه من احتلال ومذابح، التي كـــان ابرزها مذبحة صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينين واللبنانيين العزل، وعلى الرغم من مشاركة الادارة الاميركية لحلفائها الاستراتيجيين ولاذنابها من الرجعيين العرب في هذا الغزو فاننا نستطيع الجزم وبثقة تامة أن الامبريالية وشركائها واذنابها لم يفلحوا بتحقيق اهدافهـــم الاجرامية التي وضعوها ، على الرغم من تواطؤ الانظمة الرجعية العربيـة مـع هـــذا المخطط ومما لا شـك فيـه ان تواطـؤ الانظمـة الرجعية واليمينيـة العربية ومباركتهـــا للمخطط الامبريالي الاسرائيلي ضد لبنان وضد الشعب الفلسطيني عبر عن مصالحها الطبقية الحقيقية التي طالما غلفتها بشعارات ديماغوجية . هذه المصالح التي لم تعد تربطها بالمصالح الحقيقية للشعوب العربية اى رابـــــط .

واذا كان تطور الاحداث في لبنان، قد دفع بالقوات الاميركية للهرب بجلدها، فان نفس المصير ينتظر القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني المحتل، نتيجة تصاعد المقاومة اللبنانية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي هنـــاك .

ان رهان الادارة الاميركية على القوات الاسرائيلية ،وسقوط حكومة اسرائيل في "المستنقع" اللبناني_على حد تعبير حكام اسرائيل_أدى الى السقوط الاقتصادى الذى تعاني منه اسرائيل في الوقت الراهن، بشكل سوف يؤ دى الى الانهيار الكامل ان لم تثب حكومة اسرائيل الى رشدها وتدرك الاسباب الحقيقية لمشاكلها الاقتصادية والسياسية،

Digitized by Birzeit University Library

والمتمثلة في استمرار احتلالها للارض العربية، ومصادرة الحق الفلسطينـــي .

كما ان اصرار الادارة الاميركية على تجاهل الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، والبحث عن بوابات جديدة للدخول الى الدول العربية، وزيادة الضغط عليها، قد ينجح الى حين، الا أن ذلك لن يدوم طويلا، فالسياسة الاميركية المعادية للشعوب العربية، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني باتت موقفا استراتيجيا، يعتبر من أهم معالم السياسة الاميركية

وان كانت الضربة القوية التي اوقعتها المقاومة اللبنانية بقوات المارينز والقوات الفرنسية قد أجبرت هذه القوات على اخراج ما تبقى منها، فان السياسة الاميركية لم تفقد الامل في امكانية الوصول الى هدفها من بوابة اخرى هي بوابة البحر الاحمر، بالاعتماد على عملائها في المنطقة العربية، الامر الذى دفع النميرى الى الدعوة لعقـد مؤتمر دول البحر الاحمر، تمهيدا لاقامة حلف جديد يكون بمثابة ركيزة اساسية للسياسة الاميركية في المنطقة، فاذا كانت الاحلاف المشبوهة في الخمسينات لم تنظل على الشعوب العربية في حينة فكيف ستتطلى أحلاف الثمانينـــات .

ان من يعتقد بأن الادارة الاميركية قد توقفت عن مؤامراتها يقع فيوهم كبير، واذا كان الصمود السورى اللبناني الفلسطيني قد أفشل الاهداف الامبريالية في لبنان، وقطع الطريق على بعض أنظمة اليمين الرجعي للدخول في حلقات مشاريع الادارة الاميركية، فان هذا لم يوقف الادارة الاميركية وحكام اسرائيل في البحث عن بدائل، من هنا كان التوقيت والتزامن بين اعادة العلاقات الاردنية ـ المصرية، وحديث ريغان عن مشروعه سيء الصيت، فليس صدفه تزامن القضيتين في هذا الوقت بالذات، فالمعروف ان مبادرة الاتحاد السوفييتي بعقد مؤتمر دولي لحل مختلف قضايا الشرق الاوسط، لاقت ترحيبا واسعا من قبل مختلف دول العالم، ولم تعارضها سوى الادارة الاميركية، وحكام اسرائيل، ولقد قلنا في حينه أن الموافقة العربية على المبادرة السوفييتية لا تكفي لتحقيقها، بل يجب النضال الحازم والمثابر من أجل فرض هذه المبادرة، وقلنا وقتها أننا غير واثقين في صدق النوايا العربية فيما يتعلق بهذا الجانب، فجاءت خطوة النظام الاردني لتقطع الطريق على المبادرة السوفييتية ولتؤكد ما ذهبنا اليه، من أن الادارة الاميركية لم تفقد الامل بعملائها وأصدقائها في المنطقة، فها هي تستطيع الاعتماد عليهم تماما، وفي نفس الوقت تنفذ سياستها المعادية للشعوب العربية، ومن جهة اخرى، فقد كان لاتفاق عدن الاثر الكبير على اعادة ثقة الجماهير الفلسطينية والعربية بالمستقبل، وبامكانية الخروج من الازمة التي تعانيها منظمة التحرير الفلسطينية، وقلنا في مرات سابقة، اننا نخشى من قيام بعض الانظمة العربية بخطوة او مبادرة او عقد مؤتمر قمة او أي تحرك آخر تتمخض عنه قرارات تعرقل اتفاق عدن وتفشله، ولعل خطوة النظام الاردني، تتوافق وما ذهبنا اليه، فهي اضافة الى كونها خروج على قرارات مؤتمر القمة العربي، تشكل سابقة خطيرة في مستقبل التضامن العربي نفسه. ومع تأكيدنا على أن العلاقة كانت قائمة في مضمونها، وأن ما عاد لا يعدو الشكل الرسمي الا

Digitized by Birzeit University Library

أن قيام الاردن بهذه الخطوة وفي هذا الوقت بالذات يدفعنا الى التأكيد على أن هناك رياح جديدة قديمة تهب على المنطقة ،كامب ديفيد بشكل جديد ، وتسمية جديدة ، غير أن ذلك يدفعنا الى التذكير بالحرب التي شنها حكام اسرائيل على الشعبين الفلسطيني واللبناني بعد التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ، ويعزز هذا الرأى نجاح التوجه الفاشي متمثلا في الحاخام كهانا وصعود كتلة النهضة لتحتل المركز الثالث بعد المعراخ والليكود في الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة ، فان كان حكام الاردن يعتقدون بأن بالامكان تطبيق نموذج سيناء على الضفة الغربية ،فان ذلك ـ غير وارد ـ اذا اعتبرنا أن نموذج سيناء مثال يحتذى. خاصة في وقت تتعالى اصوات في اسرائيل تطالب ليس فقط بضم الضفة الغربية وانما تتطلع الى شـــرق الاردن .

لقد اتضح الان ان النظام الاردني اعتمد الخيار الامريكي بشكل لا يقبل الشك ، الامر الذى يستدعي اجراء مراجعة دقيقة لمواقف اى جهة ـ وخاصة اذا كانت فلسطينية ـ من هذا النظام ، اذ يجب النظر الى اعادة العلاقات الاردنية المصرية بمنظار ما وراء ذلك وماذا يعني هذا الموقـــف .

ان على النظام الاردني ان يدرك ان الطريق الى الضفة الغربية ،لن يمر عبر كامب ديفيد ومشتقاته ، بل عبر الصمود في وجه المخططات الرامية الى تركيع الشعوب العربية، والغاء حقوقها القومية ،وعليه ، فاننا نرى الطريق الى تحقيق طموحاتنا القومية ، وأهدافنا الوطنية لن يتأتى بغير الوحدة الوطنية ، وفرز جبهة الاصدقاء من جبهة الاعداء ، وعدم الرضوخ للابتزاز الامريكي ، ولقد علمتنا التجارب الطويلة ، ان طريق التنازلات ليس له آخر، ومن يسقط مرة ، يسهل عليه السقوط مـــــرات .

ان الضجة الكبيرة التي تفتعلها أجهزة الاعلام المرتبطة بالسياسة الامبريالية في المنطقة تحاول التركيز على قرب التوصل الى اتفاق بين سوريا واسرائيل ولبنان للانسحاب من لبنان حيث تتحدث هذه الوسائل الاعلامية عن قيام الادارة الامريكية ممثلة بمبعوثها ميرفي بدور الوسيط ان الرد السورى على هذه المحاولات لتشويه موقف سوريا ،يجب أن يأتي عبر الموافقة على عقد المجلس الوطني الفلسطيني والقبول بوساطة حكومتي اليمن الديمقراطي والجزائر، تمهيدا لاعادة اللحمة الى كافة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها المختلفة ، ومن ثم تصفية الاجواء بين سوريا ومنظمة فتـح وتوقف التحالف الوطني عن كيل الاتهامات والشتائم لاطراف التحالف الديمقراطي ، حتى تتمكن هذه القوى مجتمعة من اعادة بناء جبهة الصمود والتصدى على قاعدة اكثر صلابة وأكثر جدية للصمود والتصدى الحقيقي ، والوقوف في خندق واحد مع كافة اطراف جبهة الاصدقاء في عالمنا وفي مقدمتهم الاتحاد السوفييتي وبقية دول المنظومة الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم في عالمنـا .

ان المهمة العاجلة امام سوريا للرد على التحرك الامريكي الجديد في المنطقة ،يتمثل في اعادة النظر في موقفها من عقد المجلس الوطني واتاحة الفرصة بل وتمكين كافة الاطراف الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

بالتوقيع على اتفاق عدن والذهاب الى المجلس الوطني في وقت قريـــــب .

اننا ندرك أن الادارة الاميركية ومعها الانظمة الحليفة والمتذيلة في المنطقة ،تدرك أن الموازين بدأت تميل لغير صالحها ، فتحركت لقطع الطريق امام أى تقدم في غير صالح مخططاتها ، ولقد علمتنا التجربة أيضا ، انه كلما لاح في الافق خيط أمل لتقدم ما ، طلعت علينا الانظمة العربية بخطوة تهدم من خلالها ما تم التوصل اليه ،بل ان الانظمة العربية ، تلعب باستمراردورا رئيسيا في تقديم الحلول للادارة الاميركية بل ولحكام اسرائيل للخروج من مآزقها ، من هنا فان الوقت قد حان ، لتدرك كافة اطراف حركة التحرر العربية ، والحريصون علـى مستقبـل الشعـوب العربيـة . ان الطريـق الـى وقـف وتعطيـل المخططـات الاميركيـة لـن يتأتـى الا بالوحـدة الوطنيـة وادراك حقيقـة وأبعـاد المعركـة التـي تخوضهـا الادارة الاميركيـة وحلفائهـا ضـد القضايـا العربيـة عامـة ، وضد الشعب الفلسطيني وقضيته الاساسية خاصة. ولعل في التجربة اللبنانية خير دليل على امكانية دحر المحتلين، واحباط مخططات الامبريالية، واعوانهم ، رغم شراستهم وحقدهم الفاشي والذى اوصلهم الى ارتكاب مجزرة صبرا وشاتيـــــلا .

Digitized by Birzeit University Library

استقلالية القرار الفلسطيني

بقلم : نعيم الاشهب *

ازداد الجدل خلال ازمة منظمة التحرير الفلسطينية الحالية ،حول استقلالية القرار السياسي الفلسطيني .وتراوح هذا الجدل بين تصوير هذه الاستقلالية على نحو من الانغلاق والتقوقع ، وبين انكار هذه الاستقلالية اصلا .

واذا كانت هذه المفاهيم تعيش وتتصارع قبل نشوء ازمة منظمة التحرير المالية بوقت طويل ، فانها تكتسب الان طابعا حادا وتأتي في اساس مواقف سياسية يمكن ان تحدد مستقبل الوجود نفسه لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ان الاساس الموضوعي للقضية الفلسطينية يجعل اتجاهات الانغلاق والتقوقع ضربا من الانتحار السياسي. فالمؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، منذ وعد بلفور، لم تستهدف فقط الشعب الفلسطيني ، بل استهدفت ومنذ البداية مجموعة شعوب المشرق العربي ومنع وحدتها وقد تأكد هذا المرمى للمؤامرة بعد قيام دولة اسرائيل بنوع خاص. فلم يكن العدوان الثلاثي ضد مصر عام ١٩٥٦ بسبب تأكيدها لحقوق الشعب الفلسطيني في المقام الاول ، بل قبل ذلك بسبب تمردها على ارادة الامبرياليين واحتكاراتهم ، بتأميمها لقناة السويس، وكسرها احتكار الغرب لتوريد السلاح .وكذلك الحال بالنسبة لعدوان ١٩٦٧ الاسرائيلي المدعوم دعما كاملا من واشنطن . ان هذا يؤكد ان جبهة اعداء الشعب الفلسطيني هي من الاتساع والقوة بحيث لا يستطيع التصدى لها بنجاح بقواه الخاصة بمعزل عن نضال الشعوب العربية ولا سيما المجاورة.ان قومية القضية الفلسطينية تنبع اساسا من كونها جزءا من قضية تشمل الشعوب العربية المجاورة على الاقل .نشأت عن تآمر الامبريالية ـ الصهيونية ضدها مجتمعة ، وحشدت لذلك من القوى ما يتجاوز كثيرا من حاجات التآمر ضد الشعب الفلسطيني بمفرده .

* عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

وفي الحقيقة، فان شعبنا الفلسطيني قد توصل ،منذ امد طويل، بتجاربه البالغة الغنى والباهظة الثمن، الى ادراك عدم قدرته أن يدحر بامكاناته الخاصة جبهة اعدائه وينتصر عليها، وينتزع حقوقه الوطنية العادلة .وقد كانت انتصارات حركة التحرر العربية واخفاقاتها تنعكس بقوة على حالة حركة التحرر الوطني الفلسطينية، وعلى المزاجية الكفاحية للجماهير الفلسطينية، رغم انه من الخطأ النظر الى هذه المسألة باعتبارها حقيقة ثابته ،لم تعرف حالة من التطور والتغيير المتصلـــة .

واذا كان هذا يمس علاقة الشعب الفلسطيني بالشعوب العربية المجاورة فان حركة تحرره، شأنها شأن اية حركة تحرر وطني في عصرنا ،لم يعد ممكنا ان تنجز اهدافها بمعزل عن دعم ومساندة جبهة الشعوب المعادية للامبريالية والعدوان، وطليعتها المنظومة الاشتراكيـــــة .

ولكن بالمقابل ، فان نفي استقلالية القرار السياسي الفلسطيني ،لا يقل خطورة عن اتجاه الانغلاق والتقوقع .فتحت غطاء "قومية" القضية الفلسطينية، سعت الانظمة الرجعية العربية، على الدوام، لفرض هيمنتها على الحركة الوطنية الفلسطينية وصولا الى ضربها وتصفيتهـــــا .

ان اقسى واخطر النكسات التي عرفتها الحركة الوطنية الفلسطينية قد ارتبطت بتخلي القيادة الفلسطينية السابقة عن هذه الاستقلالية. هكذا كان الحال عام ١٩٣٦، عندما رضخت هذه القيادة لضغوط الملوك والحكام العرب، الذين تدخلوا بايعاز من بريطانيا، لكسر الاضراب السياسي الذى دام قرابة ستة شهور واربك المحتلين البريطانيين، هذا الاضراب الذى وصفه جواهر لال نهرو، في كتاباته، بأنه اطول اضراب سياسي في التاريخ؟ وهكذا كان الحال ايضا عندما تخاذلت تلك القيادة العاجزة عن قيادة الشعب الفلسطيني في ادق ظروف المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية التي استهدفت تشريده، وسلمت الامر للحكومات العربية الرجعية المجاورة، والتي عملت ـ تحت ستار تحرير فلسطين ـ على شل ارادة شعبها ومنعه من تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة بموجب قرار الامم المتحدة ١٩٤٧.

وغني عن القول انه لا يمكن التنازل عن استقلالية القرار السياسي الفلسطيني لصالح دولة عربية دون اخرى. فاذا ما استبيح من دولة عربية فسيغدو مستباحا من بقية الدول العربية الاخرى، مأخوذ في الحسبان ان غالبية الدول العربية اليوم هي رجعية ويمينية وغالبيتها متورطة في التآمر ضد القضية الفلسطينية. ومن الوسائل التي يراد بواسطتها نسف شرعية منظمة التحرير وتمثيلها لشعبنا الفلسطيني، مؤامرة تفويض حكام الاردن للتفاوض نيابة عن منظمة التحرير، وهو ما تصر عليه واشنطن بنوع خـــاص .

وفي اطار التنكر لاستقلالية القرار الفلسطيني يساق، احيانا ،الادعاء بأن هذا البلد العربي او ذاك قد ضحى كثيرا في سبيل القضية الفلسطيني، اى بمعنى ان له دينا في عنق هذا الشعب يعطيه الحق بالمشاركة في صنع القرار الفلسطيني، ان لم يكن الوصاية عليه.

Digitized by Birzeit University Library

حتى السادات ، برر توقيعه الاتفاقية الثانية الخاصة بالقضية الفلسطينية ، من اتفاقيتي كامب ديفيد بأن مصر قد ضحت الكثير من اجل القضية الفلسطينية. وبناء عليه اعطى لنفسه حق التصرف بهذه القضية والتفريط بهـــــا .

ان هذا الطرح الضيق الافق ، والرجعي ، بنفس المقدار يتناول المعركة ضد التحالف الامبريالي ـ الصهيوني مجزأة ومعزولة بحلقائها عن بعضها البعض. ولو سلمنا بهذا المنطق الرجعي ، فان الصورة تبدو معكوسة تماما . فان الشعب الذى من حقه ان يزعم انه قدم ، وما يزال ، اكثر من سواه ، في معركة شعوب المشرق العربي ضد مؤامرة التحالف الامبريالي ـ الصهيوني ، التي تستهدفها جميعا ، انما هو الشعب الفلسطيني. ان ما يميزه عن اشقائه شعوب المنطقة العربية انه غدا "كبش المحرقة" في هذه المعركة ، وكان على الدوام في خط النار الامامي فيهـــــا .

اننا نفهم استقلالية القرار الفلسطيني بأنها :

تفترض اعلى مستوى من التنسيق مع قوى حركة التحرر العربية بما فيها الانظمة العربية المعادية للامبريالية ، ومع قوى الثورة العالمية وطليعتها الاتحاد السوفياتي . ففي اطار معركة حركة التحرر العربية ، ومعركة معسكر الشعوب ضد قوى الامبريالية والعدوان ليس للثورة الفلسطينية حقوق من دون ان يكون لها واجبات والتنسيق هو المظهر الاساسي .. لهذه الواجبات .

وبهذا المعنى فان القرار السياسي الفلسطيني المستقل هو بالضرورة وطني. اى انه ذو بعد واحد. اى ممارسة له في اتجاه آخر يفقده معنى ومبرر وجوده. لقد قال السادات ، وهو يوقع اتفاقات كامب ديفيد الخيانية ، انه يمارس حقوق السيادة المصرية ، اى استقلالية القرار السياسي المصرى . لكنه بتوقيعه تلك الاتفاقات كان قد اجهز على تلك السيادة ، والاستقلالية وارتهنهما لارادة الاميركيين والاسرائيليين .

وفي الحقيقة ، فان مفهوم استقلالية القرار السياسي الفلسطيني قد مر بسلسلة من التطورات في اذهان وطني شعبنا ، وبخاصة لتحديد حدود التمايز والتمازج ، مع الشعوب العربية المجاورة وحركات تحررها الوطنـــي .

وفي فترة من نضال شعبنا ضد المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية كان هناك قدر من المغالاة في قضية التمازج . مما ترتب عليه ميل واضح نحو الاتكالية العفوية . وقد سهلت هذه الاتكالية مهمة الانظمة العربية المجاورة عام ١٩٤٨ ، التي كانت ضالعة فى المؤامرة ضد شعبنا ، وتجلت هذه الاتكالية في ضعف التشبث في البقاء فوق الارض الفلسطينية تعلقا بوهـــم العودة منتصرين معززين ، دون تضحيات او جهود كبيرة ، وراء جيوش الانظمة الرجعية العربية التي دخلت فلسطيـــــن .

لكنه اعقب ذلك ، بعد فترة وجيزة ، حالة من المد التحررى في المنطقة العربية منذ بداية الخمسينات ، لتساهم من جديد ، بتعزيز شعور التمازج ، ولكن في صورة مختلفة عن

Digitized by Birzeit University Library

السابق . حيث شاركت الجماهير الفلسطينية، بنشاط وفعالية عالية في معركة درء الاحلاف العدوانية وفي سبيل التضامن العربي الكفاحي ونتيجة لذلك تكونت القناعة لدى اوساط واسعة جدا من شعبنا بأن تحررها واستعادة حقوقها القومية ستكون، بالضرورة، ضمن المنجزات والانتصارات المشتركة لحركة التحرر العربية وفي اطار عملية وحدتها التي بدت كهدف واقعي في مرحلة معينة، وبخاصة بعد قيام الوحدة المصرية ـ السورية .

وبعد ان تجاوزت البلدان العربية الرئيسية مرحلة تحقيق الاستقلال السياسي واندحرت مؤامرة الاحلاف العدوانية في المنطقة، وراح كل بلد يركز على قضايا تطوره الاقتصادي ـ والاجتماعي، أخذ شعور التمازج الطاغي لدى الشعب الفلسطيني ينحسر، وفي هذه الاجواء بالذات بدأ الشعب الفلسطيني يفتش عن هويته الخاصة . ولم يكن صدفة انه في هذه المرحلة ـ اي اواسط الستينات ـ بدأت من جديد عملية انبعاث الشخصية الوطنية الفلسطينية المتميزة . وكان ابرز مظاهر هذا التمايز ميلاد حركة المقاومة الفلسطينية على النطاق الواسع الذي عرفته بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . ولو لم تكن تعبيرا عن التمايز، لكان ينبغي ان يكون رد فعل الهزيمة في الساحة الفلسطينية حالة من الخذلان والاحبـــــاط .

وجاءت مذابح ايلول السوداء، ١٩٧٠ على ايدى النظام الرجعي الاردني لتعزز شعور التمايز . واذا كان رد الفعل الاولى لهذه المذابح هو هبوط مستوى الكفاحية في اوساط الجماهير الفلسطينية، وطفت على السطح، مؤقتا، النزعات الذاتية والفردية، الا ان ذلك لـم يعمـر طويـلا . وأعادت وتيرة كفاحية الجماهير تتصاعد يصاحبهـا شعـور متزايـد بالاعتماد على النفس، دون ان يعنى الانسلاخ عن حركة التحرر العربية .ولقد تعزز هذا الشعور بالاعتماد على النفس في اوساط شعبنا الفلسطيني بعد حصار بيروت وما رافق ذلك الحصار من هدوء نسبي في طول العالم العربي وعرضه، والذى له اسبابه الموضوعية والذاتية بطبيعة الحال لسنا بصددها هنـــــا .

ان الاتكالية والاعتماد على النفس لهما قوانينهما الخاصة، ولكن مع ذلك، لا يمكن عزل تأثرهما، في ظروف شعبنا الفلسطيني الحية، عن تيارى التمازج والتمايز في العالم العربي .

ان المسار الطويل والمؤلم لشعبنا الفلسطيني، والغني بالتجارب المتنوعة قد قربه اكثر فأكثر، الى موقف متوازن بين العوامل التي تدفع نحو التمايز وتلك التي تدفع نحو التمازج في هذه المرحلة التاريخية من نضاله . وكان هذا في اساس فهمه الواقعي لقضية استقلالية القرار السياسي الفلسطيني. وليس صدفة ان الفصائل الفلسطينية الاساسية قد اكدت في اتفاق عدن / الجزائر على استقلالية القرار الفلسطيني ،جنبا الى جنب مع تأكيدها على ضرورة تحالف الثورة الفلسطينية مع فصائل حركة التحرر العربية ولا سيما سورية والحركة الوطنية اللبنانية ، ومع قوى الثورة العالميـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

يجب توفير ضمانات النجاح لدورة المجلس الوطني السابعة عشرة

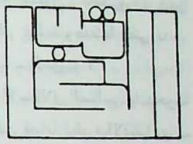

بقلم :ابو وديدة

اختيار الموقعين على اتفاق عدن ــ الجزائر للخامس عشر من ايلول الفائت ، تاريخا لبدء جلسات الدورة ١٧ للمجلس الوطني الفلسطيني ، لم يكن اختيارا اعتباطيا أو حكمته الصدفة ، حسب تقديري ، ليأتي متوافقا مع الذكرى الثانية لمجزرة صبرا وشاتيلا . وكما هو معروف فالاتفاق على هذا الموعد منح الحوار الشامل مع التحالف الوطني فرصة كافية للوصول به الى غايته المرجوة ، اذا ما جرى بروح المسؤولية الوطنية الرفيعة والاخلاص المتفاني والوفاء اللامحدود لدماء شهداء صبرا وشاتيلا ، وكل الشهداء الزكية الطاهرة .

هكذا لا أخال الا ان الموقعين لاتفاق عدن باختيارهم للموعد المذكور هدفوا ، او وضعوا في وجدانهم ، احياء ذكرى المجزرة الوحشية الرهيبة بصورة جديدة مغايرة للصورة المتعارف عليها ، أى باستبدال باقات الزهر والخطب ... الخ بباقات زهور الوحدة الوطنية ، العزاء الحقيقي والمواساة الفعلية للثكالى والمنكوبين في كل مواقع الشتات وداخل الارض المحتلة ، لا سيما ان المواطن البسيط يدرك تماما هدف المجزرة والعدوان الذى سبقها .. وكل العدوانات والمؤامرات السابقة واللاحقة . لقد كان تقطيع اشلاء ضحايا المجزرة وبعثرتها ، والقسوة اللاإنسانية التي اتصف بها منفذوها ومدبروها والمراقبون لهم عن كثب ، صورة حية بشعة ومجسدة لامنية الاعداء بتمزيق جسد م.ت.ف وبعثرة اشلائها ، ولذلك كان تبديد هذه الامنية واعادة لاءم الجراح وسد الشقوق وبالتالي وضع حد لحالة الانقسام والخلاف وترسيخ الوحدة الوطنية وتوسيعها والحفاظ على الصفة التمثيلية لـ م.ت.ف . هي المهمة الاساسية المنوطة بدورة المجلس الوطني وهي ما عقد المواطنون هنا في الارض المحتلة ــ وتأكيدا في كل المواقع الاخرى ــ الامال العراض على تحقيقه . تلك هي بداية الانطلاق لاستعادة منظمة

Digitized by Birzeit University Library

التحرير لدورها الفاعل بين جماهير شعبها وفي صفوف جبهة التصدى للمؤامرات والمخططات الامبريالية .

ورغم ان المواطن في الارض المحتلة طُعن في آماله الغالية المشار اليها ، ورغم محاولات متواترة لجره الى متعرجات التيه للمسالك الادارية في مسألة عقد المجلس الوطني الفلسطيني ـ المكان ، دعوة المضيف ،والترتيبات الفنية ،وغيرها ـ فان المواطن حافظ على صفاء الرؤية وتمسك برؤيته السياسية للمسألة باعتبار مهمة الدورة الاساسية تثبيت الوحدة الوطنية وتعميقها وترسيخها واغناؤها . انعكس ذلك في المطالبة الجماهيرية الواسعة هنا ببذل الجهود الجادة والمسؤولة لتذليل العقبات مع التصميم على عقد دورة المجلس الوطني . وظل المواطن في نفس الوقت يراقب بانتباه يقظ تطورالاوضاع حولنا في المنطقة ويرصد المتغيرات ويحاول فهم تأثيراتها على مجمل قضيتنا وقضية الوحدة الوطنية وانعقاد المجلس على نحو مخصوص . ولكل ذلك قابلت الجماهير بالاستياء الشديد تعنت التحالف الوطني وتهديده بشق منظمة التحرير في حالة ذهاب اطراف عدن الى دورة المجلس ، وتجلى عدم احترامه ، من خلال تلك التهديدات ، للديمقراطية وللحوار الديمقراطي وبطرح مطالب ابتزازية ،ووصفت جماهير الارض المحتلة عن حق هذه المواقف بضيق أفق اصحابها وبعدهم عن الحكمة السياسية ،تجلى ذلك في التهديدات غير المسؤولة للشقيقات اليمن الديمقراطي والجزائر .

وفي رصدها للمتغيرات القريبة جدا وفي المنطقة القريبة جدا ايضا حولها ، توصلت جماهير الارض المحتلة من جديد الى تعميق القناعة باحتلال الوحدة الوطنية الفلسطينية للاولوية المطلقة بين سائر الاهتمامات الفلسطينية . ومثلها وحدة جبهة التصدى لمخططات مؤامرات الامبريالية واعوانها وفي المقدمة وحدة الجبهة السورية ـ الفلسطينية ـ اللبنانية الوطنية .

(١)

فجماهير الارض المحتلة وهي تنظر بقلق بالغ لمستقبل معيشتها على ضوء الاجراءات الاقتصادية القاسية التي تتخذها حكومة بيرس ـ شامير ،او حكومة الوحدة الوطنية كما يطلقون عليها في اسرائيل ـ والتي من المنتظر أن تلحق بها الضرر الاساسي فيكون تدبير المعيشة لاطفالها صعبا بدرجة كبيرة ـ الا انها مضطرة للاستذكار بان حكومة مماثلة كان اليمين الاسرائيلي ـ بالمقاييس الاسرائيلية ـ اقل نفوذا فيها هي التي نفذت وخططت عدوان حزيران عام ٦٧ . وبهدف الخروج من أزمة اقتصادية اقل خطرا آنذاك من الازمة الحالية .

واذا كان المواطن العادى هنا لا يهتم كثيرا للتبدلات التي ظهرت في الانتخابات وفي تشكيل حكومة بيرس ـ شامير مثل ان الفوارق بين صهيونية حزب العمال وصهيونية اصحاب الاعمال والرساميل أخذت تتمحي بصورة متسارعة اكثر ومثل ظاهرة النمو المتصاعد لليمين الفاشي ومثل تفتت القيادة الصهيونية التوراتية . الخ ،الا ان هذا المواطن يهتم كثيرا بتطور العلاقات الاستراتيجية مع امريكا بخط صاعد صعودا حادا ،وتعويل حكام اسرائيل على الحصول

Digitized by Birzeit University Library

على معونة مالية ضخمة في زيارة بيرس ـ شامير القادمة لواشنطن ، بعد تطبيق اجراءات التقشف هنا ، لانقاذ الاقتصاد الاسرائيلي مما تجعل المراقب يحس بالريبة ويتساءل عن طبيعة الثمن الذى ستدفعه اسرائيل لامريكا مقابل المعونة المالية الضخمة .

ولذلك حين يتحدث الاعلام السورى عن ترتيبات امريكية ـ اسرائيلية لشن عدوان جديد على سوريا وحليفاتها ، في محاولة لاعادة الهيبة الامريكية التي تمرغت في وحل لبنان ، وكثمن للمعونة المالية المشار اليها ، فان هذا الحديث يلاقي قبولا وآذانا صاغية ، خصوصا حين يقترن الامر باستغلال واشنطن لحادث سفارتها الجديد في بيروت واعادة سفنها الحربيةلتهديد الشواطئ اللبنانية .

لكن المواطن لا يسهل عليه الفصل بين جدية التحذيرات السورية ومعها الوطنية العربية وجدية الاجراءات لمواجهة العدوان المرتقب ، ان المواطن يرى ضرورة ترفع القيادةالسورية عن الغرق في القضايا الصغيرة وادخار الجهود وتفعيلها في حل القضايا الكبيرة . فالخطر الماثل يتطلب الجدية في بناء جبهة متراصة عربية للتصدى له وافشاله . وسوريا بقدراتها والنجاحات التي حققتها في لبنان ضامنة لموقع قيادى بارز ضمن هذه الجبهة ومصلحتها الاساسية في جبهة حلفاء ذوى قدرة لا جبهة من الاتباع مضمونين تحت الابط.مع ملاحظة ان النظام المصرى يسعى حثيثا لاقامة جبهة مضادة تمنحه موقعا قياديا متقدما .

وتشكيل حكومة بيرس ـ شامير وردود الفعل العربية عليها وتبدد سراب الاوهام عن مفاوضات مع حزب بيرس كما عكسته الصحافة الاردنية مثلا،التي شنت هجوما قاسيا على الذين بنوا الامال ووضعوا الترتيبات والخطط على مفاوضات معحزب بيرس ، ورغم محاولتها المكشوفة غير الناجحة لغسل يدي وثياب النظام الاردني من هذه الجريرة ، كل ذلك اوضح أكثر من اى وقت مضى عمق المأزق الذى تتخبط فيه انظمة الرجعية العربية بوصولها الى نهاية النفق في حسابات الحل الامريكي لازمة الشرق الاوسط . ومعاودة هذه الانظمة للتصريحات المطالبة بعقد مؤتمر دولي والانتقادات للحليف الامريكي ، وفيوجودالمبادرة السوفيتية الواضحة وضوح الشمس في نصرة الحق الفلسطيني والحق العربي،تشير كلها الى المركز الضعيف الموجودة به الرجعيات العربية . وأكثر وأكثر يتضح ان سوريا تملكزمام المبادرة والامكانية بالدعوة لتضامن عربيعلى اساس برنامج جبهة مواجهة المخططات الامبريالية تحتل هي مركز الصدارة في قيادتها .

كما ان متطلبات مواجهة الخطر القادم ، كما تشير اليه التحذيرات السورية المتكررة ، تقضي بالسعي لامفي وانقى تفاهم مع الاتحادالسوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكيةالسندالكبير والرئيسي لردع الخطر الداهم . ذلك يقتضي الترفع عن ارتكاب كل ما من شانه ان يخدش العلاقة مع الاتحاد السوفييتي على نحو ما يجرى الان بخصوص المساعي السوفييتية الحميدة لتقريب وجهات النظر بين اطراف اتفاق عدن والتحالف الوطني وسوريا .

Digitized by Birzeit University Library

(٢)

لكن خطر عدوان اسرائيلي جديد على سوريا كمخرج للازمة الاقتصادية او خدمة لاعادة النفوذ والهيبة الامريكية، يترافق مع خطر آخر ماثل في البحر الاحمـــر .

لقد اضطرت اساطيل البحث الاطلسية، المحتشدة في البحر الاحمر بطلب مصرى، الى الاعتراف بأن زمن اللقيات السعيدة قد انتهى، وأنها لم تعثرعلى اي كنز من كنوز قراصنة البحار الجدد، وأن شواطئ خليج السويس وطرق الملاحة فيه وقبالة السواحل السعودية نظيفة من الالغام الكنوز، وعليه انتهت مهمتها وهي لذلك تزمع العودة الى قواعدهـا .

ذلك لم يمنع النظام المصرى من الاستمرار في توجيه الاتهامات، دون شعوره بالحاجة الى دليل مثبت، الى ليبيا .ومن التزمير والتطبيل لعثور كاسحات بريطانية وفرنسية على لغمين، وجه نظام مصر اتهاما الى ليبيا بزرع احدهما والحديث عن حداثته وصناعته السوفييتية ... الخ قبل انتشاله. وحين اتضح ان اللغمين احدهما الماني يعود الى الحرب العالمية الثانية والاخر يعود الى فترة حرب السويس ملاء الرسميون المصريون افواههم ماءا، واستمـروا فـي اتهـام ليبيـــــا .

وفجأة طفت اربعة الغام من مخلفات حرب السويس في المناطق المعلن عن نظافتها وتجدد الطلب للكاسحات والحوامات الاطلسية بالبقـــاء .

كما تناقلت الوكالات، انباء تتحدث عن توجهات للمشير ابو غزالة وزير الدفاع المصرى بالقيام بشن عدوان على ليبيا استنادا الى الاتهامات السابقة . ولفت انتباه رجل الشارع هنا كما لفت انتباه المراقبين توافق تهديدات ابو غزالة مع اتساع شقة الخلافات بين ليبيا والجزائر على ارضية الوحدة الليبية المغربية والاتفاق الفرنسي الليبي بالانسحاب المتزامن من تشـــــاد .

ويشير المراقبون الى ان مجمل تصرفات النظام المصرى تعرب عـن استعداد الثابت لخدمة مخططات الامبريالية وحتى دون الحاجة الى التستر بأية اقنعة وللاعراب للانظمة العربية على استعداد النظام المصرى لدك اى حلقة في سلسلة جبهة الصمود والتصدى نظرا عليها بوادر "رخرخة" ما في اطار تلك السلسلة لفصمها نهائيا عنها، بهذا يثبت جدارته للمركز القيادى بقوته الضاربة في اطار اجماع عربي او تضامن عربي معادى لتطلعات وامال جماهيره ومرتبط بالصديق والسيد الامريكي . والمسألة عند ابو غزالة لا تتطلب اكثر من الاشارة باصبع الاتهام وليتطاول الى ماسورة مدفع .مع ملاحظة أن الحال يصح على العكس تماما حينما يتعلق الامر بالتطاولات الاسرائيلية .

ورغم ذلك بات من الواضح ان الفشل في العثور على الالغام والكنوز وانتفاء مبرر التطويل المصطنع لبقاء الاساطيل الاطلسية في البحر الاحمر، لم يكن هو الوحيد . فلقد فشل تكتيك الامبريالية ومعها النظام المصرى بتهديد انظمة الرجعية الصديقة لها بالخطر الملموس للمسارعة بطلب الحماية والانتظام في حلف دفاعي او معاهدة مقاومة او ما شابه في اطار

Digitized by Birzeit University Library

الخطة الاستراتيجية بالوصول الى الاجماع الاستراتيجي في المنطقة او بعبارة اخرى تطبيق مشروع ريغان من نافذة البحر الاحمـــــر .

وما يمكن استخلاصه هو انه من غير الممكن ان تتوقف الامبريالية عند هذا الحد.والمنتظر هو تكثيف تآمرها وزيادة محسوسة تكتيك الخطر الملموس ليكون ربما اعلى دويا وأكثر قربا من قصور حكام الرجعية العربية ولتسارع في حالة من الهلع لطلب الحماية والانتظام كما تخطط لها الامبرياليـــة .

وما يبعث على الاهتمام هو رؤية جانب آخر في المسألة فلقد لعبت كل من اليمن الديمقراطي واثيوبيا مستندتان الى المساعدة السوفييتية دورا مؤثرا وبارزا في احباط مؤامرة العودة لمشروع ريغان من نافذة تلغيم البحر الاحمر . ولم يغب عن ذهن المراقبين ملاحظة ان بدء تنفيذ مؤامرة التلغيم واكب التحضيرات التي كانت جارية في كل ربوع اثيوبيا لعقد المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاثيوبي ووضع البلاد على بداية طريق بناء الاشتراكية . وساهمت يقظة الجماهير العربية بقيادة حركاتها واحزابها الطليعية الوطنية في افشال الدعوة لعقد مؤتمر للدول المطلة على البحر الاحمر وقيدت بالفعل ايدى حكامها ومنعتهم من الضلوع في هذه المؤامرة .

ولان رجل الشارع الفلسطيني في كل مكان وفي الارض المحتلة على نحو خاص يدرك بدقة وعي عميق ماهية مشروع ريغان ومعاداتـه لحقوقه الاساسية واستهدافه لصمود سوريا والنظام لتقدمي بكل مكتسباته الاجتماعية والسياسية في اليمن الديمقراطي وكذلك الحقوق الاساسية للشعوب العربية في ثرواتها ولفصائلهـــــا الوطنية ، يعرف ان مسؤولية خاصة تقع على عاتقه وعلى عاتق كل عربي مخلص في منع نفاذ هذا المشروع من نافذة البحر الاحمر او من أي نافذة اخرى مستقبلا . كما يعرف ان على الجميع التحلي بيقظة دائمة تجاه هذه الاخطار وهو قد رأى مجددا في خوف الرجعية العربية وترددها امام يقظة شعوبها وحركاتها التحررية ان من الممكن انتقال زمام المبادرة الى ايدى القوى العربية المعادية للامبريالية اذا هي احسنت رص جبهتها وتمتين وحدتها الداخلية وعلى مستوى الجبهة . وكان هذا دافعا اضافيا للروية السياسية لمسألة عقد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطينـــي .

(٣)

واحتمالات العودة لاطلالة مشروع ريغان من نافذة الخليج ما زالت قائمة . وحالة الثبات او الاستقرار او التوازن في حرب الخليج تنذر بأخطار كبيـــرة .

والمتغيرات القريبة المشار اليها تؤكد للمواطن من جديد على الحقيقة البسيطة الساطعة والقائلة بأن الوحدة الوطنية الفلسطينية ووحدانية تمثيل المنظمة ليست مطلبا ترفيا او اختيارا يمكن التهاون ازاءه . وكذلك الحال مع وحدة الجبهة السورية ـ الفلسطينية ـ اللبنانية الوطنية . انهما ترتقيان الى مصاف الضرورات الموضوعية . ان الامر نفسه في التعامل مع الصداقة السوفييتية وبلدان المنظومة الاشتراكية . والتعامل مع مسألة عقد المجلس الوطني الفلسطيني لا بد أن يستند الى الضرورات الثلاث الانفة الذكـــر .

Digitized by Birzeit University Library

واستنادا الى ذلك يصبح العناد السورى وتشنج التحالف الوطني في قضية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني امورا تستعصي على الفهم وبعيدة جدا عن الصواب . والتفسير المقبول هو ان الثمل السورى بنشوة نجاح حله في لبنان قد قاده الى محاولة العودة لتطبيقه على الساحة الفلسطينية رغم ادراكه لاستحالة التطبيق بسبب التباين الكبيربين الساحتين .

وجدير بقوى فلسطينية ان تستخلص هي الاخرى العبر اللازمة من تجربة تطبيق الحل في لبنان . فلقد وقعت تبدلات سريعة ودرامية في التحالفات مع القوى والطوائف اللبنانية . وان كان ذلك مفهوما على اساس وضع التكتيك في خدمة الاستراتيجية العامة. هناك مثلا تحسن ملحوظ في العلاقات مع الكتائب على حساب فرنجية وحتى جنبلاط وبري وقبول بالرئيس الجميل بعد مطالبات عنيدة باقصائه .. وهناك المصالحة مع جماعة التوحيد الاسلامية واطراف اخرى في اللقاء الاسلامي رفعت السلاح داخل سوريا لاسقاط النظام السورى وارتكبت مجازر واعمال قتل بشعة . والتلاعب بالتكتيك بالتبدل السريع ايضا طبقته ليبيا في اطار علاقاتها مع البوليساريو والثوار التشاديين . ومثل هذه التحالفات موجودة مع فصائل فلسطينية تعارض الان بتشنج عقد المجلس الوطني الفلسطيني . ومن المهم رؤية أن هذه التحالفات غير ثابتة في اطار الاستراتيجية العامة السورية والليبية . وبالتالي لن يكون مفاجئا حصول تبدل ما ازاءها في اطار خدمة الحل الاستراتيجي السورى للبنان او التقارب الليبي العربي وغير العربي . ذلك يستدعي ان تكون هذه الاطراف اكثر مرونة او ان تحاول ، بالعبارات العامية ، حفظ خط الرجعة مع الفصائل الفلسطينية الاخـــرى .

(٤)

وبعد هذا التطواف من استعراض اقرب المتغيرات حولنا ، اعود الى المسألة الاساسية في موضوع هذه المقالة . مسألة توفير وضمان اسس وعناصر الانجاح الكامل لدورة المجلس الوطني الفلسطيني التي بات المواطن الفلسطيني ينتظرها بفارغ الصبـــر .

واعود لاقول ان تنفيذ اتفاق عدن بكافة بنوده وتفصيلاته ووضعه موضع التطبيق هو الاساس الصالح لارساء الوحدة الوطنية وترسيخها وتدعيمها . ولذلك فان المهمة الاساسية لدورة المجلس الوطني السابعة عشرة هي اقرار اتفاق عدن واغنائه وتعميق مضامينه ، وبهذا الاقرار اضفاء الشرعية القانونية عليـــــه .

ان تحديد مهمة المجلس الوطني على هذا النحو لا تعني ، كما يفسر اعداء الاتفاق ، مصادرة حرية الاعضاء في ابداء الرأى والبحث والنقاش ، ومعاملتهم كختم مطاطي كما حلا لبعض الخصوم تشبيههم . وتحديد المهمة لا ينال اطلاقا من ديمقراطية الحوار وانما على العكس تماما هو يعمقهـــــا .

فمن المعروف أن اتفاق عدن هو في الحقيقة حصيلة الاتفاق الوطني وتلك اكبر ميزاته واعظم مصادر قوته . ومن المعروف ايضا ان قوة قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته

Digitized by Birzeit University Library

المختلفة تنبع من نفس المصادر ، من الاتفاق الوطنـــــــي .

المجلس الوطني ليس برلمانا كما تصفه وسائل الاعلام ، فاعضاؤه ليسوا منتخبين بالاقتراع او بغيره .انهم ممثلون للفصائل الوطنية الفلسطينية الممثلة لكل طبقات وفئات المجتمع الفلسطيني وتياراته . وحتى من يلقبون بالمستقلين يجرى اختيارهم على اساس حد معين من الاتفاق الوطني بين الفصائل . ولذلك .فان الغالبية منهم شاركت في الصياغة أو بالاطلاع والفهم وفي كل مراحل الحوار وصولا الى اتفاق عدن ــ الجزائر . ولا ينتقص من ديمقراطية الحوار أو من مكانة الاشخاص او ينال من حرية ابداء الرأى معاودة التأكيد داخل قاعدة المجلس على التزامها واقرارها باتفاق عدن ــ الجزائـــــــر .

ان ذلك يقود الى مسألة على جانب عظيم من الاهمية وهي تتمثل في ضرورة التزام كافة الاطراف الموقعة لاتفاق عدن ــ الجزائر جماعيا بتقديمه للمجلس كاملا والدفاع عنـــه وتفسير بنوده وتوضيحها امام اية معارضة . ذلكانه من غير المعقول ان يتقدم أى طرف او حتى فرد أو افراد منه بطرح افكار او مشاريع اخرى ، او استثناء هذا البند او ذاك . ان معنى ذلك ان حدث هو التدليل على نية مبيته بالتهرب ، بعد فض المجلس ، من تطبيق بنود الاتفاق والعودة للخروج على الاجماع فالقرارات الفردية .. الخ. وهذا امر يلحق افدح الاضرار بمصداقية الاتفاق وبالوحدة الوطنية وينذر بالعودة الى اجواء الخلافات والتهديد بالانشقـــاق .... وهلمجـــرا .

والضمان لتجنب هذه المخاطر يتمثل في الاتفاق المسبق،بين الاطراف الموقعة على اتفاق عدن ــ الجزائر،على كافة بنوده وعلى ادق التفاصيل فيها . ولاعطاء اعضاء المجلس صورة عن الانسجام الكامل والتام بين هذه الاطراف ولتدعيم ثقة هؤلاء الاعضاء بانتفاء وجود فرص التهرب من الالتزام بها لاحقـــــا .

ان ذلك يعكس نفسه بالحصول على دعم جماهيرى اوسع وضمان اوفر للمصداقية السياسية لقرارات المجلس الوطني المؤزرة بالاتفاق الوطني لاكثرية الفصائل . ويقلل بالتالي من شأن الطعون في شرعية القرارات ومصداقيتها من اطراف اخرى اذا ما ظلت معارضة لانعقاد المجلس ورضيت لنفسها الثبات في مواقع الهجوم عليه،ومحاولات النيل من شرعية قراراته خصوصا وهذه الاطراف تفتقر الى الدعم والتأييد الجماهيرى الفلسطينـــي .

وفي حالة بقاء المعارضة في المواقع المشار اليها يكون ضروريا ترك الباب مفتوحا امامهم بالعودة الى المجلس والى المؤسسات التي ستنبثق عنه ، اى الى رحاب الوحدة الوطنية.ذلك ضرورى استراتيجيا لاستكمال الوحدة وضرورى تكتيكيا لدحر الهجمات والطعـــون .

ويكتسب نفس الاهمية ضمان دعم وتأييد عربي وطني تقدمي وعالمي لانعقاد المجلس وقراراته. ان تأييد الانظمة العربية وحدها للمجلس لا يمنحه اى مصداقية ويسهل الطعون فيه وفي قراراته. لذلك يتوجب السعي المثابر لضمان دعم وتأييد الاشقاء الذين ساعدوا في

Digitized by Birzeit University Library

التوصل الى اتفاق عدن ـ الجزائر وضمان دعم وتأييد الاتحاد السوفييتي وبلدان المنظومة الاشتراكية . وغير ذلك يساعد الطاعنين فيه بهز ثقة الجماهير الفلسطينية في الدورة وقراراتها ويتيح فرص نجاح المعارضين في استقطاب حلفاء لهم .

من هنا كانت التصريحات المتسمة بالعصبية والنزق، ومحاولات استفزاز الجزائر غير مفهومه وغير مقبولة. ومن جانب آخر حظي موقف التحالف الديمقراطي بالتفهم العميق ، رغم ما يقال عن تردد احد فصائله، في تعامله المرن مع تحديد تاريخ جديد لانعقاد دورة المجلس ، وموقفه بمنح الاشقاء في اليمن الديمقراطي والجزائر والاصدقاء السوفييت مهلة من الوقت لاجراء مزيد من المفاوضات مع النظام السوري بغية تليين موقفه المعارض لانعقاد المجلس، ومن توجهه الدائب لاجراء حوار مع التحالف الوطني في اطار الحوار الشامل. لقد عكس كل ذلك بعدا في النظر يدل على المسؤولية الرفيعة لاطرافه تجاه الوحدة الوطنية وموقفا يتحلى بالحكمة السياسية والشجاعة الادبية .

لقد نبه التحالف الديمقراطي الى ضرورة الاهتمام بالحسابات الخاصة للشقيقين اليمن الديمقراطي والجزائر وتفهم دوافعهما وأسبابهما. ومثل هذا الامر ينطبق ايضا على موقف الاصدقاء السوفييت وبلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى. ان الجميع يعترفون ويقدرون الدور البارز لسوريا في المواجهة مع الامبريالية واعوانها وبأنها تتحمل الان العبء الرئيسي في هذه المواجهة. والجميع يقرون بخطر التسرع في اخذ مواقف تؤدي الى مجابهة او قطيعة او حتى فتور في العلاقة معها . ان الضرورة تحتم مساندة سوريا تجاه اي خطر تتعرض له. هكذا يتوجب استنفاد كل الوسائل والسبل قبل نفض اليد من امكانيات الحوار معها . وكان ضروريا وصول الاشقاء والاصدقاء الى قناعة راسخة في هذا الخصوص من تجربتهم ذاتها . وبنفس الدرجة كان حكيما موقف التحالف الديمقراطي ببقائه في عين المواطن غير قابل للانجرار للاستفزاز او الاتسام بضيق الافق والنزق وذلك بتجنبه الدخول في مهاترات مع التحالف الوطني واعلانه الحرص على استئناف الحوار الديمقراطي المسؤول معه .

الى ذلك كله استند المواطن في الارض المحتلة في ترحيبه باعلان التحالف الديمقراطي واللجنة المركزية لفتح وممثلي اليمن الديمقراطي والجزائر عن تمديد مهلة الحوار مع النظام السوري والتحالف الوطني وارجاء موعد عقد دورة المجلس السابعة عشرة أملا في ان تتمخض نتائج الحوار عن الوصول الى اتفاق اشمل يكرس وحدة وطنية اوسع وأعمق وذلك على الرغم كما اشرت في بداية هذا المقال من ان المواطن في الارض المحتلة طعن في امل عزيز يتمثل في كون الوحدة الوطنية الفلسطينية مهمة دورة المجلس الوطني ، هي باقات الزهر ، هي هدية المواساة العظيمة وهو يحيي الذكرى الثانية لمجزرة صبرا وشاتيلا الرهيبة .

Digitized by Birzeit University Library

المقتطعات من أجور عمال المناطق المحتلة العاملين في إسرائيل

بقلم : تيسير العاروري ـ جامعة بير زيت

مقدمة

لقد تجاوز عمر الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة سبعة عشرة عاما ومرعلى بداية الانخراط الواسع لعمال المناطق المحتلة، تحت ضغط الحاجة الاقتصادية الماسة، في سوق العمل الاسرائيلي اكثر من خمسة عشر عاما. قدموا خلالها اكثر من ٢٥٠ مليون يوم عمل[١]. تعرضوا خلالها ليس فقط للاستغلال الفاحش، الطبقي والكولونيالي، والتمييز الصارخ ضدهم، من قبل البرجوازية الاسرائيلية، والمؤسسات الصهيونية، وانما كان عليهم ان يتحملوا فنون الاهانات والتحقير والاساءات الى كرامتهم الانسانية.

ان احد اهم سبل استغلال عمال المناطق المحتلة وأكثرها مثارا للجدل، هي المقتطعات المختلفة من اجورهم. وبالتحديد تلك المقتطعات المرتكزة على تطبيق قانون التأمين الوطني الالزامي الاسرائيلي عليهم بشكل احادى الجانب ـ الزامهم بالدفع دون منحهم حق الاستفادة من التأمين.

ان هناك تقديرات متفاوتة جدا لحجم المقتطعات، وبالتالي لاهمية هذه القضية في اوساط النقابات العمالية في المناطق المحتلة. في حين يكتفي تقرير منظمة العمل الدولية لدى تقديره لحجمها بالقول بانها "تمثل بالضرورة مبلغا كبيرا[٢]" في حين تدعى

Digitized by Birzeit University Library

السلطات الاسرائيلية "بأن هذه المقتطعات تمثل احد الارصدة العامة في ميزانية الاراضي المحتلة"[٣] وفيما لو صح هذا القول، فما هو الاساس القانوني لذلك ؟

وعليه فان تقدير حجم هذه المقتطعات، وبالتالي مقدار مستحقات عمال المناطق المحتلة لدى السلطات الاسرائيلية، وهو ما تهدف اليه هذه الدراسة، وفي ظل غياب دراسات اخرى مكرسة لهذه القضية الهامة، قضية من الاهمية بمكان وتستحق الدراسة .

ان المقتطعات من اجور العمال وفق قانون التأمين الوطني الاسرائيلي، تحت اسم تأمين وطني وتأمين اجتماعي وتأمين صحي ... الخ . وهي مبالغ تصل احيانا الى ١٨٪ واكثر من اجر العامل . ولا يتلقى العامل العربي من المناطق المحتلة مقابل هذه المقتطعات اية تأمينات او ضمانات من تلك التي ينص عليها قانون التأمين الوطني الاسرائيلي[٤] ،في حين يتلقاها ويستفيد منها كل من يحمل الهوية الاسرائيلية فقط(اى الاسرائيليون وسكان شرقي القدس العرب) وهكذا فان القانون الاسرائيلي يلزم سكان المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل (عن طريق مكاتب العمل) بالدفع لصندوق التأمين الوطني ولكنه لا يعطيهم حق الاستفادة من خدماته.

ان هذه القضية، قضية المقتطعات من اجور العمال والمستخدمين العرب من المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل ، كانت ولا زالت ضمن دائرة اهتمامات الاتحاد العام للنقابات والعديد من النقابات العمالية. وكان شعار استرداد هذه الاموال المقتطعه احد الشعارات المركزية للعديد من النقابات العمالية في اكثر من مناسبة .

ان هدف هذه الدراسة، هو تحديد الحجم الاجمالي لهذه المقتطعات طيلة السنوات الماضية وحتى الان. ومن ثم ، تحديد مقدار المبالغ المستحقة لعمال المناطق المحتلة لدى الحكومة الاسرائيلية. وبالتالي تزويد قيادة الطبقة العاملة الفلسطينية والقادة النقابيين ونشطاء الحركة العمالية بالمعرفة الموثقة بحجم وأهمية هذه القضية، وهذا الحق المسلوب.

ان اهمية هذه القضية مستمدة من :

أولا : حجم المبالغ المالية التي يجرى الحديث عنها، فهي تقارب المليار دولار .

ثانيا : حيوية الموضوع واهميته وجماهيريته المستمدة من كونه يتعلق بمصالح عشرات الآلاف من العمال والمستخدمين في المناطق المحتلة .

ثالثا : ان المطالبة باستعادة هذه المبالغ ليست ضربا من الخيال الرومانسي. هذا اذا ما نظر الى القضية بمنظار تاريخي وحقوقي ـ سياسي[٥] .

رابعا : اهمية الموضوع من منظار نقابي، بحيث قد يكون مدخلا مفيدا لجذب العمال الذين يعملون في اسرائيل للانضمام الى النقابات وللتغلب على حالة التفتت وغياب التنظيم النقابي في اوساط هؤلاء العمال .

من جهة اخرى، فاننا ونحن نكرس هذه الدراسة لمثل هذه القضية الشائكة والمعقدة فليست لدينا اية اوهام حول امكانية حساب المقتطعات ومستحقات العمال بما فيها الفوائد

Digitized by Birzeit University Library

البنكية خلال مثل هذه المدة الطويلة، وبالاعتماد فقط على مصادر الاحصاءات الاسرائيلية (حيث لا وجود لغيرها في غالبية جوانب هذا الموضوع) بدرجة عالية من الدقة . وقد كان هدفنا، ومنذ البداية، حصر مصادر الاخطاء ومحاولة تقليلها قدر الامكان بحيث لا يتجاوز الخطأ في النتيجة النهائية العشرة بالمئة، وهو ما نعتقد باننا قد حققنـــاه .

منهـــج البحـــث

ان حساب مقدار المقتطعات من اجور العرب من المناطق المحتلة (٦) العاملين في اسرائيل، بموجب قانون التأمين الوطني المعمول به في سرائيل ، بشكل مباشر، وحتى ضمن حدود خطأ حسابي كبير نسبيا، ولكنه قد يكون مقبولا في مثل هذا النوع من الحسابات ، ١٥٪ مثلا، امر غير ممكن كما تبين لنا . حيث ان الحساب المباشر يجب ان يعتمد على معرفة حجم الاجور ونسب المقتطعات. ولكن نسب المقتطعات الى الاجور ليست نسبا ثابتة، وانما متغيرة بين سنة واخرى . وهي تتراوح بين ٧ر٥٢ / عام ١٩٦٩ وحتى ٢٤ر٤ / عام ١٩٨٠.

وفيما يلي جدول يبين نسبة مجموع المقتطعات من اجور العاملين باجر في اسرائيل (بمن فيهم عمال المناطق المحتلة) وفق قانون التأمين الوطني الى مجموع الاجور .

جدول رقم (١)

نسبة المقتطعات من الاجور

السنة	النسبةالمئوية (٧)	السنة	النسبةالمئوية	السنة	النسبةالمئوية
١٩٦٨	٧ر٧٤	١٩٧٣	١٤ر٤٢	١٩٧٨	٢١ر٩٤
١٩٦٩	٧ر٥٢	١٩٧٤	١٥ر١٠	١٩٧٩	٢١ر٤٩
١٩٧٠	١٤ر٧٥	١٩٧٥	١٧ر٧٨	١٩٨٠	٢٤ر٤٠
١٩٧١	١٦ر١٣	١٩٧٦	١٦ر٨٨	١٩٨١	٢٣ر٤١
١٩٧٢	١٥ر٨٥	١٩٧٧	٢٠ر٧٤	١٩٨٢	٢٢ر٢٨

ان هذه النسب، وهي وان كانت صحيحة بالنسبة لاسرائيل، فانها لا تنسحب مطلقا على المناطق المحتلة. وذلك بسبب الفروق الجوهرية والكبيرة بين المجتمعين. وعلى رأسها مستوى الاجور وعدد افراد العائلة وغيرها من المعايير التي يعتمد عليها تحديد النسبة المقتطعة من الدخل للتأمينات الاجتماعية المختلفة . وعليه فان تطبيق هذه النسب من اجل حساب مقدار المقتطعات من اجور عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل، سيكون فيه مبالغة كبيرة ستصل الى ٧٠٪ اواكثر زيادة عن الحجم الحقيقي للمقتطعـات .

مثال ذلك ان تطبيق هذه النسب على عمال المناطق المحتلة سيقود الى المقتطعات التالية بملايين الدولارات : سنة ١٩٧١ مبلغ ٥ر٣٥ ، سنة ١٩٧٤ مبلغ ١ر ١٨ ، وسنة ١٩٧٩

Digitized by Birzeit University Library

مبلغ ٣٦ر٧ بينما نتائج هذه الدراسة بينت ان مقدار المقتطعات[٨] في السنوات المذكورة اعلاه على التوالي هي : ٣١ر٣ ؛ ٤١٦ر١٢ ؛ ٤٧ ر ٢٦ .

ولتجاوز هذه المعضلة ، فقد لجأنا الى حساب المقتطعات بطريقة غير مباشرة ، تقوم على الفرضية الرئيسية التالية :-

اعتبار أن متوسط مقدار المقتطعات من العامل الواحد من عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل يساوى متوسط المقتطعات للمشترك الواحد في صندوق التأمين الوطني الاسرائيلي مضروبا في نسبة متوسط اجر العامل باجر من المناطق المحتلة وبعمل في اسرائيل الى متوسط اجر الاسرائيلي العامل باجـــــــر .

متوسط اسعار تبادل (صرف) العملة

بسبب التغير السريع في سعر العمله الاسرائيلية بالمقارنة مع العملات الصعبة الاجنبية ، كالدولار الامريكي مثلا ، ونسب التضخم المالي القياسية ، وبشكل خاص منذ عام ١٩٧٥ وحتى الان (وهي تعكس الى حد كبير عمق وحجم الصعوبات المزمنة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي ، بالدرجة الاولى بسبب النفقات العسكرية الضخمة ، ونفقات الاستيطان بالاضافة الى نفقات الحروب وغيرها ...) حيث ان سعر الدولار بالنسبة الى الشاقل الاسرائيلي ازداد بأكثر من الف مرة خلال الفترة منذ عام ١٩٧٠ وحتى الان – من ٠ر٣٥ شاقل لكل دولار عام ١٩٧٠ الى اكثر من ٣٥٠ شاقل للدولار في ايلول ١٩٨٤ .

بسبب مثل هذا الوضع ، يصبح من الضروري اجراء الحسابات المتعلقة بالاسعار والاجور واية معاملات وقيم نقدية اخرى بعملة اكثر استقرارا . اى الانتقال من الحسابات على اساس العملة المحلية الاسرائيلية الى حسابات على اساس عملة مستقرة نسبيا . وقد ارتأينا اختيار الدولار الامريكي كأساس لكافة حساباتنا لجملة اسباب ليس آخرها توفر اسعار تبادله بالعملة الاسرائيلية بشكل تفصيلي يفي حاجات البحث .

وحيث ان مقتضيات البحث تفرض علينا بسبب من توفر المعطيات على هذه الصورة ، اجراء الحسابات احيانا وفق السنة التقويمية[٩] واحيانا وفق السنة المالية[١٠] فقد لزم بالضرورة ايجاد متوسط سعر الدولار بالشاقل للسنة التقويمية وكذلك للسنة المالية ، خلال الفترة الزمنية التي يغطيها البحث وهي ١٩٦٨ – ١٩٨٣ .

وبما ان اسعار تحويل الدولار ، تتوفر فقط في نهاية الاشهر السنوية ، كما يبين الجدول رقم (٢) فيجب أولا حساب سعر التحويل في منتصف الشهر وذلك بجمع سعر التحويل في نهاية الشهر الى سعر التحويل في نهاية الشهر السابق . وقسمه الناتج على اثنين ويكون متوسط السعر خلال السنة التقويمية هو المتوسط الحسابي لاسعار التحويل في منتصف شهور السنة التقويمية ، ويكون متوسط السعر خلال السنة المالية هو المتوسط الحسابي لاسعار التحويـــل في منتصف شهور السنة الماليـــــــة .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٢)

سعر الدولار

(سعر رسمي، في نهاية الشهر الوارد في الجدول)

السنة	كانون ٢	شباط	اذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	اب	ايلول	تشرين ١	تشرين ٢	كانون ١
1967	300	300	300	300	300	300	300	300	300	300	350	350
1968	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350
1969	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350
1970	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350
1971	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350	350
1972	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420
1973	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420
1974	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420	420
1975	600	600	600	600	600	612	612	624	700	700	710	710
1976	724	738	752	767	782	797	809	819	839	842	870	875
1977	898	896	927	924	941	939	966	1.009	1.027	1.036	1.529	1.538
1978	1.602	1.615	1.642	1.673	1.729	1.783	1.817	1.837	1.835	1.851	1.884	1.901
1979	1.911	1.923	2.142	2.264	2.415	2.524	2.587	2.713	2.895	3.059	3.284	3.535
1980	3.706	3.955	4.147	4.300	4.598	4.968	5.238	5.587	5.905	6.370	6.970	7.548
1981	8.063	8.655	8.869	9.489	10.797	11.676	12.150	12.770	13.440	14.065	14.960	15.604
1982	16.744	18.085	19.159	20.500	21.905	24.080	25.677	27.440	29.060	30.49	32.015	33.65
1983	35.80	37.545	39.58	41.92	44.65	47.52	50.89	58.8385	63.69	83.74	95.62	107.77
1984	123.72	137.04	153.26	180.55	201.60	236.40						

ان هذه الطريقة لحساب متوسط سعرالدولار السنوى، يبررها بالاضافة الى منطقتيها انها تعطي نتائج متطابقةتقريبا، ونتائج الحساب المبني على اساس المتوسط الحسابي للسعر

السنة التقويمية	متوسط سعر الدولار خلال السنة التقويمية	السنة المالية	السنة المالية
١٩٦٨	٠٫٣٥	٠٫٣٥	١٩٦٩ / ٦٨
٦٩	٠٫٣٥	٠٫٣٥	٦٩
١٩٧٠	٠٫٣٥	٠٫٣٥	١٩٧١ / ٧٠
٧١	٠٫٣٧٦	٠٫٣٩٤	٧٢ / ٧١
٧٢	٠٫٤٢	٠٫٤٢	٧٣ / ٧٢
٧٣	٠٫٤٢	٠٫٤٢	٧٤ / ٧٣
٧٤	٠٫٤٤٣	٠٫٤٨٨	٧٥ / ٧٤
١٩٧٥	٠٫٦٣٤	٠٫٦٦٧	١٩٧٦ / ٧٥
٧٦	٠٫٧٩٤	٠٫٨٣٦	٧٧ / ٧٦
٧٧	١٫٠٢٥	١٫٢٠١	٧٨ / ٧٧
٧٨	١٫٧٤٩	١٫٨٣٦	٧٩ / ٧٨
٧٩	٢٫٥٣٦	٣٫٠٠٧	٨٠ / ٧٩
١٩٨٠	٥٫١٠٢	٦٫٢٢٦	١٩٨١ / ٨٠
٨١	١١٫٤٢٢	١٣٫٦٥٠	٨٢ / ٨١
٨٢	٢٤٫٤٠٥	٢٨٫٩٦١	٨٣ / ٨٢
٨٣	٥٥٫٨٧٥	٧٩٫٣١٨	٨٤ / ٨٣

جدول رقم (٢)

Digitized by Birzeit University Library

خلال كل ايام السنة . و هذا يمكن تبيانه بالمقارنة مع متوسط اسعار التحويل خلال السنوات التقويمية، ٨٠، ٨١، ١٩٨٢ وهي متوفرة في المصادر الاحصائية على اساس الحساب القائم على كافة ايام السنة .

ان نتائج حساباتنا لمتوسط اسعار الدولار خلال السنوات التقويمية والمالية للفترة ما بين ١٩٦٨ – ١٩٨٣ تقدمها في الجدول المرفق رقم (٣) .

نسبة متوسط الاجر الشهرى للعاملين باجر من المناطق المحتلة ويعملون في اسرائيل الى متوسط الاجر الشهرى للاسرائيليين العاملين باجـــر

ان الجدول رقم (٤) يبين المتوسط الشهرى لعدد الوظائف[١١] بما فيها وظائف عمال المناطق المحتلة (العمود الثاني) وبدون عمال المناطق المحتلة (العمود الثالث) ومتوسط مجموع الاجور الشهرية بما فيها اجور عمال المناطق المحتلة (العمود الخامس) وبدون اجور عمال المناطق المحتلة (العمود السادس)، وكذلك متوسط الاجر الشهرى للوظيفة الواحدة للعاملين الاسرائيليين (العمود السابع)، حسب تقارير معهد التأمين الوطني حول التشغيل والاجور. وهي التقارير التي يعتمدها مكتب الاحصاء المركزى الاسرائيلي في نشراته المختلفـــــة .

بالاعتماد على هذه المعطيات يكون من السهل حساب المتوسط الشهرى لعدد وظائف المناطق المحتلة، وبالتالي حساب متوسط الاجر الشهرى للوظيفة الواحدة لعمال المناطق المحتلة، وذلك على النحو التالي :

مجموع الاجور بما فيها اجور عمال المناطق المحتلة مطروحا منها
مجموع الاجور بدون اجور عمال المناطق المحتلة ومن ثم مقسومة
على المتوسط الشهرى لعدد وظائف عمال المناطق المحتلـــة .

ان نتيجة هذه الحسابات البسيطة تظهر في العمود الثامـن . في حين ان العمود التاسع والاخير يعطينا النسبة المئوية لمتوسط الاجر الشهرى للعامل من المناطق المحتلة الى متوسط الاجر الشهرى للعامل الاسرائيلي، وهي نسبة كما يبين الجدول (٤) تتراوح ما بين ٣٣ر٥ ٪ الى ٤٦ر١ ٪ . اما معدل (المتوسط الحسابي) هذه النسبة خلال طيلة الفترة من عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٨٢ فهي (٣٩ر٤١ ∓ ٢٢ر٣) ٪ . اى قرابة ٤١ر٤ ٪ .

ولكن يجب ان نلاحظ ان هذه النسبة هي في الواقع اعلى من النسبة الحقيقية . وذلك لان المستخدم الاسرائيلي يتلقى بالاضافة الى اجره الشهرى دخلا اضافيا غير مباشر وذلك من خلال خدمات التأمين الوطني المختلفة ، مثل منحة الولادة، والمساعدات للعائلات كثيرة الاولاد والتأمين الصحي، والتأمينات الاجتماعية المختلفة، والسوبسيديا للتعليم الثانوى والجامعي وغيرها، حيث تبلغ بالاجمال ما يزيد عن ١٥ ٪ من الاجر الشهرى[١٢] . في حين لا يتلقى عمال المناطق المحتلة اى شيء من هذا القبيل . وعليه فان متوسط النسبة

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٤).

السنة	عدد الوظائف بالالاف		مجموع الاجور (بملايين الشواقل)		متوسط الاجر الشهري للوظيفة بالشاقل		
	بمن فيهم عمال المناطق المحتلة (١٣)	بدون عمال المناطق المحتلة (١٣)	عمال المناطق المحتلة	بما فيها اجور عمال المناطق المحتلة (١٣)	بدون اجور عمال المناطق المحتلة (١٣)	للعاملين الاسرائيليين (١٣)	للعاملين من المناطق المحتلة	النسبة المئوية
١٩٦٨	٧٢٠ر٥	٧١٦ر٥	٤ر٠	٤٢ر٧٥	٤٢ر٦٥	٥٩ر٥	٢٥	٤٢ر٠
٦٩	٧٨٦ر٧	٧٧٢ر٩	١٣ر٨	٤٩ر٠٨	٤٨ر٧٥	٦٣ر٠	٢٣ر٩	٣٨ر٠
١٩٧٠	٨٢٨ر٦	٨٠٨ر٣	٢٠ر٣	٥٦ر١٤	٥٥ر٦٢	٦٨ر٨	٢٥ر٦	٣٧ر٢
٧١	٨٧٥ر٣	٨٤٢ر١	٣٣ر٢	٦٨ر٣٤	٦٧ر٤٥	٨٠ر١	٢٦ر٨	٣٣ر٥
٧٢	٩١١ر٨	٨٧٠ر١	٤١ر٧	٨١ر٤٧	٧٩ر٨٧	٩١ر٠	٣٨ر٤	٤٢ر٢
٧٣	٩٣٠ر١	٨٨٦ر٨	٤٣ر٣	١٠٥ ر٢	١٠٣ ر٢	١١٦	٤٦ر٢	٣٩ر٨
٧٤	٩٤٠ر١	٨٩٦ر٧	٤٣ر٤	١٤٥ ر٠	١٤٢ ر٠	١٥٨	٦٩ر١	٤٣ر٧
١٩٧٥	٩٧٦ر٩	٩٢٩ر٠	٤٧ر٩	٢٠٩ ر٦	٢٠٤ ر٩	٢٢١	٩٨ر١	٤٤ر٤
٧٦	١٠٠٤ر٣	٩٥٩ر٧	٤٤ر٦	٢٨٦ ر٣	٢٨٠ ر٣	٢٩٢	١٣٤ر٥	٤٦ر١
٧٧	١٠٣٤ر١	٩٨٨ر٥	٤٥ر٦	٤٣٧ ر٤	٤٢٩ ر٤	٤٣٤	١٧٥ر٤	٤٠ر٤
٧٨	١٠٦٥ر٦	١٠١٦ر٦	٤٩ر٠	٦٩٣ ر٩	٦٨٠ ر٤	٦٦٩	٢٧٥ر٥	٤١ر٢
٧٩	١١٥٣ر١	١١٠٣ر٧	٤٩ر٤	١٤٣٢ ر٣	١٤٠٥ ر٠	١٢٧٣	٥٥٢ر٦	٤٣ر٤
١٩٨٠	١١٥١ر٠	١١٠٧ر٣	٤٣ر٧	٣٢٣٤ ر٦	٣١٨٠ ر٩	٢٨٧٢	١٢٢٨ر٨	٤٢ر٨
٨١	١١٨٦ر٦	١١٤٢ر٣	٤٤ر٣	٧٩٧٧ ر٨	٧٨٤٨ ر٦	٦٨٧١	٢٩١٦ر٥	٤٢ر٤
٨٢	١٢١٢ر٧	١١٦٩ر٢	٤٣ر٥	١٧٨٥١ ر٧	١٧٥٦٥ ر٦	١٥٠٢٤	٦٥٧٧ر٠	٤٣ر٨

المئوية الحقيقية لمتوسط اجر العامل باجر من المناطق المحتلة الى متوسط اجر العامل باجر في اسرائيل ، لا تكاد تصل الى ٣٦ ٪ فقـــط .

Digitized by Birzeit University Library

سعـر الفائـدة البنكيـــة

ان تحديد القيم الحقيقية المستحقة للعمال العرب العاملين في اسرائيل من التأمين الوطني الاسرائيلي بدل المقتطعات من اجورهم يتطلب بالضرورة حساب الفوائد البنكية على مستحقاتهـــم .

ان حساب الفوائد البنكية يتطلب بدوره تحديد سعر الفائدة البنكية. ولتحديدها قمنا برصد سعر الفائدة البنكية على الدولار للمبالغ التي يتم رصدها لمدة سنة واحدة وتتراوح ما بين ٥٠ الفا الى ١٠٠ الف دولار . وذلك خلال المدة الممتدة ما بين ١٦ / ١١ / ١٩٨٢ وحتى ١٤/ ٩ / ١٩٨٤ . والنتائج لخصت في الجدول رقم (٥) .

وقد قمنا بايجاد المتوسط الحسابي لاسعار الفائدة المسجلة في الجدول وانحرافها المعياري فكانت (٧ر٨ ∓ ٢ر١) ٪ . وعليه فقد اعتمدنا في حساباتنا التالية سعر فائدة بنكية يساوى ٧ر٨ ٪ سنويـــا .

ولكن وبهذا الخصوص تجدر ملاحظة ان سعر الفائدة البنكية كانت تميل الى الارتفاع خلال العقدين الاخيرين ، اى ان سعر الفائدةلم يكن يصل في بداية المدة التي تهمنا ، اى السنوات الاولى للاحتلال ، الى ٧ر٨٪ بالتأكيد على مبالغ يتراوح مقدارها ما بيـــن ٥٠ ــ ١٠٠ الف دولار ولمدة سنة واحـــدة .

جدول رقم (٥)
سعر الفائدة البنكية [١٤]

التاريخ	سعرالفائدة البنكيـــه [١٥]	التاريخ	سغر الفائدة البنكيـــة	التاريخ	سعر الفائدة البنكيـــة
١٩٨٢/١١/١٦	٨ر٣٧٥	٨٣/٦/١٥	٨ر٠٠٠	٨٤/٢/١٥	٨ر٢٥٠
١٢/١٥	٧ر٨٧٥	٨/ر٣١	٨ر٨٧٥	٣/١٥	٨ر٨٧٥
		٩/١٥	٨ر٥٠٠	٤/١٥	٩ر٢٥٠
١٩٨٣/١/١٦	٧ر١٢٥	١٠/١٤	٨ر٠٠٠	٥ر١٥	١٠ر٧٥٠
٢/١٥	٧ر٦٢٥	١١/١٥	٨ر١٢٥	٦/١٥	١١ر٠٠٠
٣/١٥	٧ر٥٠٠	١٢/١٥	٨ر٧٥٠	٧/١٧	١١ر٠٠٠
٤/١٥	٧ر٥٠٠			٨ر١٥	١٠ر٣٧٥
٥/١٥	٧ر٠٠٠	٨٤/١/١٥	٨ر٢٥٠	٩/١٤	١٠ر٢٥٠

ولكن ومن جهة ثانية ، فان المبالغ التي يجرى حساب الفائدة عليها مبالغ اكثر بكثير من مئة الف دولار ، حيث ان اصغرها يبلغ ٢٧٦ الف دولار وتتصاعد سنويا لتصل الى ١٠٢ مليون دولار (انظر الجدول رقم ٦) وكذلك فان مدة الاستثمار ليست سنة واحدة فقط وانما هي مدد تتراوح ما بين ١٦ سنة وحتى سنة واحدة .

Digitized by Birzeit University Library

ولذلك فان اعتبار سعر الفائدة البنكية ٧ر٨ ٪ لمثل هذه المبالغ الكبيرة ولمثل هذه الفترات الاستثمارية الطويلة فيه ميل واضح للتقليل من سعر الفائدة الحقيقية ، وذلك كي لا نتهم من قبل احد بالميل للمبالغة في مستحقات العمال العرب او الميل في نفخ الارقام . ومن جهة ثانية من اجل ان نبقى ضمن دائرة اليقين التي يتطلبها البحث العلمي ، وبالاخص في مثل هذا النوع من الحسابات ، المستند الى الكثير من المعطيات والمعلومات الاحصائية ، وهي بالضرورة تقريبية وبالتالي فان الخطأ القياسي (الحسابي) ضرورة موضوعية . وعليه فان الهدف ليس تجنب الخطأ وانما تقليل نسبتـــــــه .

المقتطعـات ودخـل التأميـن الوطنـــي

وفق قانون التأمين الوطني المعمول به في اسرائيل ، يقتطع بشكل تلقائي والزامي من اجور كافة العاملين باجر جزء من اجرهم لقاء التأمين الوطني والتأمين الاجتماعي والتأمين

תלוש לעובד حساب للعامل

[illegible] שנה	מס׳ המעסיק رقم صاحب العمل	שם המעסיק اسم صاحب العمل	מס׳ זהות رقم الهوية	שם פרטי الاسم	שם המשפחה اسم العائلة
02	28232	משה עמי	938836350		

מדור دائرة الدفع	מס׳ [illegible] رقم [illegible]	[illegible]	ח ם	ילדים	תעריף יומי الاجرة اليومية	שנה السنة	חודש الشهر	ימי הופעה ايام الدفع		ימי עבודה ايام العمل
רמת גן	14238761		1	0	40000	84	03	26	0	26

ע״ה שכר مجموع الاجرة	שעות נוספות ساعات اضافية	[illegible]	[illegible]	תוס׳ לא חייבות [illegible] غير خاضعة للتامين الوطني	תוספת اضافية	סה״כ ברוטו المجموع الكلي	שווה כסף استفادة
3640000	0	0	0	0	00	3640000	0

[illegible]	ביטוח לאומי تأمين وطني	[illegible]	[illegible]	מס הכנסה ضريبة الدخل	[illegible]	סה״כ ניכויים مجموع الخصميات	לתשלום للدفع
9	162820	36400	181840	52575	20000	3041810	598190

938836350

0384 26

135000

שרות התעסוקה
مصلحة الاستخدام دائرة الدفع

حساب اجرة احد العمال عن شهر آذار ١٩٨٤
مجموع الاجرة — ٣٦٤٠٠ شاقل (٢٣٧ر٥ دولار)
ضريبة دخل — ٥٢٥٧ر٥ شاقل (٣٤ر٣ دولار) وتعادل ١٤ر٤٤ ٪ من الاجرة

تأمين وطني — ١٦٢٨ر٢ شاقل (١٠ر٦ دولار) وتعادل ٤ر٤٧ ٪ من الاجرة .
تأمين اجتماعي — ١٨١٨ر٤ شاقل (١١ر٩ دولار) وتعادل ٥ ٪ من الاجرة .
خدمات صحية — ١٣٥٠ر٠ شاقل (٨ر٨ دولار) وتعادل ٣ر٧١ ٪ من الاجرة .
مجموع التأمينات — ٤٧٩٦ر٦ شاقل (٣١ر٣ دولار) وتعادل ١٣ر١٨ ٪ من الاجرة.

Digitized by Birzeit University Library

الصحي ، وهذا ينسحب بالطبع على عمال المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل عن طرق مكاتب العمل ، او مسجلون لدى هذه المكاتب ، بالاضافة الى هذه المقتطعات فان صاحب العمل ملزم بدفع مبالغ معينة يحددها قانون التأمين الوطني لقاء المبالغ المقتطعة من العمال المستخدمين لديه وكذلك فان الحكومة الاسرائيلية ملزمة وفق نفس القانون بالمساهمة في صندوق التأمين الوطني بمبالغ يحددها القانـــون .

ان احصائيات معهد التأمين الوطني ، وهي الاحصائيات المعتمدة من قبل دائرة الاحصاءات المركزية الاسرائيلية تقدم الاحصائيات بخصوص عدد المؤمنين (عدد المشتركين في صندوق التأمين الوطني) وكذلك حجم المقتطعات السنوية بملايين الشواقل ومجموع دخل صندوق التأمين الوطني سنويا ، وبالطبع دون فصل ما يخص المناطق المحتلة عن اسرائيل في هذه المعطيات .(١٦)

فمن اجل حساب ما يخص المناطق المحتلة ، اى حجم المقتطعات من اجور العمال العرب من المناطق المحتلة ، قمنا بالخطوات الحسابية التالية بالترتيب ، وهي متضمنة في الجدول رقم (٦) :

١) تحديد متوسط سعر الدولار الامريكي خلال السنوات المالية بدءا من ١٩٦٩/٦٨ وحتى ١٩٨٤/٨٣ .

٢) تحديد حجم المقتطعات السنوية بملايين الدولارات ، (العمود رقم ٥)

٣) حساب متوسط المقتطعات للمؤمن الواحد بالدولار سنويا (عمود رقم ٦) وذلك بقسمة مقدار المقتطعات السنوية بالدولار على عدد المشتركين في صندوق التأمين الوطنـــي .

٤) تحديد مجموع دخل صندوق التأمين الوطني سنويا بملايين الدولارات (عمود رقم ٨)

٥) حساب متوسط حصة المؤمن من الدخل السنوى لصندوق التأمين الوطني بالدولار ، وذلك بقسمة المعطيات في العمود ٨ على المعطيات المقابلة في العمود ٣ .

٦) حساب متوسط المقتطعات السنوية من العامل الواحد من عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل بالدولار (عمود رقم ١١) وذلك بضرب متوسط المقتطعات للمؤمن الواحد بالدولار (عمود رقم ٦) في نسبة اجر العامل باجر من المناطق المحتلة ويعمل في اسرائيل الى اجر العامل باجر الاسرائيلي (عمود رقم ١٠) .

٧) حساب متوسط الحصة السنوية للعامل الواحد من عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل من دخل صندوق التأمين الوطني بالدولار (عمود رقم ١٢) وذلك بضرب متوسط حصة المؤمن من دخل صندوق التأمين الوطني بالدولار (عمود رقم ٩) في نسبة اجر العامل باجر من المناطق المحتلة الى اجر العامل باجر الاسرائيلـــي (عمود رقم ١٠)

٨) تحديد عدد العاملين باجر من عمال المناطق المحتلة في اسرائيل عمود رقم ١٣) انظر الملاحظة رقم ٧) .

٩) حساب المقتطعات السنوية من عمال المناطق المحتلة بملايين الدولارات (عمود رقم ١٤)

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٦)

١ السنة المالية (١)	٢ سعر صرف الدولار حلال السنة المالية (بالشاقل)	٣ عدد المؤمنين (٢) (بالالاف)	٤ المقتطعات (٣) (بملايين الشواقل)	٥ (بملايين) بالدولارات	٦ متوسط المقتطعات للمؤمن الواحد بالدولارات	٧ مجموع دخل صندوق التأمين الوطني (٤) بملايين الشواقل	٨ بملايين بالدولارات	٩ متوسط حصة المؤمن من دخل الصندوق وعمل في اسرائيل الى احر العامل باجر الاسرائيلي بالدولارات	١٠ نسبة اجر العامل باجر الاسرائيلي ٪
١٩٦٩/٦٨	٣٥ر٠	٩٤٠	٣٩٫٧	١١٣٫٤	١٢٠٫٦	٥٤٫١	١٥٤٫٦	١٦٤٫٥	٤٢٫٠
٧٠/٦٩	٣٥ر٠	١٠٠٠	٤٤٫٣	١٢٦٫٦	١٢٦٫٦	٦٠٫١	١٧١٫٧	١٧١٫٥	٣٨٫٠
١٩٧١/٧٠	٣٥ر٠	١٠٦٠	٩٩٫٤	٢٨٤٫٠	٢٦٧٫٩	١٢٨٫٦	٣٦٧٫٤	٣٤٦٫٦	٣٧٫٢
١٩٧٢/٧١	٣٩٤ر٠	١١٢٥	١٣٢٫٣	٣٣٥٫٨	٢٩٨٫٥	١٥٧٫٦	٤٠٠٫٠	٣٥٥٫٦	٣٣٫٥
٧٣/٧٢	٤٢ر٠	١١٨٠	١٥٥٫٠	٣٦٩٫٠	٣١٢٫٧	٢٠٣٫٦	٤٨٢٫٤	٤٠٨٫٨	٤٢٫٢
٧٤/٧٣	٤٢ر٠	١٢٣٠	١٨٢٫٠	٤٣٣٫٢	٣٥٢٫٣	٣٣٨٫٨	٨٠٦٫٧	٦٥٥٫٩	٣٩٫٨
٧٥/٧٤	٤٨٨ر٠	١٢٦٠	٢٦٢٫٧	٥٣٨٫٣	٤٢٧٫٢	٥٩٦٫٤	١٢٢٫١	٩٩٦٫٩	٤٣٫٧
١٩٧٦/٧٥	٦٦٧ر٠	١٣٠٠	٤٤٧٫٢	٦٧٠٫٥	٥١٥٫٨	٧٣٥٫٦	١١٠٢٫٨	٨٤٨٫٣	٤٤٫٤
٧٧/٧٦	٨٣٦ر٠	١٣٦٠	٥٧٩٫٩	٦٩٢٫٧	٥١٠٫١	١٢٣٢٫٧	١٤٧٤٫٥	١٠٨٤٫٢	٤٦٫١
٧٨/٧٧	٢٠١ر١	١٣٨٠	١٠٨٨٫٥	٩٠٦٫٣	٦٥٦٫٧	٢٢١٦٫٢	١٨٤٥٫٣	١٣٣٧٫٢	٤٠٫٤
٧٩/٧٨	٨٣٦ر١	١٤١٠	١٨٢٦٫٥	٩٩٢٫٨	٧٠٥٫٥	٣٨٩٫٣	٢١٣٢٫٣	١٥٠٥٫٨	٤١٫٢
٨٠/٧٩	٣٫٠٠٧	١٤٧٠	٣٦٩٣٫٠	١٢٣٨٫٠	٨٣٥٫٤	١١٤٧٦٫٥	٣٨١٦٫٦	٢٥٩٦٫٣	٤٣٫٤
١٩٨١/٨٠	٦٫٢٢٦	١٦٣٦	٩٤٧٠٫٠	١٥٢١٫٠	٩٢٩٫٧	٢٨٣٩٫٣	٤٥٤٥٫١	٢٧٧٨٫٢	٤٢٫٨
٨٢/٨١	١٣٫٦٥٠	١٦٩٣	٢٢٤١٦٫٠	١٦٤٢٫٢	٩٧٠٫٠	٥٧٤٤١٫٣	٤٢٠٨٫١	٢٥٨٥٫٦	٤٢٫٢
٨٣/٨٢	٢٨٫٩٦١	١٧١٩	٤٧٧٣٨٫٣	١٦٤٨٫٤	٩٥٨٫٩	١٥١٧٠٧٫٣	٥٢٣٨٫٣	٣٠٤٧٫٣	٤٣٫٨
٨٤/٨٣	٧٩٫٣١٨								

١) السنة المالية تبدأ من الاول من شهر نيسان وحتى الاول من نيسان التالي .

٢) يشمل عدد المشتركين في التأمين الوطني في اسرائيل وعمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل عن طريق مكاتب العمـــل .

٣) ما يقتطع من اجور العاملين ومن اصحاب العمل كرسوم اشتراك في صندوق التأمين الوطني وفق قانون التأمين الوطني وهي لا تتضمن مقتطفات ضريبة الدخـــل .

٤) ويشتمل على المقتطفات حسب قانون التأمين الوطني مضافا اليها مساهمة الحكومة في صندوق التأمين الوطني وفق نفس القانون ومضافا اليها كذلك فوائد مختلف الاستثمارات وغيرها من المداخيل المتفرقة. ولا تشتمل على ما تقدمه الوكالة اليهودية والحكومة الاسرائيلية الى الدفعات غير الاكتتابية ـــــ

(Provision of Jewish Agency and Government to non-contributory payments) .

٥) حسبت بضرب سبوط المقتطعات للمؤمن الواحد في نسبة اجر العامل باجر من المناطق المحتلة ويعمل في اسرائيل الى اجر العامل باجر الاسرائيلـــي .

٦) حسبت بضرب متوسط حصة المؤمن من دخل صندوق التأمين الوطني في نسبة اجر

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٦)

١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
متوسط الفنطاب من العامل الواحد الواحد من عمال (٥) المناطق المحتلة	متوسط حصة العامل الواحد من عمال المناطق المحتلة من دخل صندوق التأمين الوطني (٦)	عدد العاملين (٧) باجر من عمال المناطق المحتلة في اسرائيل	الفنطاب السنوية من عمال المناطق المحتلة	حصة عمال المناطق المحتلة السد ومدر مجموع دخل صندوق التأمين الوطني	عدد سنوات الاستثمار البنكي حتى ٨٤/٩/٣٠	الفائدة البنكية على حصة عمال المناطق المحتلة حتى ٨٤/٩/٣٠	المبالغ الاجمالية المستحقة حتى ٨٤/٩/٣٠
بالدولارات	(بالدولار)	(بالالاف)	(بملايين الدولارات)	(بملايين الدولارات)			
٥٠ر٧	٩ر١	٤ر٠	٠ر٢٠٣	٠ر٢٧٦	١٦	٠ر٧٧٣	١ر٠٤٩
٤٨ر١	٦٥ر٢	٩ر٥	٠ر٤٥٧	٠ر٦١٩	١٥	١ر٥٤٤	٢ر١٦٣
٩٩ر٧	١٢٨ر٩	١٩ر٨	١ر٩٧٤	٢ر٥٥٢	١٤	٥ر٦٥٣	٨ر٢٠٥
١٠٠ر٠	١١٩ر١	٣٣ر١	٣ر٣١٠	٣ر٩٤٢	١٣	٧ر٧١٨	١١ر٦٦٠
١٢٢ر٠	١٧٢ر٥	٥٠ر٨	٦ر٧٠٦	٨ر٧٦٣	١٢	١٥ر٠٨٣	٢٣ر٨٤١
١٤٠ر٢	٢٦١ر٠	٥٩ر٣	٨ر٣١٤	١٥ر٤٧٧	١١	٢٣ر٢٦٨	٣٨ر٧٤٥
١٨٦ر٧	٤٢٣ر٨	٦٦ر٥	١٢ر٤١٦	٢٨ر١٨٣	١٠	٣٦ر٧٢٣	٦٤ر٩٠٦
٢٢٩ر٠	٣٧٦ر٦	٦٣ر٩	١٤ر٦٣٣	٢٤ر٠٦٥	٩	٢٦ر٩٢١	٥٠ر٩٨٦
٢٣٥ر٢	٤٩٩ر٨	٦٣ر٢	١٤ر٨٦٥	٣١ر٥٨٧	٨	٢٩ر٩٨	٦١ر٥٦٧
٢٤٥ر٣	٥٤٠ر٢	٦٢ر٠	١٦ر٤٤٩	٣٣ر٤٩٢	٧	٢٦ر٥٦٣	٦٠ر٠٥٥
٢٩٠ر٧	٦٢٠ر٤	٦٧ر٠	١٩ر٤٧٧	٤١ر٥٦٧	٦	٢٧ر٠٠٢	٦٨ر٥٦٩
٢٦٢ر١	١١٢٦ر٨	٧٣ر٠	٢٦ر٤٧٠	٨٢ر٢٥٦	٥	٤٢ر٥٧٣	١٢٤ر٨٢٩
٢٩٢ر٩	١١٨٩ر١	٧٣ر٢	٢٩ر١٢٦	٨٧ر٠٤٢	٤	٣٤ر٤٧٨	١٢١ر٥٢٠
٤١٨ر٤	١٠٥٣ر٩	٧٣ر٩	٣٠ر٣٩٥	٧٧ر٨٨٣	٣	٢٢ر١٤٧	١٠٠ر٠٣٠
٤٢٠ر٠	١٣٣٤ر٧	٧٦ر٦	٣٢ر١٧٢	١٠٢ر٢٣٨	٢	١٨ر٥٦٣	١٢٠ر٨٠١
			٢١٦ر٩٦٧	٥٣٩ر٩٤٢		٣١٨ر٩٨٩	٨٥٨ر٩٣١
						تقديري	١٢٠ر٨٠١
						المجموع	٩٧٩ر٧٣٢

العامل باجر من المناطق المحتلة ويعمل في اسرائيل الى اجر العامل باجر الاسرائيلي.

٢) العاملين باجر ـ (Employees) تستحق الملاحظة انه كثيرا ما يتم الخلط، في العديد من الترجمات والاحصائيات والاوراق والابحاث المنشورة بالعربية، لدى الحديث عن العمال عن الطبيعة العاملة وبشكل خاص عن العمال العرب من المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل بين العاملين باجر (Employees) وهم الاشخاص الذين استخدموا من قبل آخرين مقابل اجر يومي او راتب شهري، او على القطعة او اي شكل آخر للدفع وبين المستخدمين Employed. وهم الاشخاص الذين استغلوا اي عمل كان لمدة ساعة واحدة على الاقل مقابل اجر او ربح خلال الاسبوع الذي اخذت فيه العينة الاحصائية وبين من يطلق عليهم قوة العمل Labour force وهم الاشخاص الذين تبلغ اعمارهم ١٤ سنة واكثر من المستخدمين Employed او العاطلين عن العمل ـ Unemployed

Digitized by Birzeit University Library

وذلك بضرب متوسط المقتطعات السنوية من العامل الواحد من عمال المناطق (عمود رقم ١١) في عدد العاملين باجر في اسرائيل من عمال المناطق المحتلة (عمودرقم ١٣)

١٠) حساب حصة عمال المناطق المحتلة السنوية من مجموع دخل صندوق التأمين الوطني بملايين الدولارات (عمود رقم ١٥) وذلك بضرب متوسط حصة العامل الواحد من عمال المناطق المحتلة (عمود رقم ١٢) في عدد العاملين باجر في اسرائيل من عمال المناطق المحتلة (عمود رقم ١٣) .

١١) تحديد عدد سنوات الاستثمار البنكي للمبالغ السابقة لو استثمرت في البنوك (عمود رقم ١٦) وحيث ان السنة المالية تمتد من الاول من نيسان وحتى ٣١ آذار التالي ، فان منتصف السنة المالية يكون في نهاية الشهر المالي السادس اى في ٣٠ / ايلول من كل سنـــــة .

وقد اعتبرنا كما لو ان كل المبلغ السنوى قد وضع في البنك في منتصف السنة. ان هذا تقريب جيد لان المبالغ تقتطع وترصد في البنك على ١٢ دفعة ، دفعة في آخر كل شهر وحيث ان الفائدة البنكية مركبة وليست بسيطة من جهةولكن من جهة ثانية فان الاقساط الشهرية تتزايد على العموم ، فبالتالي يبقى مركز الثقل قريبا من منتصف السنة المالية.

١٢) حساب مقدار الفائدة البنكية على حصة عمال المناطق المحتلة السنوية من مجموع دخل صندوق التأمين الوطني بواقع فائدة بنكية مقدارها ٨ر٧ ٪ سنويا (عمود رقم ١٧) .

١٣) المبالغ المستحقة للعمال العرب من المناطق المحتلةحتى ١٩٨٤/٩/٣٠ ، بما فيها الفوائد البنكية (عمود رقم ١٨) وهي حاصل جمع العمودين ١٥ و ١٧ .

xxxxxx

وهكذا وبدون حساب مبالغ السنة المالية ١٩٨٤/٨٣ ، التي لم تتوفر الاحصائيات الكاملة عنها بعد يكون مجموع المقتطعات السنوية من عمال المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل مبلغ ٢١٦ر٩٦٧ مليون دولار ومجموع حصة عمال المناطق المحتلة من مجموع دخل صندوق التأمين الوطني مبلغ ٥٣٩ر٩٤٢ مليون دولار ومجموع الفوائد البنكية المستحقة بواقع سعر فائدة مقداره ٨ر٧/ سنويا ، مبلغ ٣١٨ر٩٨٩ مليون دولار، وبالتالي يكون مجموع المبالغ المستحقة عن سنوات ٦٩/٦٨ — ٨٢ / ١٩٨٣ لعمال المناطق المحتلة حتى تاريخ ١٩٨٤/٩/٣٠، هو ٨٥٨ر٩٣١ مليون دولار .

واذا ما اعتبرنا ان المبلغ الاجمالي المستحق عن السنة المالية ٨٣ / ١٩٨٤ مساو لمبلغ السنة السابقة ١٩٨٣/٨٢، اى ١٢٠ر٨مليون دولار وذلك بالقياس على السنوات الاربع السابقة يكون المبلغ الاجمالي النهائي المستحق عن كل الفترة السابقة هو حوالي ٩٨٠ مليـــون دولار .

ولا بد من الاشارة هنا مجددا بان كل هذه الحسابات ، وبالتالي نتائج هذه الحسابات ، اى المبالغ الاجمالية المستحقة لا تتضمن ضريبة الدخل ، التي تتراوح بين ١٢ ٪ الى ٢٠ ٪ من اجور العمال ، وبالتالي فان المقتطعات وفق قانون ضريبة الدخل وفوائدها خلال سنوات الاحتلال قد تصل في حجمها الى مبلغ يساوى او يزيد عن المبلغ المستحق بفعل مقتطعات

Digitized by Birzeit University Library

التأمين الوطنـــي .

وفي الخلاصة ، ماذا يعني مبلغ بحجم ٩٨٠ مليون دولار بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة ؟ ان استثمار مثل هذا المبلغ في الميادين المنتجة كالصناعة الخفيفة والزراعة والبناء والسياحة وغيرها ، وبمستوى التكنيك والتطور الذى يتناسب وواقع المناطق المحتلة ، يعني خلق اكثر من ٦٥ الف فرصة عمل (بمتوسط ١٥ الف دولار لكل فرصة عمل) اى تقديم فرص عمل لـ ٨٥ ٪ من عمال المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل حاليا .

ومن جهة ثانية اذا ما استمر مثل هذا المبلغ في ميدان البناء السكني فانه يكفي لبناء ٥ ملايين متر مربع من الابنية السكنية ، اى تقديم حل جذرى للمشكلة السكنية في المناطق المحتلـــــــة .

المراجـــــع :

١) حسبت تقريبيا بالاعتماد على الاحصاءات الرسمية عن عدد عمال المناطق المحتلة الذين عملوا في اسرائيل سنويـــا .

٢) منظمة العمل الدولية ـ مؤتمر العمل الدولي ١٩٨٤ . "قرار بشأن آثار المستوطنات الاسرائيلية في فلسطين وغيرها من الاراضي العربية المحتلة فيما يتعلق بوضع العمـــال العـرب" . الفقرة ٦٥ .

٣) المصدر السابق ، الفقرة ٦٥ .

٤) يشمل قانون التأمين الوطني ما يلي :

أ) راتب التقاعد ٧٠ سنة للرجال و ٦٥ للنساء ويمكن ان يدفع في بعض الحالات الخاصة وفي ظروف معينة قبل خمس سنوات ، والتقاعد يعادل ١٦ / من متوسط الاجر الشهري كما يحدده صندوق التأمين الوطني للاعزب و٢٤ / للمتزوج و ٥ / لكل من الطفلين الاول والثاني .
ويدفع راتب التقاعد كذلك لارملة المقيد المؤمن واولاده .

ب) دفعات للمقعدين الغير قادرين على العمل لسبب صحي او عقلي او نفسي .

ج) دفعات مقابل اصابات العمل المؤقتة والدائمـــة .

د) مكافآت الـــولادة .

هـ) دفعات للعاطلين عن العمل في حالة البطالة .

و) دفعات لمن هو في الاحتياط لدى الجيش الاسرائيلي في فترة دعوته للخدمة الفعلية في حالات الطوارئ وحالات اخرى .

٥) كما هو الحال ، مع رؤية العارق بالطبع ، بسعار التمسك بقرار هيئة الامم المتحدة بخصوص حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة او قبول التعويضات عن ممتلكاتهم المتروكـــــة .

٦) بدون القدس الشرقية ، حيث انها في هذه الدراسة غير معنيين بالعاملين في القدس الشرقية وذلك كونهم يستفيدون من خدمات قانون التأمين .

٧) هذه النسب يمكن حسابها بسهولة بالاعتماد على المعطيات الواردة في الجداول اللاحقة في هذه الدراســـة (جدول رقـــم ٦٠٤) .

Digitized by Birzeit University Library

٨) انظر الجدول رقم ٦ .

٩) السنة التقويمية هي السنة الشمية وتبدأ في الاول في كانون ثاني وتنتهي في ٣١ كانون اول .

١٠) السنة المالية وتبدأ في الاول من نيسان وتنتهي في ٣١ آذار الثاني .

١١) عدد الوظائف – Employees Posts هي عدد العاملين باجر ، الدائمين والمؤقتين الذين يظهرون على جداول معهد التأمين الوطني كل شهر . وقد يحسب العامل الواحد اكثر من مرة اذا غير مكان عمله خلال ذلك الشهر . وفيما يتعلق بعدد وظائف عمال المناطق المحتلة فيظهر منهم هنا فقط اولئك الذى يعملون عن طريق مكاتب العمل وبالتالي يتلقون اجورهم عن طريقها ، حيث ان اصحاب العمل ممنوعين من دفع الاجور مباشرة للعمال . ان عدد الوظائف بالنسبة لعمال المناطق المحتلة لا تعطي اى مدلول حقيقي عن عدد العمال العرب العاملين في اسرائيل ، بعكس ما هو عليه الحال في اسرائيل نفسها ، فهي اقل بكثير من عدد العمال الحقيقي ولا تمثل الا قرابة ٦٠ ٪ فقط من العدد الحقيقي (وعلى سبيل المثال في عام ١٩٨١ كان عدد الوظائف ٤٤ر٣ الفا في حين ان عدد العاملين باجر في اسرائيل كان ٧٣ر٩ الفا) اما بشكل عام ، اى فيما يتعلق بالعدد الاجمالي للوظائف بما فيها وظائف عمال المناطق فان عدد العمال اقل من عدد الوظائف بنسب تتراوح بين ٦ الى ١٠ في المائة .

الجدول التالي يبين

نسبة عدد الوظائف الى عدد العاملين باجر

١٩٧٥	١ر٠٩٦
٧٧	١ر٠٧٢
٧٩	١ر٠٨٣
٨١	١ر٠٦٥

١٢) يمكن الحصول على هذه السنة من خلال حساب متوسط حصة المستخدم الاسرائيلي من مصروفات التأمين الوطني . وهي قد بلغت في عام ١٩٨١ مثلا ، قرابة ١٥ الف شاقل ،

13) Statistical Abstract of Israel 1983 No 34 P. 391

اى ما يزيد عن اجر شهرين في ذلك العام .

١٤) النشرة اليومية لاسعار العملات وسعر الفائدة البنكية التي يصدرها بنك هبوعليم .

١٥) سعر الفائدة البنكية على مبالغ تتراوح مقدارها ما بين ٥٠ – ١٠٠ الف دولار ولمدة سنة واحدة .

16) Statistical Abstract of Israel 1970 -1984 : No -No 21 - 24

Digitized by Birzeit University Library

ملحق رقم (١) جدول رقم (٧)

السنة	متوسط سعر تحويل الدولار (بالشاقل)	عدد العاملين باجر (بالالاف)	متوسط الاجر اليومي (بالشاقل)	متوسط الاجر اليومي (بالدولار)	مجموع الاجور * بملايين الشواقل	مجموع الاجور * بملايين الدولارات	نسبة المقتطعات الى الاجور
١٩٦٨	٣٥ ر٠						
٦٩	٣٥ ر٠	٩ر٥	١ر٠٣	٢ر٩٤	٢ر٨١٨	٨ر٠٤٣	٧ر٥
١٩٧٠	٣٥ ر٠	١٩ر٨	١ر١٨	٣ر٣٧	٦ر٧٢٩	١٩ر٢١٧	١٠ر٣
٧١	٣٧٦ ر٠	٣٣ر١	١ر٣٤	٣ر٥٦	١٢ر٧٧٤	٣٣ر٩٧٣	٩ر٧
٧٢	٤٢ ر٠	٥٠ر٨	١ر٧٢	٤ر١٠	٢٥ر١٦٤	٥٩ر٩٨٤	١١ر٢
٧٣	٤٢ ر٠	٥٩ر٣	٢ر٢٩	٥ر٤٥	٣٩ر١١٠	٩٣ر٠٧٧	٨ر٩
٧٤	٤٤٣ ر٠	٦٦ر٥	٢ر٩١	٦ر٥٧	٥٥ر٧٣٢	١٢٥ر٨٠٦	٩ر٩
١٩٧٥	٦٣٤ ر٠	٦٣ر٩	٤ ر٣	٦ر٧٨	٧٩ر١٣٤	١٢٤ر٨١٧	١١ر٧
٧٦	٧٩٤ ر٠	٦٣ر٢	٥ ر٣	٦ر٦٨	٩٦ر٤٦٨	١٢١ر٤٩٦	١٢ر٢
٧٧	١ر٠٢٥	٦٢ر٠	٧ ر١	٦ر٩٣	١٢٦ر٧٧٧	١٢٣ر٦٨٥	١٣ر٣
٧٨	١ر٧٤٩	٦٧ر٠	١١ر٠٨	٦ر٣٤	٢١٣ر٨٠٠	١٢٢ر٢٤١	١٥ر٩
٧٩	٢ر٥٣٦	٧٣ر٠	٢٠ ر٩	٨ر٢٤	٤٣٩ر٤٠٢	١٧٣ر٢٦٦	١٥ر٣٠
١٩٨٠	٥ر١٠٢	٧٣ر٢	٤٠ر٥	٧ر٩٤	٨٥٣ر٨٠٥	١٦٧ر٣٤٧	١٧ر٤
٨١	١١ر٤٢٢	٧٣ر٩	١٠٨ ر٢	٩ر٤٧	٢٣٠٢ ر٨٤	٢٠١ر٦١٤	١٥ر١
٨٢	٢٤ر٤٠٥	٧٦ر٦	٢٤٧ ر٠	١٠ر١٢	٥٤٤٩ر٠٢	٢٢٣ر١٧٥	١٤ر٤

* اعتبرنا عدد ايام العمل السنوية ٢٨٨ يوما ،اى ما يعادل ٢٤ يوم عمل شهريا

Digitized by Birzeit University Library

ملحق (٢) عدد عمال المناطق المحتلة (باستثناء القدس الشرقية) والعاملين في اسرائيل

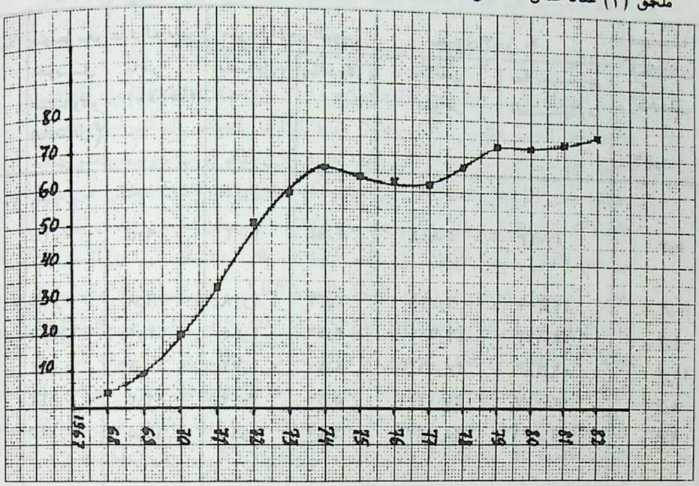

ملحق رقم (٣) مجموع عمال المناطق المحتلة(باستثناء القدس الشرقية)العاملين في اسرائيل

Digitized by Birzeit University Library

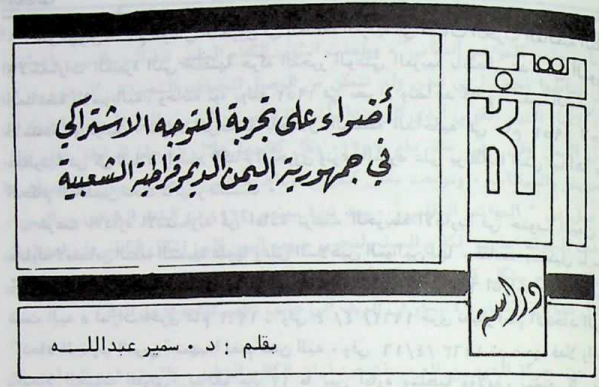

في الثلاثين من تشرين الثاني تصادف الذكرى السابعة عشرة لاستقلال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، ان النجاح العظيم الذى حققه الثورة اليمنية بقيادة حزب الطبقة العاملة الاشتراكي اليمني ، يجب ان تتوقف كل المخلصين لقضية الطبقة العاملة والمناضلين من اجل دكتاتورية البروليتاريا وانتصار الاشتراكية ، ان الثورة اليمنية تمدد حلاي يستدعي الوقوف عنده واستخلاص العبر العظيمة في مسيرة كل المناضلين الوطنيين التقدميين ، ودراسة الدكتور سمير عبدالله تعتبر اسهاما في هذا الاتجاه .

الكاتب

- ١ -

الاستقلال السياسي وقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

دخل المستعمرون البريطانيون عدن عام ١٨٢٩ والحقوها بحكومة الهند البريطانية ، وجرى فصلها عن بقية اجزاء اليمن التي ظلت تابعة للحكم التركي . وفي عام ١٨٥٠ حولوا ميناءها الى ميناء حر . وفي ١٨٨٦ فصلوها عن حكومة الهند البريطانية ووضعوها تحت سيطرة التاج الملكي البريطاني مباشرة نظرا لازدياد الاهمية الاستراتيجية لميناءها بعد فتح قناة السويس . وفي عام ١٩٥٧ اصبحت مقرا لقيادة القوات البريطانية في منطقة شبه الجزيرة العربية . وفي عام ١٩٦١ نقلت بريطانيا مقر قيادة قواتها في الشرق الاوسط من قبرص الى عدن ، وكثفت تواجدها العسكرى فيها اذ نقلت اليها قسما من قواتها التي رحلت من قناة السويس والعراق وغيرها من البلدان التي طردت القوات البريطانية منهـا .

لم تثر المناطق الداخلية في اليمن اهتمام المستعمرين البريطانيين في اول الامر . وركزت اهتمامها الاساسي على ميناء عدن الاستراتيجي "الذى لا يقدر بثمن" كما وصفه السير روبرت جرانت (١) حاكم بومبي في احد رسائله الى رئيس مجلس ادارة شركة الهند الشرقية في ٢٧ /٢/ ١٨٣٨ . وبقيت المناطق الداخلية تحت سيطرة الاقطاعيين من الامراء والسلاطين المحليين من ذوى العلاقة الوطيدة بالمستعمريـــن .

Digitized by Birzeit University Library

اثر نهوض الكفاح الوطني التحرري في المنطقة العربية في اعقاب الحرب العالمية الثانية والانتصارات الكبيرة التي حققتها حركة التحرر الوطني العربية بانتصار عدد من الثورات المناهضة للامبريالية. وخاصة ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر ، وتصاعد كفاح الشعب اليمني ضد الاستعمار واعوانه ، شرعت بريطانيا باحتلال المنطقة الداخلية في عام ١٩٥٢ لاحكام سيطرتها في كل البلاد واخماد الكفاح التحرري ونزعة التمرد على بريطانيا التي ابداها بعض الحكام المحليين تحت تأثيـر ذلـــك .

شرعت الادارة الاستعمارية في اعادة ترتيب الخريطة الادارية في جنوب اليمن في محاولة لامتصاص النقمة الشعبية عليها وعلى السلاطين الموالين لها . فقامت بتشكيل ما سمي "باتحاد امارات الجنوب العربي " في عام ١٩٥٩ الذى تكون من ٦ امارات وسلطنات ثم ضمت اليه ٥ امارات اخرى عام ١٩٦٢ . وفي ٤ /٤ /١٩٦٢ جرى تغيير اسم الاتحاد الى " "اتحاد الجنوب العربي" تمهيدا لضم عدن اليه . وفي ١٩٦٣/٤/١٦ تم ضمها فعلا واصبح "اتحاد الجنوب العربي" يتألف من ١٢ ما بين امارة وسلطنة وولاية، يتمتع كل منها باستقلال نسبي. كان هذا الاتحاد هيكلا شكليا ، اذ احتفظت الادارة الاستعمارية بمهام العلاقات الخارجية والامن ،وظل المستشارون العسكريون والمدنيون البريطانيون اصحاب السلطة الفعلية في تسيير كافة الشؤون الهامة فيـــــه .

نشأت بدايات الكفاح التحرري المنظم في عدن ذاتها . حيث نشأت الطبقة العاملة اليمنية وتبلورت نقاباتها منذ عام ١٩٥١، فقد ظهرت نقابات لعمال الميناء ومصفاة البترول وغيرها . ووصل عدد هذه النقابات عام ١٩٥٥ الى ١٢ نقابة، تم توحيد ٦ منها عام ١٩٥٦ فيما سمي "بـ المؤتمر النقابي" ، الذى تبوأ مركز قيادة الحركة الوطنية، وعبر عن طموحات الشعب اليمني في الاستقلال . الى جانب كفاحه لتحسين الاجور ومصالح العمـال .

الا ان "المؤتمر النقابي" ، وبسبب انحصار نشاطه في عدن ، اصبح غير قادر على مواكبة قيادة الكفاح الوطني التحرري في كل البلاد . كما انه لم يكن قادرا على مواجهةمخطط الادارة الاستعمارية التي اعادت ترتيب الخريطة الادارية والسياسية وتشكيلها الهيكل السياسي الجديد المسمى" اتحاد امارات الجنوب العربي" وفيما بعد " اتحاد الجنوب العربي" ، وبدأت تبرز داخل "المؤتمر النقابي" تيارات سياسية متمايزة تمخضت عن تشكل تنظيمات سياسية جادة . كان اولها اتحاد الشعب الديمقراطي في عام ١٩٦١ وهو منظمة ماركسية، والحزب الاشتراكي الشعبي في عام ١٩٦٢، وهو حزب متأثر الى حد كبير بحزب العمـال البريطانـــــي .

بعد انتصار ثورة سبتمبر ١٩٦٢ في الشطر الشمالي من اليمن والاطاحة بالنظام الاقطاعي الرجعي ، وقيام نظام وطني مناهض للامبريالية والاقطاع فيها واعلان قيام الجمهورية العربية اليمنية تصاعد لهيب الثورة الوطنية التحررية في الشطر الجنوبي من اليمن مما تطلب من الحركات السياسية تطوير اشكال مواجهتها للاحتلال البريطاني . الا أن المنظمات السياسية

Digitized by Birzeit University Library

السالفة الذكر وعلى الرغم من محاولتها طرح برنامج للكفاح الوطني والاستقلال ظلت اسيرة لبرنامج ونهج "المؤتمر النقابي" . وواصلت اسلوب الكفاح السلمي ضد البريطانيين واعوانهم وظل نشاطها محصورا في عدن ولم تتمكن من الوصول للجماهير الشعبية في الريف . برز في هذه الاثناء التيار القومي الذى كان امتدادا لحركة القوميين العرب ، التي تأسس لها فروع في شمال اليمن وفي عدن منذ عام ١٩٥٩ . وظل كفاحها خلال المرحلة السابقة يقتصر على التحريض والبيانات . وتوسعت بشكل كبير في اوساط المثقفين والطلاب ، وكان بعض عناصرها قد عمل في " المؤتمر النقابي" . بعد ثورة سبتمبر ١٩٦٢ في الشطر الشمالي من اليمن ، حددت الحركة اسلوب الكفاح المسلح لتحرير جنوب اليمن كابرز اشكال الكفاح على اعتبار ان الشمال اصبح بشكل قاعدة ومرتكزا لدعم هذا الشكل من الكفاح ونجحت هذه الحركة في تشكيل فصائل الانصار والانتشار في الريف الى جانب تطوير تواجدها في المدن .

سعت حركة القوميين العرب لتوحيد اداة الكفاح الوطني ، واثمرت هذه المساعي عن "تكوين الجبهة القومية في آب ١٩٦٣ من المجموعات التى آمنت بالكفاح المسلح طريقا لحل التناقض مع الاستعمار البريطاني وعملائه المحليين ." كانت المجموعات والافراد التي انضوت فيها ذات اتجاهات قومية وحدوية . وقد رفض حزب الشعب الاشتراكي الانضمام اليها . واعتبر تفجير الكفاح المسلح ضد البريطانيين "منافي" و"سفك دماء" لا تؤدى الى اى نتيجة اما حزب اتحاد الشعب الديمقراطي فقد استبعد من الجبهة بسبب مواقف العداء للشيوعية التي كانت تسود بعض الاوساط القومية آنذاك . على الرغم من تأييد هذا الحزب للكفاح المسلح ووقوفه الى جانب الجبهة القومية وتعرض اعضائه وقادته للاضطهاد من الادارة الاستعمارية والرجعية .

فجرت "الجبهة القومية" شرارة حرب التحرير في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ في جبال ردفان ، ضد القوات البريطانية التي حشدت لمحاصرة الثورة في الشمال ولتصدير الثورة المضادة اليها . استقطبت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني فقراء الفلاحين وابناء القبائل وكادحي عدن . واستطاعت الجمع بين اشكال الكفاح المختلفة . وتوسع دورها في كافة المؤسسات النقابية والجماهيرية ومدت نفوذها الى داخل الجيش الرسمي وقوى الشرطة والجهاز الحكومي . وخلال اربع سنوات من الكفاح المسلح البطولي كبدت القوات البريطانية والرجعية المحلية خسائر جسيمة . وتمكنت من نقل المعركة من الريف الى عدن حيث اشعلت انتفاضة حي كريتر في ١٩٦٧/٦/٢٠ التي شارك فيها قطاعات من الشرطة الرسمية . وفي اكتوبر ١٩٦٧ تمكنت الجبهة القومية من تحرير الريف وبدأت بتحرير عدن . وفرضت على الاستعمار البريطاني ان يرحل عن البلاد في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ ." وهذه اول مرة في تاريخ الاستعمار البريطاني يفرض عليه الانسحاب بدون توريث السلطة السياسية لقوى رجعية مرتبطة بـــــه . (٢) .

بعد رحيل آخر جندى بريطاني في ٢٩/ ١١/ ١٩٦٧ اعلن يوم ١٩٦٧/١١/٣٠ يوم الاستقلال واعلن قيام الجمهورية اليمنية الجنوبية الشعبية تحت قيادة الجبهة القومية لتحرير

Digitized by Birzeit University Library

الجنوب اليمنـــــي .

حاول البريطانيون بعد ان سقط رهانهم على توريث السلطة للفئات الرجعية من السلاطين والامراء على توريثها للجناح اليميني في الجبهة القومية خاصة جماعة "جبهة تحرير الجنوب العربي الذين توحدوا مع الجبهة القومية متأخرا عام ١٩٦٦ تحت ضغط النظام الناصري وتشكيل جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، التقى مخطط بريطانيا مع مواقف كافة الانظمة العربية التي كانت تخشى تولي القوى الماركسية للسلطة، الا ان ميزان القوى الطبقية الداخلية حال دون نجاح المخطط الاستعماري ومنع استفراد القوى اليمينية بالسلطة.

ولدت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في ظروف قاسية جدا، اذ ورثت السلطة الجديدة تخلفا شديدا واقتصادا ممزقا محطما اذ لم يصل دخل الفرد ٤٠ جنيها استرلينيا. كما ان اغلاق قناة السويس بعد عدوان حزيران الاسرائيلي عام ١٩٦٧ افقدها ٧٥٪ من تجارتها ومن موارد الميناء الذي كان يعتبر شريان الاقتصاد . وخسر اكثر من ٢٠ألف عامل عملهم بعد رحيل القاعدة، كما توقف الدعم البريطاني الذي كان يشكل ٦٠٪ من موارد البلاد . هذا بالاضافة لتفجر الصراع داخل جبهة التحرير ومحاولة اليمين الاستفراد بالسلطة بالاستناد لجهاز الدولة القائم والدعم البريطاني والرجعي العربـــــي .

الصـراع علـى السلطـة السياسيـة بعـد الاستقـلال

بعد الاستقلال مباشرة، تفاقم الصراع في داخل جبهة التحرير وكانت هذه المسألة طبيعية في جبهة تشكلت على اساس الكفاح من اجل الاستقلال السياسي، والايمان بالكفاح المسلح كشكل رئيسي للنضال. وتألفت من تيارات سياسية مختلفة، اتخذ الصراع بين اطرافها شكلا حادا بعض الاحيان . خاصة عندما تم دمج مجموعة جبهة تحرير الجنوب العربي التي تألفت من قوى وتيارات يمينية كحزب الشعب الاشتراكي وجماعة الرابطة مع الجبهة القومية تحت ضغط النظام الناصري في عام ١٩٦٦، وتشكيل "جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل". اذ رفضت العناصر اليسارية هذا الدمج القسري وقاومته واعتبرته خطوة تمهيدية لاعطاء القوى اليمينية امكانية قطف ثمار الاستقلال الذي بات وشيكا، دون ان تساهم بشكل جدي في تحقيقـــــه .

في خضم هذا الصراع، تبلور تيار ماركسي في داخل "الجبهة"، استطاع استقطاب اغلبية كوادرها وقواعدها الى جانبه. وتمكن من التصدي لتآمر اليمين، وطرح برنامجا للتحولات الديمقراطية، تضمن ضرورة اصلاح جهاز الدولة القديم بشكل جذري وتغيير محتواه وحل الاجهزة القمعية وتشكيل اجهزة جديدة للسلطة الديمقراطية الثورية. وتدعيم الدور

Digitized by Birzeit University Library

القيادى للحزب في الدولة، وكان انذاك يتمثل في "الجبهة القومية" رفض اليمين هذه المطالب وعندما حاز برنامج اليسار الماركسي على الاغلبية في مؤتمر الجبهةالرابع ، دبر اليمين انقلابا عسكريا في ١٩٦٨/٦/٢٠ بواسطة الجيش الموروث ،وقامت اجهزته باعتقال القادة اليساريين ، وفر عدد كبير منهم للريف والى الشمال وبدأوا الاستعداد لمواجهة الانقلابيين بالســـــلاح .

واجه الشعب اليمني هذه المؤامرة بمقاومة شديدة ، وتحركت فصائل الانصار ضد الانقلاب واستطاع اليسار تحييد بعض قطاعات الجيش ،مما فرض على اليمين التراجع ، والقبول بالعودة الى مؤسسات الجبهة القومية ، ومقررات مؤتمراتها ،وعودة العناصر اليسارية الى مواقعها في الحزب والدولة. الا ان اليمين الذى قبل بهذه الشروط بسبب ميزان القوى في ذلك الوقت ، ظل يعد العدة لفرض دكتاتوريته بوسائل التآمر والتنسيق مع الرجعية الداخلية والخارجية.وهذا حتم على اليسار القيام بحركة ١٩٦٩/٦/٢٢ التصحيحية التي قوضت مواقع اليمين في الدولة والحزب ، وحسمت بشكل ثورى مسألة السلطة السياسية لصالحها ، وشرعت في التحولات الجذرية السياسية والاقتصادية لصالح الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين وسائر الكادحين . وفي نفس الوقت تم توسيع التحالف مع القوى الماركسية الاخرى التي كانت خـارج الجبهـة القوميـــــة .

ان وصول القوى الماركسية للسلطة في جمهورية اليمن الشابة، جسد اتجاه التطور الحتمي في المنطقة العربية . خاصة بعد ان ثبت بوضوح كاف ، عقم وعجز البرجوازية بكامل شرائحها ، عن انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وبعد ان فشلت هذه البرجوازية في الدفاع عن الوطن ، وصيانة الاستقلال السياسي . اذ كشفت هزيمة حزيران ١٩٦٧. التي لم تصمد فيها جيوش مصر وسوريا اكثر من بضعة ساعات ، عفونة الانظمة البرجوازية الوطنية ، وعقم "الطريق الثالث" للتطور الذى نادت به ، ومخاطر النهج الذى يبعد الجماهير عن الحياة السياسية ولا يؤمن بطاقاتها الثورية . كما ساعد في تبلور رأىعام جماهيرى الى جانب القوى الماركسية ، تعرف الشعب اليمنـي عن قرب على نهج الادارة المصرية ، ومواقفها المتارجحة وفسادها ، وطريقتها البيروقراطية والفوقية في التعامل مع الجماهير ، وذلك عندما كانت القوات المصرية في اليمن الشمالي .

ان تحرر اليمن الديمقراطي جاء في الوقت الذى برز فيه عقم "الطريق الثالث" للتطور بمزيد من الوضوح في المنطقة العربيةوعجز القوى الطبقية التي تحمل رسالته عن مواصلة السير بالثورة الوطنية الديمقراطية الى الامام . ورافق هذا تخلي العديد من التيارات البرجوازية الصغيرة عن الفكر القومي ، واقترابها من مواقع الاشتراكية العلمية ،كنظرية ثورية وحيدة لتغيير المجتمع ، وقيادة التحولات الديمقراطية الوطنية الى الاشتراكية .

Digitized by Birzeit University Library

الى جانب هذه المتغيرات في المنطقة العربية، كانت هناك متغيرات عالمية، لعبت دورا هاما في تحديد مسار التطور في اليمن الديمقراطي. فقد تعاظمت انتصارات المنظومة الاشتراكية في مختلف المجالات والاقتصادية والايديولوجية . وتزايد انجذاب حركات التحرر الوطني نحو الاشتراكية العلمية ،واصبحت تجربة كوبا والفيتنام ملهما جبارا لشعوب البلدان النامية. وفي ذات الوقت تعمقت ازمة النظام الرأسمالي العالمي الشاملة، واتضح عقم التوجه الرأسمالي الذى تم تدشينه في عدد كبير من الدول النامية وعجزه عن معالجة قضايا الاستقلال والتخلـــــف .

تجربة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في حسم مسألة السلطة السياسية

كانت سيطرة القوى الماركسية على السلطة السياسية في حزيران ١٩٦٩ المقدمة الضرورية لوضع البلاد على طريق التوجه الاشتراكي . وكانت اول مهمة على الاطلاق تغيير طابع السلطة واعادة بنائها وتنظيمها وتقويتها ، لتصبح اداة فعالة للطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين في مواجهة الرجعية واليمين .

شرعت السلطة الجديدة بسلسلة هامة من الاصلاحات الجذرية العاجلة ، لتوطيد النظام التقدمي ، وتمكينه من مواجهة الحصار والتخريب الذى قامت به الرجعية السعودية بشكل خاص، بتمويل وتصدير الثورة المضادة ، ويمكن تلخيص هذه الاجراءات :

١) تطهير "التنظيم السياسي للجبهة القومية" من العناصر اليمينية والانتهازية ، وتدعيم دوره القيادى في الدولة والمجتمع .وكان هذا بمثابة "رد على اليمين الانتهازى الذى ادار ظهره للتنظيم السياسي" وحوله الى مجرد ملحق بالسلطة تستخدمه في المناسبات الرسميـــــــة"(٣) .

٢) اعادة بناء شاملة لاجهزة الدولة، وخاصة الجيش والشرطة والمخابرات. اذ جرى تطهيرها من كافة العناصر الفاسدة والمشكوك في ولائها للسلطة الجديدة، واعطاء المسئوليات الرئيسية فيها لعناصر ثورية مجربة وكفوءة من كوادر "التنظيم السياسي". كمابدأت عملية تسييس الاجهزة الحكومية ،وتربية سائر العاملين فيها بروح الاخلاص للثورة، والفكر الماركسي ،وبروح احترام الشعب والتفاني في خدمته. كما جرى الغاء الامتيازات التي كانت تمنح لكبار الضباط والموظفين ورجال الدولة، وارساء علاقات رفاقية واحترام متبادل بينهم وبين مرؤوسيهم. وتطبيق مبادئ المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية في عمل كافة اجهزة الدولة .

٣) مقرطة الحياة السياسية ،وتوسيع مشاركة الجماهير في الحياة السياسية. اذ جرى تشكيل المؤسسات التشريعية على المستوى الوطني والمحلي ، ووضع دستور متطور للبلاد اكد على الهوية الطبقية للدولة ونص على وحدة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . اما تكوين مجلس الشعب الاعلى ، فقد جرى بالتعيين من الكوادر التي قادت الثورة، وابدت ثباتا واخلاصا لتوجهها الاشتراكي . وكان من الصعب على السلطة الثورية ان

Digitized by Birzeit University Library

تجرى انتخابات حرة آنذاك ، مخافة تسلل البرجوازية من جديد الى السلطة. وفي هذا درس هام للقوى الثورية التي تتولى السلطة السياسية بالعنف ، اذ ان ممارسة الانتخابات البرلمانية الحرة لا تلعب باستمرار دورا ايجابيا في العملية الثورية.

٤) اصلاح جذرى للقوانين اذ تم وضع قوانين جديدة لصيانة النظام الثورى ،وحماية مصالح الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء ، والملكية الحكومية لوسائل الانتاج . ونصت القوانين الجديدة على صيانة حرية المواطنين وحقوقهم ، وعلى حق العمل بشكل خاص. كما تم وضع قانون لتنظيم الاسرة ، اكد على مساواة المرأة ،وتحررها الاجتماعـــي .

٥) تمتين التحالف مع القوى الديمقراطية التي كانت خارج الجبهة" ،وخاصة مع حزب اتحاد الشعب الديمقراطي الذى كان منذ نشأته في عام ١٩٦١ ، منظمة ماركسية .

٦) تشكيل المليشيا الشعبية في حزيران ١٩٧٣ من العمال وفقراء الفلاحين والطلبة والشباب وتطوير هذه المؤسسة الهامة لتكون درعا واقيا لحماية الثورة. وتمت الاستفادة من تجربة البلدان الاشتراكية في هذا المجـــال .

٧) تشكيل "منظمة لجان الدفاع الشعبي" في نفس العام ايضا ، وهي منظمة جماهيرية ذات مهام متعددة تنظم السكان في مكان الاقامة، للمساعدة في تقديم الخدمات العامة للمواطنين ، وفي التموين بالمواد الاساسية ، وتنظيم العمل التطوعي ومحو الامية . وهذه المنظمة مشابهة للجان الدفاع عن الثورة في كوبـــا .

ترافقت هذه الاجراءات التي وطدت السلطة السياسية بشكل كبير ،ومكنتها من تنفيذ برامجها وخططها الاقتصادية) ترافقت مع التحضير والاعداد لحسم المسألة الاستراتيجية بالنسبة للسلطة السياسية، وهي مسألة "الحزب الطليعي" الماركسي اللينيني ، حزب البروليتاريـــا .

ان طابع " التنظيم السياسي ـ الجبهة القومية " ، على الرغم من اعلانه الصريح باعتناق الماركسية اللينينية ، لا يعدو عن كونه حزب ديمقراطي ثورى ، لا يطبق فيه الانضباط البروليتارى بشكل كامل ، ولا يتميز بالوحدة السياسية والايديولوجية والتنظيمية. وقد ادركت العناصر المتنورة فيه ان الضمان لاستمرار التوجه الاشتراكي يتطلب تطوير الاداة الثورية ، للقوى المحركة للثورة من الحزب الديمقراطي الثورى الى "الحزب البروليتارى" ، اذ ان "الحزب الديمقراطي الثورى" الذى يشكل اداة ثورية حقا في ظروف ضعف الطبقة العاملة ، وعدم وجود تنظيمها المستقل ، لا يمكن له ان يقوم بنفس الدور عندما يتنامى دور الطبقة العاملة . وبما ان تنامي دور الطبقة العاملة قضية موضوعية ، ناجمة عن قانون التطور المتصاعد لقوى الانتاج ، فمن الطبيعي ان تصاعد العملية الثورية يحتم ان يخلي الحزب الديمقراطي الثورى مكانه للحزب البروليتارى .الا ان القضية لا تتم بشكل ميكانيكي . وانما عبر الصراع الطبقي المحتدم ، الذى غالبا ما يتفجر داخل "الاداة الثورية" التي يجب ان تخلي مكانها . كما ان المسألة ترتبط وثيق الارتباط بمستوى التطور الذى بلغته الثورة ، وبمستوى النضج الذى بلغه العامل الذاتي .

Digitized by Birzeit University Library

اكدت التجربة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية صحة هذه المقولات. فخلال تطور العملية الثورية وتجذرها ، اقتربت فئات واسعة من قيادة وكوادر" الجبهة القومية" من مواقع الطبقة العاملة فكرا وممارسة، ولكن فئات اخرى قيادية، من التي ساهمت في التحرير، ولعبت دورا في التحولات الديمقراطية، رفضت التخلي عن اوهامها واخلاقياتهاالبرجوازية الصغيرة، رغم اعترافها اللفظي بالاشتراكية العلمية، وظلت لا تقيم وزنا للتنظيم ، وقواعد المركزية الديمقراطية والانضباط. وظلت تتصرف بتعال مع الجماهير، وبوحي من فرديتها البرجوازية الصغيرة. كما كانت تنظر باستخفاف للعلاقات الاممية، وظلت تنظر للعلاقات الخارجية نظرة برجماتية. وفي المنعطفات الخطيرة في حياة البلاد. كانت عاجزة عن تحديد الحلقة المركزية في الصراع ، متأرجحة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار .

اثارت قضية الحزب الطليعي" صراعا حادا في داخل الجبهة القومية" . وعبرت المواقف المتمايزة من هذه القضية عن مواقف طبقية متمايزة . . ففي حين كانت العناصر الماركسية المتنورة ترى ضرورة اقامة حزب بروليتاري على الطراز اللينيني ، وكانت ترى ضرورة التحضير الصحيح والمخطط لانضاج المقدمات الذاتية والموضوعية لهذه العملية الاستراتيجية ، فقد رأت عناصر قيادية اخرى خلاف ذلك فعندما طرحت المسألة لاول مرة طالبت بالاعلان الفوري عن تشكيل حزب ماركسي لينيني ، وذلك بتحويل تلقائي لـ "لتنظيم السياسي ـ الجبهة القومية" الى" حزب طليعي" ، وبدأت تتحدث عن ضرورة طرح شعار دكتاتورية البروليتاريا . ولكن اصحاب وجهة النظر هذه حولوا موقفهم بالكامل بعد ان تم فعلا انجاز التحضيرات الضرورية ، والمقدمات الذاتية والموضوعية لاقامة الحزب ، بعد سنوات من الجهود العظيمة للدولة والتنظيم السياسي" الجبهة القومية" . اذ بدأوا يشككون بجدوى اقامة "الحزب الطليعي" ، بحجة عدم نضوج وتبلور الطبقةالعاملة . وبدأوا يروجون لاقامة حزب ديمقراطي ثورى كشكل انتقالي ، وبعضهم رأى اقامة حزب من طراز "الاتحاد الاشتراكي" ، على اعتبار ان الظروف السياسية في المنطقة العربية لا تسمح بسلطة حزب شيوعـــي .

لقد انتقلت هذه العناصر دفعة واحدة من الحماس الزائد لاقامة حزب ماركسي لينيني الى مواقف التشكيك بقيام مثل هذا الحزب . وعندما فشلت في فرض وجهة نظرها ، شرعت تعمل في الخفاء لعرقلة قيام الحزب ، وفي أخر الامر قامت بمحاولة انقلابية فاشلة في حزيران ١٩٧٨ للاستيلاء على السلطـــــة .

تمكنت العناصر الماركسية اللينينية في السلطة وفي "التنظيم السياسي" من التطبيق الخلاق للتعاليم اللينينية حول مسألة "الحزب الطليعي" . فقد اوصى لينين وفد منغوليا الشعبية الذى قابله في ٥ نوفمبر ١٩٢١ "انه لا يجوز تحويل حزب الى حزب أخر " وانه " لا يزال يترتب على الثوريين ان يبذلوا الكثير من الجهد في بنائهم السياسي والاقتصادى والثقافي قبل ان ينشأ من عناصر الرعاة جمهور بروليتارى ،يساعد فيما بعد على "تحويل" الحزب الثورى الشعبي الى حزب شيوعي . ان مجرد تغيير اليافطة ضار وخطـر (٤) .

Digitized by Birzeit University Library

ففي خلال سنوات التحضير لاقامة الحزب ، تم فعلا بذل جهود خارقة لتحقيق الشروط الذاتية والموضوعية لاقامةالحزب ، عبرالصراع الحاد مع اليمين واليسار المتطـــرف .

الشـروط الذاتيـــة والموضوعيـــة لاقامـــة الحـــزب ؟

ـ التربية الايديولوجية لقيادة كوادر "التنظيم السياسي" وفق خطة محددة . ولهذا الغرض تم انشاء المدرسة الحزبية ، وايفاد مئات المبعوثين الى مدارس الماركسية اللينينية في البلدان الاشتراكية . وشمل التربيةالايديولوجية كبارالعاملين في الدولة ، بما في ذلك الوزراء واعضاء المكتب السياسي وكبار الضباط .

ـ توحيد القوى الماركسية ، اذ تم عقد مؤتمر توحيدي في اكتوبر ١٩٧٥ ، حضرته كافة المنظمات الماركسية في البلاد بمبادرة من "التنظيم السياسي للجبهة القومية" ، وتمخض عن هذا المؤتمر اندماج هذه المنظمات وقيام " التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية " واتفاقها على التحضير المشترك لاقامة الحزب الطليعي . وتكتسب اهمية خاصة انضمام الاتحاد الشعبي الديمقراطي الى "التنظيم " ، كونه منذ نشأته في عام ١٩٦١ ، كان منظمة شيوعيـــــة .

ـ توسيع وتنشيط العملالسياسي والايديولوجي في داخل "الجبهة القومية" ، وفي اوساط الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والقوات المسلحة والموظفين والشباب . وشرح قضية قيام الحزب ،ونظريته الثوريـــــة .

ـ تعديل اشكال التنظيم الحزبي لـ "التنظيم السياسي الموحد" على اساس موقع العمل بدل موقع الاقامة لتحسين مراقبة الالتزام السياسي والايديولوجي للاعضاء ، ووضع مؤشرات لانتخابهم وترفيعهم على اساس انجازاتهم في اداء مهامهم ، وسلوكهم وتضحياتهم في تحقيق برنامج " التنظيـــم " .

ـ ان الشرط الموضوعي الاساسي لنشوء الحزب الماركسي اللينيني هو وجود الطبقة العاملة وتحولها من طبقة في ذاتها "الى "طبقة لذاتها" وخلال عمليةالتطوير المخطط للاقتصاد والنمو الصناعي في اطار القطاع الحكومي ازداد عدد الطبقة العاملة ، وارتفعت درجة تركزها وتحسن تنظيمها ، وكان للنشاط الخلاق للتنظيم السياسي الموحد اهمية كبيرة لتوعيتها بدورها التاريخي . كما ان الاصلاح الزراعي ، واقامة مزارع الدولة خلق نواة للطبقة العاملة الريفية . كما ان نشر العمل التعاوني والقضاء على العلاقات الاقطاعية في الريف فتح الطريق لتحرر كادحي الريف وتزايد دورهم في الحياة السياسية كاقرب حلفاء للطبقة العاملة وكقاعدة عريضة"للحـــزب " .

ـ ان مواصلة العملية الثورية ، وتطور الصراع الطبقي ، كان يؤدي الى تقوية التجربة الثورية للتنظيم السياسي الموحد . وهذا بالطبع ادى ويؤدي الى فرز مستمر في داخل المجتمع وفي داخل التنظيم السياسي الموحد ،على اساس الموقف الطبقي والايديولوجي

Digitized by Birzeit University Library

المحدد للثورة .وعلى اساس هذا الفرز كانت تبرز العناصر الطليعية الحقة، التي التحقت فعلا بركب البروليتاريا وتستحق بذلك شرف الالتحاق بالحزب، وهذا كان يتطلب فترة من الوقت والتحـــــولات .

ـ ان اقامة الحزب الطليعي" من طراز لينيني في الظروف الخاصة لليمن الديمقراطي، وتوليه الدور القيادى، كأى خطوة تقدمية هامة، لا بد وأن تثير مقاومة الامبريالية والرجعية وتآمرها، وهذا بطبيعة الحال يتطلب بالاضافة الى تقوية الجبهة الداخلية، تقوية علاقات التحالف والصداقة مع منظومة البلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفييتي. وتعزيز العلاقات مع الحركة الشيوعية العالمية، ومع فصائل حركة التحرر الوطني، وعلى وجه الخصوص مع فصائل حركة التحرر العربيـــــــة .

ومن البديهي ان تقوية الجبهة الداخلية، وتقوية التحالفات الخارجية لا يتم بشكل اوتوماتيكي، ويتطلب الكثير من الجد والنشاط والوقـــــت .

ولادة الحـزب الاشتراكـي اليمنـــي

عقد المؤتمر التأسيسي للحزب الاشتراكي اليمني في ١١ ـ ١٣ اكتوبر ١٩٧٨ تحت ثلاثة شعارات "الدفاع عن الثورة، تنفيذ الخطة الخمسية ، وتحقيق الوحدة اليمنية" . واقر برنامج الحزب ونظامه الداخلـــي .

حدد البرنامج الهوية الطبقية للحزب بانه " طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الاخرى" (٥) . وحدد هدف الحزب "تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال نحو بناء الاشتراكية مسترشدا في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل بنظرية الاشتراكية العلمية ،آخذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية في بلادنا" (٦) . وأكد البرنامج على ان الحزب في "برنامجه وكافة ممارساته النظرية والعملية ينطلق من الادراك الصحيح لطبيعة وجوهر المرحلة المعاصرة للتطور التاريخي وللعملية الثورية العالمية والاتجاهات الاساسية لتطورهما ، ومن طبيعة الصراع بين حركات التحرر الوطنية للشعوب العربية كجزء من الحركة الثورية العالمية وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية" (٧) . كما اكد البرنامج على الطابع الامي للحزب، وعلاقاته الوطيدة بمنظومة البلدان الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفييتـــــي .

تضمن النظام الداخلي للحزب على المبادئ اللينينية للتنظيم .اذ نص على وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية وان اساس تنظيمه يقوم وفق المركزية الديمقراطيـــة .

حقق تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني توفير الاداة الثورية لمواصلة عملية التحويل الثورى للمجتمع ، الاداة البروليتارية لمواصلة التطور في الاتجاه الاشتراكـــــي .

يتبع

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــــع :

١) الطريق ـ المجلة النظرية للحزب الشيوعي اللبناني ـ عدد ٤ ـ٥ تشرين اول ١٩٧٧ ص ٢٥ .

٢) فرد هوليدى : الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية دار ابن خلدون ١٩٧٨.

٣) عبد الفتاح اسماعيل ـ المختارات . المجلد الاول .

٤) . ف أ . لينين ، حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ،موسكو،دارالتقدم ١٩٧٤،ص ص ٤٣٧.

٥)و٦) برنامج ح .أ .ى . ، عدن ١٩٧٨.

٧) النظام الداخلي ح.أ .ى ـ عدن ١٩٧٨.

Digitized by Birzeit University Library

بعض جوانب أزمة السكن في الضفة الغربية*

بقلم : عادل الزاغة ـ استاذ الاقتصاد في جامعة بيرزيت

أهدينا هذا العمل لذكرى
الشهيد داود العطاونة، والمناضل
المرحوم غسان حرب لعل في
ذلك وفاء لذكراهما .

مقدمة

حسب المعطيات التي تتوافر لدينا فان الذين كتبوا حول مسائل السكن وازمة السكن عموما في الضفة الغربية ليسوا كثيرين. وبالتحديد فقد اطلعنا على بحثين : احدهما اعده الدكتور بكر ابو كشك، عميد كلية التجارة والاقتصاد في جامعة بيرزيت (١)، والاخر اعده الدكتور نضال صبرى (٢) من جامعة بيرزيت. لقد اعتمدنا على هذين البحثين كما اعتمدنا على غيرهماءولكن اصالة هذا البحث وأهميتهتنبع من استخدامنا "لموديل" اقتصادى رياضي اثناء عملية التحليل. وحسب معلوماتنا فان هذه هي اول مرة يستخدم فيها "موديل" من هذا النوع لدراسة موضوعة السكن في الضفة الغربية وبالاساسجانب الطلب على السكن.

* هذه هي رسالة الماجستير التي اعدها الكاتب اثناء تحضيرة لنيل شهادة الماجستير في الاقتصاد في الولايات المتحدة. وهي ترجمة عن النص الاصلي .

Digitized by Birzeit University Library

وقبل الخوض في تفاصيل البحث فاننا نعتقد انه تجدر الاشارة الى اننا نعتبر هذا البحث مساهمة في اى نقاش يمكن ان يدور حول عملية "التنمية الاقتصادية في المناطق المحتلة". نحن نعتقد ان هذا النقاش ضرورى ليس فقط بين الاكاديميين الوطنيين ولكنه ضرورى جدا ايضا للسياسيين الوطنيين سواء كانوا في موقع اتخاذ القرار ام يستطيعون التأثير فيه بطريقتهم الخاصة، بالرغم من اعتقادنا الواقعي ايضا بأن عملية التنمية الاقتصادية لا يمكن ان تتبع ممراً مستقلاً ومتواصلاً في ظروف الاحتلال الاسرائيلـــي .

ان هدف هذا البحث يكمن اساسا في تقدير مرونة الطلب على السكن في الضفة الغربية بالنسبة لمتغيرات ثلاثة اساسية هي الدخل، والسعر، وتكون العائلات في البلاد. وبمعنى اوسع ، فان هدفنا هو دراسة بعض العوامل التي تؤثر في الطلب على السكن في الضفة الغربيـــة .

وقد اشتمل البحث على الاقسام الاساسية التالية :

١) خصوصيات السكن كسلعة تباع وتشترى .
٢) طبيعة ازمة السكن ، ونوعية السكن .
٣) مسح تقريرى عن النتائج التي توصل لها الاقتصاديون الرأسماليون حول مسألة ما اذا كان السكن سلعة ضرورية ام كمالية. وهذه مفاهيم سأتي عليها في سياق البحث .
٤) النظرية والموديل الرياضي الاقتصادى .
٥) النتائج التجريبية ، التحليل والاستنتاجات .
٦) الملاحـــــق .

المعلومـات والمصـــادر

لقد اعتمدت دراستنا على مجموعة معلومات تمتد لمدة ١٢ سنة (Time Series) للفترة من ١٩٦٥ وحتى ١٩٧٦ بالنسبة للضفة الغربية، ولثماني مدن فيها ايضا وكونا من الاخيرة خزانا من المعلومات (Pooled -Data) لتعطينا ٩٦ احصائية (٨×١٢).

ان معظم الاحصائيات قد استخرجت من كتاب الاحصاء السنوى الاسرائيلي و الضائقة السكنية في الضفة الغربية " وهو بحث اعده الدكتور نضال صبرى واعتمد في قسم من معلوماته على وثائق الكنائس والمحاكم الشرعية الاسلامية والبلديات. كماان قسما من المعلومات استخرج من كتاب الاحصاء السنوى الاردني للفترة بين ٦٥ – ١٩٦٧.

وأنه من الجدير ايضا ان نذكر ان هناك غموضا فيما اذا كانت الاحصائيات على المتغير التابع (وهو الكمية المطلوبة من السكن في السنة بالامتار المربعة) هي احصائيات تعطينا التغير من سنة الى اخرى (Flow) او احصائيات تحتوى في داخلها على الطلب من السنوات السابقة. في حين ان المعلومات عن عدد الاسر المتكونة واضح انها تعطينا التغير من سنة الى اخرى. ان هذا يخلق بعض المشاكل عند محاولة تقدير معادلة الطلب. اولا، نحن

Digitized by Birzeit University Library

نتوقع ان الاسر المتكونة في السنوات السابقة ستطلب اضافات على المساكن المتوفرة لها من السابق. ولكن لان اضافات من هذا النوع لن تكون كبيرة نسبيا الى عدد الاسر المتكونة حديثا فنحن نأمل ان هذا الغموض لن يؤثر على نتائج الدراسة اوعلى قيم معاملات العوامل المستقلة. ثانيا، نستطيع ان نفترض ان الاحصائيات عن العامل التابع، على اغلب حال، هي احصائيات عن التغير اى انها (Flow) وذلك لانه عند محاولتنا اخذ التغير من سنة الى اخرى من نفس الاحصائيات اكتشفنا ان هذه الاضافات لا تبلغ الا بضع مئات امتار مربعة قليلة جدا وهذا من الصعب ان نتوقع انه ينطبق على الضفة الغربيـــــة .

وملاحظتنا الاخيرة هي ان معادلة الانحدار التي اعتمدت على خزان المعلومـــــات (Pooled Regressing) قد استخدمت نفس الاسعار ونفس معدل الدخل الفردى للضفة الغربية في حالة مدن الضفة الغربية، ان التبرير النظرى لاستخدام سعر واحد هو ان " قوى المنافسة (في السوق الرأسمالي) ستزيل الفروق الهامة في تكاليف البناء بين المدن طالما ان تكاليف النقل من مدينة الى اخرى وقوى السوق المحلي ليست كبيرة " (٣) ولكننا لا نجد اى مبرر نظرى لماذا يجب ان يكون معدل دخل الفرد هو نفسه بالنسبة لكل المدن باستثناء نقص المعلومات عن هذا الجانب. في الدراسات المقبلة نتأمل ان نتخلص من هذا الجانب الضعيف وان نجمع معلومات عن معدل دخل الفرد في كل مدينة من المدن معتمدين على فرضية اختلاف السكان ومستوى النشاط والتنمية الاقتصاديةفي كل منها .

القسم الاول :

خصوصيات السكن باعتباره سلعة :

* لماذا نعطي هذه الاهمية للسكن ؟ (٤) :

اولا : ان السكن هو سلعة استهلاكية معمرة. ويمكن ان يشبع طلب الناس على هذه السلعة اما بواسطة الاستئجار او الشراء. ولذلك يوجد هناك سوقين منفصلين ولكنهما ليسا مستقلين : سوق الاستئجار وسوق الشراء لاجل التملـــــك .

ثانيا : ان السكن هو من الموجودات غير المتماثلة. وهذا يعني ان كلا السوقين (الاستئجار والتملك) مجزئين، وان نوعيات مختلفة من المساكن لا تصلح بدائل لمساكن اخرى، وان البيوت تباع او تؤجر باسعار شديدة الاختلاف، وهذا يخلق مشكلة لكل من المستهلكين والمنتجين فيما يتعلق بالقرارات العقلانية للاجابة على هذا السؤال: هل هذا البيت يستحق فعلا هذا الثمن ؟

ثالثا : ان السكن ثابت من حيث الموقع. وهذا يعني، اولا ، ان البيوت المتماثلة ولكن التي توجد في مواقع جغرافية مختلفة لا يمكن ان تكون بدائل جيدة لبعضها البعض وربما أنها ستباع باسعار مختلفة. وثانيا، ان الرفاهية التي يحصل عليها اصحاب البيت

Digitized by Birzeit University Library

تعتمد ليس فقط على ما يقدمه هذا البيت له من منافع ، ولكن ايضا على المنافع او المضار التي يمكن ان يحصل عليها من المحيط المجاور لـــه .

رابعا : ان السكن له حياة طويلة الامد ولكن ليس الى ما لا نهاية ،وهذا يعني ، اولا ، انه سيوجد سوق جزئي من نوع البيوت المستعملـــة (Second - Hand) بالنسبة لسوق الشراء . وهذا من الممكن ان يعني ان تكاليف البناء عندما تكون تكاليفا متزايدة ، فان اسعار السوق ربما تتخلف مؤقتا (اى انها ستكون ابطأ مـن الارتفاع في التكاليف) وهذا سيؤدى الى الغاء اى عرض جديد . ثانيا ، ان المساكن يمكن ان تصبح "عتيقة" او لا تتناسب مع " الموضة" من الناحية الاجتماعية قبل ان تصبح غير آمنة من الناحية الهيكلية او "الجسدية" ان صح التعبير. ان القدم الاجتماعي ربما يمكن تأخيره بواسطة التجديد ، ولكن ليس الى ما لا نهاية ايضا ، لانه سيأتي يوم يجب ان تدمر فيه هذه البيـــــوت .

خامسا : من الناحية النموذجية ، فان البيت غالي الثمن نسبيا الى الدخل . ولهذا السبب فان سوق الايجار والاستئجار اهم بكثير في حالة معظم السلع المعمرة ، خصوصا عندما تقترن هذه الخاصية مع فكرة ان مستوى اساسيا من استهلاك السكن هو ضرورة لا غنى عنها . حتى بالنسبة لاؤلئك الذين يقعون في فئات الدخل العليا (الاغنياء) ، فأن موقع المالك انما يتحقق عادة بواسطة الحصول على قرض مقابل رهن معين . وهذه الرابطة ربما تجعل الطلب على السكن غير مستقر بالنسبة للعرض وهكذا فانها ستحدث تغيرات دائمة في السعر . وهذا يحدث بسبب ان اية زيادة في قيمة الرهن ستؤدى الى تحول الطلب من سوق الشراء الى سوق الايجار والاستئجار مع الاثر المحتمل لذلك بزيادة الاسعار في السوق الاخيـــــر .

سادسا : بخلاف معظم السلع الاستهلاكية ، فأن البيوت ليست قابلة للنقل ولهذا فان المشترين والمستأجرين يجب ان يجدوا البائعين والمؤجرين المناسبين والعكس بالعكس ، وهكذا فان عملية عقد الصفقة الحقيقية في سوق السكن عموما هي عملية طويلة من الناحية الزمنية وغالية من حيث التكاليف .

سابعا : ان الناس لا يميلون الى التنقل من سكن الى آخر عادة ، مع بعض الاستثناءات . وهكذا فان لديهم فرصة ضئيلة للتعلم من خلال التجربة . ومحاولة الحصول على المعرفة هنا لها ثمن ، اى تكاليف الحصول على معلومات اكثر قبل اتخاذ القرار بشراء البيت او استئجاره .

ثامنا : ان عملية بناء البيوت تتطلب زمنا طويلا . ولهذا فان العرض سيستجيب للتغيرات غير المتوقعة في الطلب فقط بعد فترة من الزمن . ومع هذه الفترة ، فان السوق سيكون في حالة عدم توازن . وبسبب من الطبيعة المبعثرة للاسواق ، فان عدم التوازن سيأخذ اكثر من مظهر بما يستتبع ذلك من عدم استقرار الاسعار ، لان الاسعار يجب ان تتذبذب بشكل واسع لازالة اى زيادة في الطلب وهي الحالـة الغالبة ، او لبيع اى زيادة في العرض . ان هذه الطبيعة للعرض ، أى حالة الاستجابـة

Digitized by Birzeit University Library

للطلب عبر فترة طويلة نسبيا ستضطرنا الى تقدير معادلة طلب وليس معادلة هجين يتكون من الطلب والعرض في آن واحد .

تاسعا : ان بناء البيوت يعتمد على كثافة عمل انساني عالية وهي عملية معقدة التنظيم . ان الاختراعات تحدث هنا ،وتؤدى الى منافع ، ولكن انتاجية العمل تزيد بشكل بطيء نسبيا . وبكلمات اوضح فان الاتجاه العام لاسعار البيوت لا يمكن ان يكون هابطا .

عاشرا : ان الارض هي عنصر هام جدا من عناصر بناء البيوت . وعرض الارض لا يمكن ان يستجيب للتغيرات في الطلب ، جزئيا بسبب الطبيعة الخاصة لعرض الارض كونها توجد بمساحات محدودة ، وجزئيا بسبب مصاعب الحصول على رخص البناء ، ولذلك فان زيادة الطلب على العرض ربما تؤدى الى زيادة الطلب على العرض بالنسبة للارض ايضا ، وهكذا فان اسعار الاراضي سترتفع ، وهذا يؤدى الى منع البنائين من زيادة نشاطهم الاستثماري في البناء وسيؤدى ذلك الى رفع اسعار البناء الى الاعلى اكثر فاكثر . وهذا بطبيعة الحال سيشجع البنائين على الاقتصاد في استعمال الارض لاغراض البناء . وهذه الحقيقة تتضح في حركة البناء باتجاه بنايات ذات طوابق متعددة وشقق جماعية وهو امر لا زال في بدايته في حالة الضفة الغربية بالرغم من اننا لا نمتلك المعلومات الكافية لدعم هذه الحقيقة . وهذا الوضع اى زيادة اسعار المساكن ،يمكن ان يسوء اكثر في حالة حدوث استعمال الارض لاغراض المضاربة والسمسرة .

وبالنسبة للضفة الغربية يمكن ان نضيف بعض الخصائص المحدده للسكن مثل :

اولا ان هناك علاقة قوية بين "صناعة" السكن وقطاع البناء، وفي حالة الضفة الغربية فان قطاع البناء يشكل النشاط الاقتصادى الاكبر بالنسبة لحجم تشغيل قوة العمل. وبالنسب المئوية فان ٣٣٪ من القوى العاملة كانت مشغلة في قطاع البناء المدني في عام ١٩٧٨ والتي كانت نسبه ٨٠٪ منها لاغراض السكن . في حين ان النسب المئوية للقوى العاملة في الصناعة كانت ٢٣٪ ، و٢٢ ٪ في قطاع الخدمات العامة ، و ٨ ٪ في الزراعة والتحريش وصيد الاسماك (٥) .

ثانيا ان قطاع السكن يشكل حوالي ١٠٪ من الناتج القومي الاجمالي للضفة الغربية (٦) وهذه نسبة ليست قليلة على الاطلاق .

ثالثا ان معدل الاجرة اليومية بالنسبة للعامل الواحد حسب القطاع الاقتصادى هي اعلى ما تكون في قطاع البناء بالقيم الاسمية و الحقيقية. وفي واقع الضفة الغربية فان ذلك لا يتناسب مع انتاجية العمل المنخفضة في البناء =

$$\left(\frac{\text{١٠ ٪ نسبة مساهمة قطاع السكن في الناتج القومي الاجمالي}}{\text{٣٣ ٪ نسبة القوى العاملة المشغلة في قطاع البناء}}\right)$$

والتفسير المنطقي الوحيد لذلك ،هو أن هناك نقصا في عرض العمال بالنسبة للطلب

Digitized by Birzeit University Library

عليهم في قطاع البناء في الضفة الغربية، وهذا سيدفع اجور العمال الى اعلى اكثر من انتاجيتهـــم .

رابعا : وأخيـرا ، فان السكن يرتبط بعلاقة مباشرة مع الارض التي تمثل في حالة الشعب الفلسطيني عنصرا لا يتجزأ من القضية الفلسطينية. سياسيا ،فان الارض هي عنصر لا يتجزأ من حق تقرير المصير والسيادة الوطنية . وهذا امر يفهمه الاسرائيليون تماما . انهم يقومون بعمليات مصادرة الاراضي من الفلسطينيين ويبنون عليها مستوطناتهم ، واحيانا يستخدمون العمل الفلسطيني الرخيص، بهدف احداث تغييرات ديموغرافية يهدفون من ورائها الى جعل الفلسطينيين اقلية في المنطقة على المدى البعيـــد .

وبواسطة المنطق البسيط ، وهذا امر يجب ان تفهمه اللجنة الاردنية ـ الفلسطينية المشتركة ،فانه اذا كان من واجب الفلسطينيين الصمود في المناطق المحتلة في وجه الاحتلال العسكرى ، ويحافظوا على انفسهم من الاضمحلال بمعايير مطلقة ونسبية ، فانه يجب عليهم ان يجدوا بيتا يعيشون فيه ويصمدوا عليـــه .

وعلى اية حال ، فان دراستنا هي الاخرى ستصل الى الاستنتاج الذى وصل اليه بحـق الدكتور نضال صبرى في مقدمة بحثه عن ازمة السكن في الضفة الغربية ،والذى مفاده ان السكن في الضفة الغربية يشكل انعكاسا للتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في المنطقة منذ عام ١٩٦٧ .

القسـم الثانـي

مشكلـة السكـن : الطبيعـة والنوعيـة

طبيعـة ازمـة السكـن

ان ازمة السكن تختلف باختلاف الزمان والمكان والمجتمع . ولكن يمكن القول ،بصورة عامة ،ان هذه الازمة يمكن وصفها على النحو التالي :

لا توجد هناك وحدات سكنية كافية في الضفة الغربية ، وهي لا تتواجد بالشروط الجيدة الواجب توافرها ، وهي لا تتواجد باسعار يمكن تحملها ،ولا تتواجد باسباب الراحة المطلوبة والسيطرة الامنة على ملكيتها في مواقع يمكن الوصول اليها في احياء متجانسة وآمنة مع التجهيزات والخدمات المناسبـــة .

ومع ذلك فاننا بحاجة الى بعض الروح الكمية لتفهم عمق ومدى هذه الازمة ، لنساعدنا في البحث عن اسباب وماهية الحل اللازم لها . واذا ما تبين ان هذه الازمة هي ازمة عامة ، فانه يجب البحث عن اسبابها في عمق التنظيم الاجتماعي والمؤسساتي لهذا المجتمع ، وليس فقط في بعض الانحراف عن العمل الطبيعي للنظام نفسه :اى في طبيعة النظام الرأسمالـي نفســه .

Digitized by Birzeit University Library

وفي الحالة الخاصة للضفة الغربية، موضع البحث، فان الازمة تتفاقم مع مجرد وجود الاحتلال العسكرى الاسرائيلي وغياب السلطة الوطنية التي يفترض ان تكون مسؤولة عن الشروط السكنية، كجزء لا يتجزأ من سلطة وطنية سياسية تمتلك سيادة كاملة على البلاد .

ومن هذا المنطلق ايضا فان حل ازمة السكن في الضفة الغربية، وفي المناطق المحتلة عموما، يجب ان يتم البحث فيه ايضا من خلال تأسيس دولة فلسطينية مستقلة كجزء من عملية معقدة تستهدف اعادة بناء كامل النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادى للبلاد على اسس جديدة لن يتسع المجال لعلاجها في هذه الاطروحـــة .

وأكثر من ذلك، فنحن نعتقد ان تكاليف المأوى هي من اكثر التكاليف صلابة وانعداما للمرونة من كل مصاريف الاستهلاك بالمعايير النسبية، اى نسبة الى حجمها النسبي في دخل المستهلك . ولذلك فان التغيرات المفاجئة في دخل العائلة، وخصوصا، انخفاض الدخل الحقيقي المفاجئ، تنعكس بصورة عامة وبشكل مباشر سريع في تعديل كمية النقود التي يتم صرفها على السلع الاخرى بما في ذلك مصاريف الغذاء ،ولكن لا يمكن ان تنعكس في الكمية التي يتم صرفها على السكن. فعندما تزيد تكاليف المأوى ، فانه ليس من السهولة بمكان ان تقلل او تستبدل خدمات السكن على الاقل في المدى القصير، وعلى سبيل المثال فانه اذا زادت ضريبة الاملاك، فان العائلة لا تستطيع ان تستغني عن غرفة الجلوس او ان تستبدل حمام البيت بحمام آخـر رخيـص .

اضافة الى ذلك، فان المصاريف التي تستطيع ان تدفعها العائلة للمأوى ترتبط بشكل كبير مع الموقع الجغرافي لهذا المأوى . وهذه العلاقة القوية لا تؤثر فقط على نوعية السكن الذى تشغله العائلة، ولكن ايضا على قدرة الوصول الى الوظيفة والعمل، وعلى قدرة الوصول الى الاسواق التجارية، وعلى نوعية المدارس والخدمات العامة، وعلى الخواص الاجتماعية والفيزيائية للبيئة التي تقطن فيها ايضـــا .

وهكذا فان تكاليف المأوى التي تعتصر المداخيل هي قضية مركزية ليس فقط لازمة السكن بل لمستوى معيشة الطبقة العاملة بشكل عام . وعلى سبيل المثال، فانه يلزم لبناء شقه في الضفة الغربية بمساحة (١٣٠) مترا مربعا، ما يعادل ٢٫٠٧٥٫٠٠٠ ليرة اسرائيلية باسعار عام ١٩٧٦ ،بينما بلغ معدل دخل الفرد في الضفة الغربية باسعار ذلك العام ايضا، ٧٢٢١ ليرة اسرائيلية . اى انه لبناء هذه الشقة فان المستهلك بحاجة الى ٢٨٧ مرة ضعف معدل دخل الفرد ($\frac{٢٫٠٧٥٫٠٠}{٧٢٢١}$ = ٢٨٧ مرة)، واكثر من ذلك ، فان تكاليف السكن (اجرة السكن مع الصيانة) تبلغ ٢٥ ٪ من معدل استهلاك الفرد في الضفة الغربية (٧) .

وهناك عناصر اخرى فيما يتعلق بازمة السكن من ناحية العرض ، وفي حالة الضفة الغربية فانه من الجدير ان نذكر بعضا منها (٨) .

اولا : انخفاض نسبة مساهمة القطاع العام، وبالاساس البلديات، في قطاع البناء، ففي عام ١٩٦٨ بلغت هذه النسبة ١٥ ٪ من الابنية لاغراض السكن، وقد انخفضت هذه

Digitized by Birzeit University Library

النسبةالى ٢ ٪ فقط في عام ١٩٧٥ .وهذا يعود اساسا الى الاقتطاع من ميزانيات البلديات من جانب سلطات الحكم العسكرى، ووضع العوائق امام البلديات في محاولتها للحصول على دعم مادى من الخارج .

لسوء الحظ الان فانه لاتتوافر لدينا معلومات دقيقة عن حجم هذه الاقتطاعات . ونعتقد ان هذا موضوعا يستحق البحث في المستقبل .

ثانيا : انخفاض نسبة العائد على الاستثمار بالنسبة للمقاولين في قطاع السكن خلال الزمن . لقد كانت هذه النسبة ٩٪ بين اعوام ٦٥ ــ ١٩٦٧ ، واصبحت ٦ ٪ بين اعوام ٧٣ ــ ١٩٧٦ . بالطبع فان هذا الانخفاض في معدلات العائد على الاستثمار سيؤدى الى تقليل الاستثمار في قطاع البناء السكني لصالح انواع اخرى من البناء مثل بناء المكاتب وغيرها .نحن نعتقد ان هذا له علاقة مع قوانين الايجار والاستئجار الاردنية فيما يتعلق بتأجير السقق السكنية . ان القوانين تعمل لصالح المستأجر وليس المؤجر . فقط في نهاية السبعينات اجريت بعض التغييرات في هذه القوانين لصالح المالكين ، ولكن لسوء حظنا الان فنحن لا نمتلك المعلومات الموثقة للحديث عن هذه المسألة القانونية التي نعتقد انها بحاجة الى معالجة علمية من قبل رجال القانون في البـــــلاد .

ولكن ذلك ،على اية حال ، لا يعني اننا نؤيد رفع اسعار الشقق السكنية وهي قضية موضوع الازمة التي نعالجها . ان ذلك يتطلب تشجيعا للاستثمار في هذا القطاع من جانب اولئك الذين يقومون بعمليات تمويل هذا النوع من الاستثمار اما على شكل دعم نقدى للمستثمرين او اى شكل آخر يتناسب وظروف البـــلاد .

ثالثا : مشكلات بيع الاراضي ومتطلبات عمليات التسجيل القانونية الزمنية تجعل بيع الاراضي صعبا لان كثيرا من مالكي الاراضي يعتبرون "غائبين" بالنسبة لانظمة وقوانين الحكم العسكرى. هؤلاء المالكين الذين لم يسجلوا في احصاء السكان لعام ١٩٦٧ بسبب انهم كانوا خارج البلاد . ان هذه المشكلة تتفاقم اكثر لان اراضيهم لا يمكن استعمالها من قبل اقربائهم حتى لو كان ذلك بموافقة المالكين . وهكذا ،فان الارض تصبح "مجمدة" . وعندما يموت اصحابها فان احدا لا يستطيع استعمالها غير حارس املاك الغائبين (اى السلطة العسكرية المحتلة) . ان قانون الغائبين يمنع توزيع الاراضي لاولئك الذين يحق لهم ان يرثوها كما تنص على ذلك الانظمة الاسلامية والمسيحية فيما اذا مات صاحب الارض والورثة كانوا "غائبين" في احصاء عام ١٩٦٧ . وهذه الاراضي تصبح هدفا لسياسة الاستيطان الاسرائيلـــي .

وبالاضافة الى ذلك فان العمليات الرسمية لتسجيل بيع الاراضي تتطلب على الاقل ثلاثة شهور في المعدل ،واحيانا سنة كاملة، وامر كهذا سيجعل الاسعار تتذبذب ، وهذه التذبذبات ستؤثر على جانب الطلب ايضا ، وعلى الاغلب بطريقة سلبية ، ولكنها ستؤثر على جانب العرض بشكل سلبي اكثر من ذلك .

Digitized by Birzeit University Library

ان الحركة الكلية لهذه العوامل مجتمعة تقترح علينا ان عجزا في عرض البناء لاغراض السكن، اى فائضا في الطلب على البناء لاغراض السكن، هو الحالة العامة التي يمكن ان نتوقع وجودها .

وهذا يدعم محاولتنا في تقدير معادلة الطلب فقط وليس في تقدير معادلة طلب وعرض في آن واحد معـــا .

نوعيـــة السكـــن

" منذ ان بدأت الثورة الصناعية اولا بتحويل الحياة الغربية، فانه لم يوجد هناك عنصر من عناصر المجتمع استدعى اهتماما حساسا من قبل المصلحين وبشكل مستمر اكثر من ظروف فقراء المدن، وخصوصا ظروف السكن ... وبالرغم من ذلك فاننا لا نستطيع ان نحصل على مناقشة عقلانية او سياسة عامة وناجحة بدون ان نقيس ظروف السكن بواسطة مقياس موضوعي نوعا مـــا . (٩)

هذا الاهتمام الحساس ساهم في ايجاد بعض المقاييس النوعيةللسكن مثل : نسبة الازدحام والتي تقاس بعدد الافراد للغرفة الواحدة او للمتر المربع من السكن، وجود الخدمات والادوات المطلوبة والتي تقاس بملكية السلع المعمرة (غسالة، ثلاجة ...الخ) ملكية البيت وتقاس بنسبة المالكين لبيوتهم واؤلئك المستأجرين لبيوتهم ، وربما يكون من المهم اضافة معدل استهلاك الفرد من الطعام يوميـــا .

وهناك مقاييس اخرى عن ظروف الجوار ، ولكننا في حالة الضفة الغربية لم نجد معلومات عن ذلك .على اية حال، سيكون هناك عقلانية كبيرة لاضافة شيء من هذا القبيل الا وهو مدى جاذبية موقع السكن للمعيشة. وهذه تتضمن خصائص مثل المدارس الجيدة ، ووسائل التسلية، ودور الحضانة، ومواقف وخطوط لوسائل النقل، ومن المهم ايضا اضافة خلو المكان من الجريمة(عنصر الامن) .

ان الاحصائيات عن درجة الازدحام* في المسكن تبين ان حوالي اكثر من نصف السكان الفلسطينيين يعيشون في ظروف ازدحام شديدة: (بمعدل ثلاثة افراد للغرفة الواحدة) بينما نسبة ٢ر٥ / فقط من السكان الاسرائيليين والدول المتقدمة تعيش في ظروف شبيهة . وبنفس الوقت فانه اذا اعتبرنا الذين يعيشون في ظروف مترفة (اقل من فرد واحد للغرفة الواحدة) فان نسبة ٥ ٪ فقط من كل سكان الضفة الغربية يعيشون في ظروف كهذه، بينما تبلغ النسبة في اسرائيل حوالي ٢٣ ٪ عام ١٩٧٤ و ٢٧ر٤ ٪ عام ١٩٧٧ ، وفي الدول المتقدمة الاخرى بلغت هذه النسبة حوالي ٥٠ ٪ عام ١٩٧٤ .

ان هذا الامر يمكن تفسيره اولا بسبب ان دخل الفرد في الضفة الغربية منخفض بشكل

* انظر الجدول رقم (١)

Digitized by Birzeit University Library

عام.وان درجة التمايز الاجتماعي والطبقي مرتفعة عموما في البلدان المتخلفة وهذا ينطبق على الضفة الغربية ايضا . واضافة الى ذلك فان نظام العائلة الممتدة لا زال يترك اثراكبيرا على عدد افراد الاسرة عموما وعلى تشكيل الاسر نفسها بالرغم من تحلل البنية الاقطاعية للضفة الغربية. وبالمقارنة مع العائلة الاسرائيلية فان العائلة الفلسطينية تطمح لان يكون عدد افرادها اكثر . وهكذا فان معدل عدد افراد الاولى يبلغ ٤ ، بينما الثانية يبلغ ٧ افـــــراد .

اما بالنسبة لعدد العائلات التي تملك بيوتها في الضفة الغربية، فان النسبة الاجمالية تبلغ ٧٣ ٪ من عدد العائلات كلها وهي تقريبا نفس النسبة في اسرائيل . ولكن في مدن الضفة الغربية تنخفض هذه النسبة بشكل كبير لتصل الى حوالي ٤٨ر٥٪ في حين أن الذين يدفعون اجرة للبيوت التي يسكنون فيها تبلغ ٥١ر٥ ٪ من عدد العائـــــلات .

وعندما يدور الحديث عن الوسائل التي تتوفر في البيت، فان الوضع في الضفة الغربية ليس مرضيا . فان نسبة ٤٦ ٪ من كل العائلات تستعمل الكهرباء في مساكنها. ونسبة ٦١ ٪ منها لديها مطابخ وفقط نسبة ٢٧ ٪ لديها مصدر عام للماء ، ونسبة ٣٣ ٪ لديها ابار خاصة للماء ، و ١٧ ٪ منها لديها حنفية ماء في ساحة البيت ، ونسبة ٢٤ ٪ لديها حنفية ماء في البيت . وفقط نسبة ٧٩ ٪ من كل العائلات لديها مراحيض في بيوتها . (١٠)

ومن خلال مراجعة الاحصائيات المتوفرة فلقد حدثت بعض التحسينات في الوضع خلال الوقت بالنسبة لامتلاك السلع المعمرة،ولكن هذه الاحصائيات تبين ان غالبية العائلات في الضفة الغربية تفتقر الى الخدمات المختلفة لكل من الحاجات المادية والمعنوية والثقافية في البيت . ولان الطعام يشكل العنصر الاساسي في ميزانية العائلة،فانه من المفترض ان اول مظهر للتحسين في مستويات المعيشة سينعكس في ملكية السلع المعمرة التي ترتبط بالطعام مثل فرن الغاز والثلاجة الكهربائية ومن الواضح ان نسبة العائلات التي اصبحت قادرة على مثل هذا التملك قد ازدادت ، ولكن ، حتى بالرغم من هذه الزيادة، فان النسبة ظلت منخفضة بالنسبة لعدد العائلات الاجمالي مما يشير الى ان هذه الملكية ظلت مقتصرة على النخبة وعلى العائلات ذات الدخل المرتفع . (١١)

وهكذا فان عملية التحديث بالنسبة للعائلات في الضفة الغربية ظلت بطيئة . ويشير الاقتصادي الاسرائيلي الدكتور آريه بريجمان الى هذه الظاهرة حيث كتب يقول :

" ان ذلك يدلل على ان الفجوة لا تزال موجودة بين هذين القطاعين (يعني السكان العرب في الضفة الغربية والسكان العرب في اسرائيل ع.ز) كما ان الفروق توجد في تركيب الاعمار لرؤوس الاسرة، وفي حجم العائلة ، وفي المستوى التعليمي لافراد العائلة، وفي النظام الاجتماعي والثقافي الداخلي لكلا القطاعيـــن ...

ويضيف قائلا : " ان المعدل الاجمالي لسلة الطعام لسكان المنطقة (اي الضفة الغربية

Digitized by Birzeit University Library

ع٠ز) كان يزيد بثبات منذ عام ١٩٦٨. وجزء من هذه الزيادة يمكن ملاحظته في المعدلات اليومية لاستهلاك السعرات الحرارية، والبروتين النباتي والحيواني الاعلى ٠ ان معدل استهلاك الفرد لكل هذه العناصر كان في عام ١٩٧٣ اعلى من تنبوءات منظمة الزراعة والتغذية التابعة للامم المتحدة (الفاو) بالنسبة لكل المملكة الاردنية الهاشمية لعام ١٩٨٥ "(١٢)٠

ولكننا نعتقد انه من المنطقي ان تجرى المقارنة مع المستهلك الاسرائيلي حيث ان الحياة الاقتصادية للضفة الغربية اصبحت ترتبط اكثر فأكثر مع اقتصاد اسرائيل نفسها بسبب عملية الالحاق الاقتصادى التي تجرى على قدم وساق ، ولذلك فانه بالرغم من الزيادة في معدل استهلاك الفرد خلال الفترة ١٩٦٩ – ١٩٧٥ في الضفة الغربية، فانها لا تزال اقل من معدل استهلاك الفرد الاسرائيلي ٠ ويتبين من الجدول رقم (٣) ان معدل استهلاك الفرد من السعرات الحرارية في الضفة الغربية اقل من معدل استهلاك الفرد الاسرائيلي بنسبة ١٠٪ وهذه الفجوة تزيد حينما نبحث عن نسبة البروتين الذى يستهلكه الفرد الفلسطيني وذلك الذى يستهلكه الفرد الاسرائيلي ،حيث ان معدل استهلاك الاول لا يتجاوز ثلثي معدل استهلاك الثاني ٠وبينما يحصل الفرد الفلسطيني على ٢٥ ٪من البروتين من مصدر حيواني ، يحصل الفرد الاسرائيلي على ٥٠ ٪ من البروتين من نفس المصدر (١٣) ٠

ونرى لزاما علينا ان نوضح ان استخدام هذه المعايير تعتمد على اعتقاد الكاتب بان البيت لا يعني فقط الحجارة التي نستعملها للبناء ، ولكنه يعني "المنزل" اى البيت والعائلة التي تعيش فيه ، "والمنزل" يملك المعنى الاشمل لازمة السكن ٠ وهذا هو السبب الذى يجعل احد اهداف هذه الرسالة هو ان نتحقق من الفرضية التي ندرسها والتي تقول بان مرونة الطلب على السكن بالنسبة للدخل في الضفة الغربية هي اقل من واحد ، اى ان الطلب على السكن هو قليل المرونة كما اوضحنا في السابق عند الحديث عن تكاليف المسكن الصلبة وغير المرنة بالنسبة للمصاريف الاستهلاكية الاخرى ٠

وهذا ما سنأتي على توضيحه في الحلقات القادمة ٠

جدول رقم (١)

العائلات ، معدل الازدحام لعام ١٩٧٤

(نسبة مئوية من كل العائلات)

البلد	من صفر–١	من ١ – ١ر٩٩	من ٢–٢ر٩٩	٣ وأكثر	٤ وأكثر
الضفة الغربية	٤ر٦ ٪	١٨ر٨ ٪	٢٤ر٤ ٪	٥٢ر٣ ٪	٢٣ر١ ٪
اسرائيل	٢٢ر٨	٥٦ر٧	١٥ر٣	٥ر٢	١ر٥
البلدان المتقدمة	٤٩ر٤	٣٩ر٢	٦	٥ر٤	٠٠٠

المصادر :

١) كتاب الاحصاء السنوى الاسرائيلي والمجلد ٢٨.

٢) د ٠ نضال صبري، مصدر سبق ذكره .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٢)

العائلات التي تمتلك سلعا معمرة في

الضفة الغربية واسرائيل ، ١٩٧٤ و ١٩٧٧

(نسبة مئوية من كل العائلات)

السلعة	اسرائيل		الضفة الغربية	
	١٩٧٤	١٩٧٧	١٩٧٤	١٩٧٧
مدفئة غاز / كهربائي	٣٣٪	٥٤ر٢ ٪	٨ر٣ ٪	١١ ٪
جهاز تهوية	٧ر٩	١ر٩	...	...
جهاز غاز / كهربائي للطبخ	٦٢	٦١ر٩	٣٢ر٧	٦٠ر٨
ثلاجة كهربائية	٩٤ر٢	٩٦ر٨	٢٢ر٦	٣٣ر١
غسالة	١ر٦١	٧٠ر٥	١٣	١٦ر٨
ماكنة خياطة	٣٩ر٩	٤٠ر٧	٢٢ر٦	٢١ر٧
راديو	٨٨ر٤	٩١	٧٩ر٩	٧٨ر٧
تلفزيون	٧٩ر٧	٨٧ر٨	٢٠ر٥	٣٦
حاكي	٢٧ر٧	٣٢ر٣	٤ر٦	٤ر٢
مكنسة كهربائية	٢٦ر١	٣١ر٦	...	...
دراجة هوائية	...	...	٢ر٥	٣ر٤
سيارة خاصة	٢٦ر١	٢٧ر٧	٢ر٦	٣ر٥
الة تسجيل	٢١ر٦	٣٠ر٦	٤ر٨	٧ر١
خلاطة	٣٦ر٨	٤٣ر١	...	...

المصدر . كتاب الاحصاء السنوى الاسرائيلي ، مجلد ٣٠ .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم (٣)

معدل استهلاك الفرد من الطعام :

القيمةالغذائية والطاقية لمعدل سلة الطعام

اليوميـة ، اسرائيـل والضفـة العربيـة

١٩٦٩ / ١٩٧٠ – ١٩٧٤ / ١٩٧٥

السنـة	العددالاجمالي للسعرات الحراريـة		البروتين (بالغرام)		الدهـن (بالغـرام)	
	اسرائيل	الضفة الغربية	اسرائيل	الضفة الغربية	اسرائيـل	الضفةالغربية
١٩٧٠/٦٩	٢٩٨٠	٢٥٥٠	٩١ر٥	٧٥ر٢	١٠٤ر٣	٦١ر٤
٧١/٧٠	٢٩٩٧	٢٣٦١	٩٢ر٨	٧٦ر٥	١٠٥ر٧	٦١ر٩
٧٢/٧١	٣٠٣٠	٢٦٩٠	٩٤ر٦	٧٨ر٤	١٠٨	٦٣ر١
٧٣/٧٢	٣٠٦٣	٢٧١٩	٩٥ر٦	٧٩ر٤	١١٠ر٧	٦٥ر٨
٧٤/٧٣	٣٠٥٧	٢٧٥٠	٩٥	٨٠ر٣	١١٠ر٧	٦٦ر٩
٧٥/٧٤	٣٠٥٢	٢٨٢٣	٩٧ر٥	٨١ر٢	١١٥ر٢	٦٨ر٥

المصدر : الملخص الاحصائي الاسرائيلي

لاعوام : ١٩٧٢، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٧٩.

صفحات : ٦٦٥، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧٣٠، ٢٧٤ و ٣٠٠.

المراجـــع :

١) د. بكر ابو كشك ، "السكن في الضفة الغربية وقطاع غزة البيادر السياسي ، (اذار ١٩٨٣ القدس ص ٢٧ – ٤٠.

٢) د. نضال صبرى، الضائقة السكنية وفي الضفة الغربية ، (الضفةالغربية :جامعة بيرزيت)

3) James Follain and Others: The Demand For Housing In Developing Countries : The case of Korea " JournalUrban Economics 7, NO 3 (May 1980) 323 .

Digitized by Birzeit University Library

4) S. Charles, "Do We Need a Housing Policy ? " National Westminster Bank Quarterly Review, (August , 1978): 57- 58 .

5) Statstical Abstract of Israel, NO.29, (1978) .

٦) د .نصال صبرى ، مصدر سبق ذكره . صفحة ٥ .

x هذه الجملة ليست موجودة في النص الانكليـــزى .

٧) : د . بكر ابو كشك ، مصدر سبق ذكره ، صفحة ٣٣.

٨) لمزيد من المعلومات انظر د . نصال صبرى مصدر سبق ذكره ص ١٥.

9) James Heilbrn, Urban Economics and Public Policy, (New York : st.Martins Press 1974) pp. 239-240 .

10) Statistical Abstract of Israel, Ibid NO.28 (1979) .

١١) لمزيد من المعلومات انظر جدول رقم (٢).

12) Arie Bregman, Economic Growth In The Administerd Areas, 1968-1973 (Jerusalem: Bank Of Israel, Research Department), 1974, P. 23 .

١٣) لمزيد من المعلومات انظر جدول رقم (٣).

Digitized by Birzeit University Library

قوة الماركسية - اللينينية الخلاقة

دراسة

بقلم : غريشا فيليبوف *

لقد صادف يوم ١٩٨٤/٩/٩ الذكرى الاربعون لانتصار الثورة الاشتراكية في بلغاريا ، والتي على اثرها سيطرت الطبقة العاملة بطليعتها الحزب الشيوعي البلغاري على السلطة السياسية هناك ، حيث كانت نهاية نظام الحكم الرأسمالي الغاشي في بلغاريـــا .

وفي المقالة التالية يبين كاتبها الظروف التي مرت بها نضالات الطبقة العاملة وطليعتها الحزب الشيوعي البلغاري والانجازات التي حققتها الثورة الاشتراكية في بلغاريا على كافة الاصعـــــدة .

الكاتب

انصرمت اربعة عقود منذ انتصار الثورة الاشتراكية في جمهورية بلغاريا الشعبية . وهذه مرحلة قصيرة من الناحية التاريخية ، ولكن لا مثيل لها على امتداد ثلاثة عشر قرنا من تاريخ بلادنا من حيث المدى والجرأة والانجازات الملحمية . وقد قال الرفيق تودور جيفكوف ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، رئيس مجلس الدولة في جمهورية

* عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ، رئيس مجلس وزراء جمهورية بلغاريا الشعبية

Digitized by Birzeit University Library

بلغاريا الشعبية ان " بلغاريا تسير اليوم بخطى واثقةبمعية مجموعة البلدان المتقدمة التي تشق طريق البشرية نحو مملكة الحرية ، نحو الشيوعية" (١) .

لقد اكدت تجربتنا التاريخية الخاصة وكذلك تجربة البلدان الاشتراكية الاخرى ان التعاليم الثورية العظيمة لماركس وانجلز ولينين هي الاساس العلمي الفكرى الراسخ لمجمل النشاط النظرى والعملي الرامي الى بناء المجتمع الجديد . والحزب الشيوعي البلغارى مخلص بلا حدود للماركسية اللينينية . ففي جميع مراحل النضال ضد الرأسمالية ومن اجل بناء الاشتراكية كان الحزب لا يزال يسترشد بهذه التعاليم ويتمسك بثبات بالقوانين العامة لتطور المجتمع .

ان قوة حزبنا تكمن في كونه يعتبر النظرية الماركسية اللينينية مرشدا للعمل وتعاليم حية على الدوام تتطور وتزداد ثراء في مجرى العملية التاريخية وتراكم الخبرة الثورية العالمية.

وبدل الطريق الذى اجتزناه على ان الحزب الشيوعي البلغارى استوعب عمليا تعاليم الماركسية ـ اللينينية بشأن الاشتراكيةواتقن تأمين السمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية العالية لهذا النظام ، آخذا تجلياتها في الظروف البلغارية في الاعتبار . ونحن ندرك بعمق صواب فكرة انجلز الذى كتب في حينه ان الاشتراكية ليس امرا ثابتا لا يتبدل ، بل هي معرضة لتغيرات وتحولات مستمرة. كما ندرك ان التقدم باتجاه الشيوعية هو عملية ابداع تقوم بها الشعوبوالاحزاب الشيوعية ، حيث يساهم كل بلد بقسطه في اغناءالذخيرة النظرية العامة للحركة العمالية والشيوعية العالمية ومكتسباتها العملية .

منذ اكثر من تسعة عقود رفع حزب الشيوعيين البلغار عاليا راية الاشتراكية العلمية وقاد البروليتاريا على طريق النضال الطبقي الذى لا يعرف الهوادة ، ونما هذا الحزب وتوطد كطليعة سياسية للطبقة العاملة وقائد للشغيلة .

ان ثورتنا الاشتراكية بطبيعتها منذ البداية وحتى النهاية ، تكرار لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في كل ما هو رئيسي واساسي ، وتجسيد للقوانين العامة للانتقال من الرأسماليةالى الاشتراكية وتطبيق خلاق وتطوير لاحق لمبادئ النضال البروليتارى في ظروف بلغاريا .

وقد جرى بقيادة جيورجي ديمتروف تطبيق الفكرة اللينينية حول الجبهة الموحدة ، وتحققت وحدة العمال بين الشيوعيين والقوى السليمة في اتحاد الشعب الزراعي البلغارى (٢) . ولف الحزب حوله كل المعادين للفاشية واقام الجبهة الوطنية ونظم تحت رايتها النضال المسلح ضد الرأسمالية الفاشية الملكية والرجعية وقادهحتى النصر الناجز . وقد وفر هجوم الجيش السوفييتي في البلقان عام ١٩٤٤ للجبهة الوطنية وضعا ملائما استثنائيا للاستيلاء على السلطة . وكان انتصار ثورة التاسع من ايلول (سبتمبر) مثالا فريدا للتجسيد الظموس للماركسية ـ اللينينية وتطويرا خلاقا لنظرية النضال البروليتارى في ظروف بلادنا الخاصة وتجسد ذلك ، بالدرجة الاولى ، في صياغة الحزب الشيوعي البلغارى للموضوعة القائلة بان الثورة الاشتراكية ـ ديكتاتورية البروليتاريا ـ يمكن ان تأخذ في ظروف معينة

Digitized by Birzeit University Library

شكل الديمقراطية الشعبية . وارست الثورة بداية عصر جديد في تاريخ الدولة البلغارية عصر التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية العظيمة على الطريق المفضي الى الاشتراكية والشيوعية .

غدا الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري (نيسان / ١٩٥٦) لحظة انعطاف في تاريخ الحزب والشعب ، حيث ادان عبادة الفرد الغريبة عن الاشتراكية واعاد المبادئ والقواعد اللينينية لحياة الحزب واتخذ قرارات سياسية جديدة نوعيا حول تطور البلاد اللاحق . وارسى هذا الاجتماع بداية خط نيسان ـ خط الماركسية ـ اللينينية الخلاقة والاستراتيجية الاقتصادية والاجتماعية ـ السياسية للبناء اللاحق للمجتمع الاشتراكي في بلغاريا .

لقد كان العبء الذى ورثته الدولة الشعبية ثقيلا . فالفقر والتخلف المزمن والصناعة المتخلفة والاستثمارات الزراعية المفتتة والصغيرة ذات الاسلوب الانتاجي البدائي ـ هي سمات بلغاريا قبل ٩ ايلول ١٩٤٤ .

قطعت البلاد في خلال اربعة عقود الطريق من المحراث الخشبي الى الالكترونيات ، من الحياة شبه البائسة الى انعتاق الفرد الاجتماعي والروحي وازدهاره . وتحققت نجاحات عظيمة في بناء القاعدة المادية ـ التقنية للاشتراكية وتطوير العلاقات الاجتماعية وتحويل البنية الاجتماعية ـ الطبقية للمجتمع وتغيير نمط حياة الناس وارتفاع رفاهية الشعب والازدهار الروحي للامة . وفي غضون فترة قصيرة بلغت بلغاريا ما بلغته بلدان اخرى في السابق وفي ظروف مغايرة في بحر قرون .

وركزت سياسة الحزب الاقتصادية ، ولا سيما بعد الاجتماع الكامل للجنة المركزية في نيسان ١٩٥٦ على تكوين القاعدة المادية ـ التقنية الحديثة للمجتمع الجديد ، التي تؤمن التطور السريع والفعّال للقوى المنتجة والتغيير الجذرى لعلاقات الانتاج . ففي فترة ما بعد الحرب كلها كانت بلغاريا من بين الدول التي اتسم تطورها الاقتصادى بأعلى الوتائر . وما زال تقدمها الاجتماعي والاقتصادى محتفظا بديناميته واستقراره في العقد الاخير ايضا بالرغم من الوضع الاقتصادى المعقّد للغاية .

وتستقبل بلغاريا الاشتراكية عيدها الاربعين وهي تملك قاعدة مادية ـ تقنية اقوى عشر مرات مما كانت عليه في عام ١٩٥٢ . وتدخل حيز العمل سنويا الان ارصدة اساسية اكثر مرتين او ثلاث مما كانت تملكه البلاد عام ١٩٣٩ . وزادت حصة الفرد من الدخل الوطني المنتج في العام المنصرم ب ٩ر٢ مرات عن مستوى ما قبل الحرب . وحصلت تغيرات نوعية مشهودة في بنية الطاقة الانتاجية ومستواها التقني . وتغيرت العلاقة بين حجمي الانتاج الصناعي والزراعي :ففي عام ١٩٣٩كانت هذه النسبة تعادل ٣٤الى٦٦وفي عام ١٩٨٣ اصبحت ٨٤ الى ١٦ . وفي عام ١٩٣٩ كانت النسبة بين الانتاج الصناعي للفئة "أ" والفئة "ب" (٣) تعادل ٢٣ الى ٧٧ ، وغدت في عام ١٩٨٣ ـ ٦٢ الى ٣٨ . وفي فترة ١٩٧١ ـ ١٩٨٣

Digitized by Birzeit University Library

نما الدخل الوطني البلغاري بما يعادل (٣ر٢) مرتين والارصدة الاساسية بحوالي (٧ر٢) مرتين بالرغم من ارتفاع الاسعار العالمية للانواع الاساسية من الوقود والخامات والمواد الاولية ومن تردى العلاقات مع البلدان الرأسمالية الصناعية في السنوات الاخيرة . ويزيد عدد طلاب المؤسسات التعليمية العليا اليوم على عدد طلاب المدارس المتوسطة قبل الحرب ، وعدد اساتذة الجامعات على عدد معلمي المدارس التي كانت قائمة آنذاك مرتين وتحولت بلغاريا الزراعية المتخلفة الى دولة زراعية صناعية متطورة .

ووجدت التطورات العميقة في اقتصادنا التعبير الواضح بصورة خاصة في التصنيع الاشتراكي السريع للاقتصاد الوطني ، حيث كانت تعطي الاولوية للصناعة الثقيلة وذلك وفقا لاحد القوانين الاساسية لبناء المجتمع الجديد . وكان تطوير الصناعة ، الذى جرى بمساعدة لا تقدر بثمن من الاتحاد السوفييتي وفي ظل علاقات صداقة اخوية مع البلدان الاشتراكية ، يستهدف اعادة تنظيم الاقتصاد الوطني . وهي عملية اتسمت بالشمول وجرت وفقا لاحدث الانجازات العلمية ـ التقنية .

اضفى الحزب على عملية التصنيع طابعا بلغاريا خاصا وراعى امكانات التقسيم الاشتراكي الدولي للعمل والحجوم الصغيرة نسبيا للاقتصاد الوطني وتم التوصل الى تغييرات تقدمية في بنية الاقتصاد الوطني (ولا سيما في الصناعة) ، والى تركيز الانتاج وتخصصه وتحسين تنظيمه بدرجة كبيرة وخلق الشروط التي تؤمن مرونة المؤسسات وقدرتها على المناورة وفقا لحاجات السوق الداخلية والخارجية المتبدلة .

ان الصياغات النظرية الجديدة بصورة اساسية والتناولات العملية التي توصل اليها الحزب الشيوعي البلغاري في عملية التصنيع ـ هي تجسيد عملي للنظرية الماركسية ـ اللينينية الخلاقة والقدرة على تطبيق خبرة بلادالسوفييت في بناء الصناعة الكبرى الحديثة في ظروف بلغاريا الملموسة .

لقد اولى حزبنا الزراعة اهمية كبرى على الدوام واعارها اهتماما خاصا . لقد اجتاز هذا القطاع طريقا شاقا ولكنه مثمر من اعادة البناء النوعية ، حيث غدت جزءا راسخا لا يتجزأ من الاقتصاد الوطني الاشتراكي . كما صيغت السياسة الزراعية للحزب الشيوعي البلغاري وطبقت على اساس الاغناء الخلاق المتواصل للنظرية الماركسية ـ اللينينية ، ودراسة الخبرة السوفييتية والافادة منها وفقا للمهام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والايديولوجية الملموسة لكل مرحلة من مراحل التطور . ويمكن ابراز مرحلتين اساسيتين في خلال العقود الاربعة المنصرمة : الاولى ـ اعادة بناء العلاقات الاجتماعية في الريف على اسس اشتراكية عبر اقامة النظام التعاوني وتوطيده . والثانية ـ تصنيع الانتاج الزراعي وتكامله مع الصناعة .

ان اكثر ما يميز المرحلة الاولى هو التطبيق الخلاق للخطة التعاونية اللينينية مع اعادة بناء الزراعة على اسس اشتراكية وخلق الشكل المميز لظروف بلغاريا الوطنية والاقتصادية ـ الاجتماعية ، ذلك الشكل المتمثل في استثمارات العمل الزراعية التعاونية . فمنذ عام ١٩٤٨

Digitized by Birzeit University Library

رسم ديمتروف الاتجاهات والمهام الرئيسية في هذا الميدان : اشراك الفلاحين الفقراء والمتوسطين بصورة تدريجية في استثمارات العمل الزراعية التعاونية وتطوير محطات الماكنات والجرارات والغاء تأجير الارض والحد من بيع الارض وشرائها ومن ثم حظره تماما ، وتقليص ومن ثم الغاء الريع العقاري بقرار من الفلاحين التعاونيين انفسهم . وفي النتيجة حلت مسألة ملكية الارض عمليا على نحو اصبحت فيه الارض في حوزة الفلاحين الكادحين بصورة ابدية ، وبعد الاتحاد السوفييتي كانت بلغاريا اول من حقق انتصار النظام الجديد في الريف واقام علاقات الانتاج الاشتراكية فيه .

وفي المرحلة الثانية نشأت اشكال اقتصادية تنظيمية جديدة هي المجمعات الزراعية الصناعية . وقد اظهرت هذه المنظمات الاشتراكية الحديثة والفعالة افضلياتها ، حيث حققت درجة رفيعة من تخصص الانتاج وتركيزه . وفي عام ١٩٧٩ ، تأسس الاتحاد الزراعي الصناعي الوطني وهو اتحاد اقتصادي طوعي جديد كليا للمؤسسات الصناعية الزراعية والمنظمات العلمية الانتاجية في اطار المجمع الزراعي الصناعي الوطني .

اقر المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي البلغاري (١٩٧١) برنامج بناء المجتمع الاشتراكي المتطور في بلغاريا . وهدفه خلق المقدمات المادية والروحية الضرورية للانتقال التدريجي نحو المرحلة العليا من التشكيلة الشيوعية ، وشق الطريق نحو تجلي امكانات الاشتراكية على نحو اكمل وتحقيق افضلياتها في جميع ميادين الحياة ، وبالطبع بلوغ انتاجية عمل ارفع من انتاجية العمل في ظل الرأسمالية ، الامر الذي اعتبره لينين العامل الرئيسي الاكثر اهمية لانتصار النظام الاجتماعي الجديد (٤) .

وكانت قرارات المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي البلغاري (١٩٨١) معلما ضخما في السياسة الاقتصادية للحزب . فقد صاغ المهمة الاقتصادية ـ الاجتماعية الرئيسية على النحو التالي : تلبية حاجات الشعب المادية والروحية والاجتماعية المتنامية باستمرار على نحو اكمل واكثر شمولية على اساس تكثيف الاقتصاد الوطني ، والتطبيق المتسق للتناول الاقتصادي الجديد وآلياته ، وتطوير العلاقات الاجتماعية الاشتراكية .

ويرتبط النهج الرئيسي لتطور بلغاريا الاقتصادي ـ الاجتماعي بنقل الانتاج المادي والقطاع غير المنتج وجميع انواع النشاط الاجتماعي الى السبيل المكثف ، ولا يمكن مقارنة هذه العملية ، من حيث حجم التحولات وعمقها وقوة تأثيرها ، الا بالتصنيع الاشتراكي .

ان الضرورة الموضوعية للتكثيف العام والشامل تشترطها الثورة العلمية ـ التقنية الحديثة ومجموعة من شروط اعادة الانتاج الداخلية والخارجية ايضا . والحديث يدور ، من جهة ، حول استنفاد امكانات جذب احتياطيات عمل اضافية ، والنقص المتزايد في انواع الخامات ومصادر الطاقة الاساسية ، وارتفاع الاسعار العالمية على الوقود والطاقة وبعض انواع الخامات والمواد . ومن الجهة الاخرى ، حول مشاركة بلغاريا الاكثر نشاطا في التقسيم الدولي للعمل . وتتطلب الشروط الموضوعية لتطور الاقتصاد في المرحلة الراهنة بالدرجة الاولى الاستخدام الاكثر فاعلية لثلاثة عوامل من عوامل الانتاج : وسائل العمل ، مواضيع العمل والعمل الحي . من هنا تنجم ضرورة التطوير الجذري للتنظيم الاشتراكي للانتاج والعمل

Digitized by Birzeit University Library

وتفتح الملكية العامة لوسائل الانتاج الكامنة في اساس النظام الجديد امكانات واسعة لتسريع التقدم العلمي التقني وبناء القاعدة المادية التقنية الملائمة للمجتمع الاشتراكي الناضج .

ويبني الحزب الشيوعي البلغاري الاستراتيجية الحديثة لتطور القوى المنتجة اللاحق على الجمع العضوي بين انجازات الثورة العلمية التقنية والامكانات الغنية للعلاقات الاجتماعية الاشتراكية . وتطرح في المقام الاول مكننة الانتاج واتمتته بصورة شاملة وادخال الالكترونيات والسبرنطيق في العمليات التكنولوجية والادارة ، والاستفادة على نطاق واسع من الخبرة الطليعية الوطنية والاجنبية ، واستخدام الاحتياطيات في جميع الفروع والمؤسسات على نحو كامل . ونعير اهمية خاصة كذلك لرفع المستوى التقني للانتاج وفاعليته ونوعية المنتجات وقدرتها التنافسية والحفاظ على وتائر عالية وراسخة من النمو الاقتصادي في ظل محدودية موارد الطاقة والخامات .

في هذا السياق تطرح امام صناعة بناء المكائن مهمة صنع منظومات انتاجية مؤتمتة واستخدام الانسان الالي والنماذج والخطوط التكنولوجية والالات ذات الادارة المبرمجة وتقنية الليزر والكمبيوترات الصغيرة والانظمة الجديدة لادخال الالكترونيات في النقل والالات الاخرى المتطورة بنسبة كبيرة على نطاق واسع . لذا يتطلب الامر تطوير صناعة بناء المكائن الاستثمارية الثقيلة والاتجاهات المستقبلية الاخرى داخل هذا الفرع من فروع الاقتصاد الوطني .

ويتمثل لب السياسة الزراعية الحديثة للحزب في تصنيع الانتاج الزراعي وتكثيفه على اساس المكننة والاتمتة الشاملتين والاستفادة من انجازات الكيمياء والبيولوجيا والتطبيق الشامل لطرق العمل الصناعية .

ان التقييم الواقعي لما تحقق في خلال اربعين عاما يساعدنا على الرؤية الصحيحة للقضايا الجديدة للبناء اللاحق للاشتراكية الناضجة . وقد بين التحليل انه ظهرت في المرحلة الراهنة ضرورة رفع نوعية العمل بصورة جادة بكل الحاح وحزم . وهذا مطلب حياتي موضوعي ومهمة تكنولوجية واقتصادية واجتماعية وايديولوجية من الدرجة الاولى ناجمة عن النمو السريع في متطلبات المستهلكين وعن الطبيعة غير المغلقة لاقتصادنا ، الامرين اللذين يتطلبان رفع القدرة التنافسية للمنتجات . وينبغي ان يسير التطور الدينامي للبلاد تحت شعار " نوعية رفيعة في كل مكان وفي كل المجالات " . ولا يمكن تحقيق ذلك الا اذا اخذت القوانين الموضوعية لبناء الاشتراكية الناضجة في الحسبان مع تطبيق التناول الشامل .

ويملي النمو الكبير لقيمة المنتجات الاستهلاكية ضرورة تجديد التقنية الموجودة والتكنولوجيا والمنتجات بالدرجة الاولى على اساس حلول علمية تقنية جديدة . ويبدي الحزب الشيوعي البلغاري لدى صياغة سياسته وممارستها اهتماما لا يكل بتحسين النوعية في مجمل سلسلة دورة اعادة الانتاج . وتولي عناية خاصة لتحليل افضل الانجازات العالمية التي ينبغي ان تصبح بالنسبة للمنتجات البلغارية معايير للنوعية الرفيعة .

ترتدي المسائل المتعلقة بتطوير وتحسين نظام الادارة الاجتماعية اهمية كبرى استثنائية

Digitized by Birzeit University Library

في سياسة حزبنا . وقد كنا في فترة بناء الاشتراكية كلها نسترشد بكلمات لينين القائلة "بانه بعد انتزاع الطبقة العاملة السلطة السياسية تتلخص الوظيفة الاساسية للدولة في مجال توطيد وترسيخ الشكل الاشتراكي للانتاج في تنظيم الاقتصاد الوطني . وهذه المهمة هي مهمة تنظيم الحساب ومراقبة انتاج المنتجات وتوزيعها ورفع انتاجية العمل ــ وبكلمة ... اعادة التنظيم الاقتصادية" (٥) .

يخضع حل مسائل الادارة الاجتماعية لمتطلبات القوانين الاقتصادية للاشتراكية وضرورة تحقيق توافق اكمل بين مستوى تطور القوى المنتجة وتنظيمها ، من جهة ، والعلاقات الاجتماعية في عملية الانتاج والتوزيع والاستهلاك ، من الجهة الاخرى . وقد صيغت في بلغاريا في غضون عقدين ونيف تناولات وطرقا وقاعدة معيارية لادارة الاقتصاد على نحو اكثر فاعلية ، وتكوين النظام الشامل للادارة الاجتماعية وتطويره باستمرار .

ويرتدى قانون التطور المبرمج والمتناسق اهمية خاصة بالنسبة للاقتصاد الاشتراكي . ويشكل الجمع العضوى بين متطلباته ومتطلبات القوانين الاخرى الاساس لاتخاذ القرارات المعللة اقتصاديا . ويعمل قانون التطور المبرمج والمتناسق في ايامنا اكثر فاكثر عبر العلاقات السلعية النقدية التي تميز الاشتراكية وتتسم بها داخليا . والحزب الشيوعي البلغارى ، اذ يؤكد الطابع السلعي للانتاج الاشتراكي يأخذ في الحسبان في الوقت نفسه المحتوى الاقتصادى ــ الاجتماعي الجديد لمقولاته . فالدور الاجتماعي للسلعه والنقد في ظل الاشتراكية ، وفقا لقناعة حزبنا العميقة ، يختلف عنه في ظل الرأسمالية تماما كما يختلف هذان النظامان الاجتماعيان نفسيهما وتختلف اشكال الملكية والتوزيع فيهما . وتنتج سياسة الحزب الشيوعي البلغارى الان بوضوح ضد اى استخفاف سواء كان واضحا او خفيا ، وسواء كان بالخطة او المنطلق التخطيطي في تطور الاقتصاد الوطني ، او السوق والقوانين الاقتصادية للعلاقات السلعية النقدية والحساب الاقتصادى . ان تجاهل هذه الامور يؤدى الى طريق فاسدة في الادارة والى انتهاك الاستقلالية الاقتصادية للمؤسسات والمنظمات الاقتصادية .

يركز الحزب على الاستخدام الواسع للمقولات السلعية النقدية في صالح الاشتراكية وتحويلها الى حافز جبار لنمو الانتاج وتحسينه . لهذا الهدف تمت صياغة تناول وآلية لادارة الاقتصاد الوطني يجرى تطبيقهما الان بقضيان باستخدام مجموعة من الاشكال الاقتصادية الفعالة الجديدة في الانتاج المادى وفي المجال غير المنتج . ويطبق من حيث الجوهر اصلاح كبير لنظام الادارة الاجتماعية يخلق جميع المستلزمات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الضرورية لتطور البلاد المتسارع والحل الناضج للبناء اللاحق للاشتراكية المتطورة في بلغاريا . ويركز التناول الاقتصادى الجديد وآليته على الحفز الاقتصادى وخلق الاسس للصلات المباشرة بين الانتاج والسوق والتطبيق المتسق والشامل للحساب الاقتصادى وجزئه المكون الاساسي ــ مبدأ قيام المؤسسات بتغطية تكاليفها بنفسها والاستخدام الفعال لجميع الروافع الاقتصادية في مجمع واحد .

Digitized by Birzeit University Library

تشكل موضوعة صاحب الملكية الاشتراكية وسيدها القاعدة النظرية للتناول الاقتصادى .

ونعتقد ان لوسائل الانتاج في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع الاشتراكي ، بالاضافة لمالكها المتمثل بالدولة الاشتراكية ، سيدا مباشرا هو جماعة العاملين ، التي تستفيد عمليا من ملكية الدولة الموضوعية في حوزتها . لذا من المهم صياغة العلاقات المتبادلة الجديدة في ادارة الاقتصاد .

واذ نطبق التناول الاقتصادى الجديد وآليته ، نسعى الى تحقيق الاهداف الاساسية الكبرى التالية :-

- تنظيم ادارة نظام المصالح الاجتماعية والجماعية والفردية على نحو افضل ، وتوطيد وحدتها بنسبة اكبر .
- تسريع الانتقال من الاسلوب الموسع الى الاسلوب المكثف لتسيير الاقتصاد - على جميع الاصعدة وفي مجمل سلسلة عملية اعادة الانتاج وذلك لتأمين الاستخدام الفعال للمواد كافـــة .
- استخدام التناولات والطرق العلمية في الادارة على نحو اوسع وتسريع ادخال المنجزات العلمية التقنية حيز التطبيق لحل قضية النوعية بصورة جذرية ورفع وتائر نمو الدخل الوطني وانتاجية العمل الاجتماعية .

- تسليح الكوادر بفهم جوهر التناول الجديد ، وتكوين نمط تفكير وعمل جديد لديهم ، وتشجيع نشاطهم الابداعي .

وادخلت مجموعة من التعديلات في نظام التخطيط من اجل زيادة دور الخطة في تأمين التطور المتناسب للاقتصاد . بيد ان الدولة لا تفرض وصاياتها على المنظمات الاقتصادية ، التي ينظم نشاطها وفق الخطة المقابلة (٦) . فالمنظمات الاقتصادية وجماعة العاملين ، كعامل لعلاقات الانتاج الاشتراكية وسيد حقيقي للملكية الاشتراكية ، تضع بنفسها الخطة وتنظم تنفيذها . وتخلق الخطة المقابلة الحوافز الاجتماعية للنشاط العملي وتتحول اكثر فاكثر الى اداة اساسية للعمل التنظيمي - الاقتصادى ، حيث تمكن من استخدام العقل الجماعي للابداع على نطاق اوسع للكشف عن الاحتياطيات الجديدة للتكثيف الشامل .

بين المكتسبات العظيمة لبلغاريا الاشتراكية تبرز في المقام الاول الانجازات الاجتماعية للشعب وخلق افضل الظروف لحياة الانسان الشغيل ، الذى تتاح له فرصة الوصول الى المنابع المنشطة للثروة الاجتماعية . فقد حررت الاشتراكية الجماهير الواسعة من الكادحين من الاستغلال والبطالة والبؤس ، اى من مساوئ المجتمع القديم وامراضه . ويكرّس دستورنا الحق الاساسي للانسان - حقه في العمل - وتعنى الدولة بتأمين كل الظروف الضرورية لاستخدام موارد العمل بصورة كاملة وتوزيعها العقلاني في مختلف ميادين الاقتصاد الوطني . وفي الوقت نفسه تعمل على خلق المستلزمات الهامة الاخرى لتطور الانسان الشامل ، حيث يؤمن لجميع المواطنين التعليم المجاني وتحل مسألة السكن بنجاح وتحسن ظروف العمل الراحـــة ومواطن بلغاريا المعاصر مكفول تماما من الناحية الاجتماعية ، ووعيه الاشتراكي يجعله

Digitized by Birzeit University Library

بانيا نشيطا للاشتراكية المتطورة ويبعث فيه تفاؤلا تاريخيا لا ينضب .

وتولي السياسة الاجتماعية لحزبنا ودولتنا اهتماما خاصا لرفع مستوى حياة الشعب . ولهذا الهدف اقر في عام ١٩٧٢ برنامج خاص ينفذ بنجاح بالرغم من الوضع الدولي المعقد وارتفاع الاسعار في السوق العالمية والاحوال المناخية السيئة لعدة سنوات . وفي خلال ١١ سنة ارتفعت اجرة العمل بما يقارب ٥٥ بالمئة .واقتربت بلغاريا بصورة ملحوظة من المعدلات المعللة علميا من حيث استهلاك المواد الغذائية الاساسية وسلع الاستهلاك الطويل الامد ، وتجاوزت في بعض المواقع حتى بلدانا على درجة ارفع من التطور الاقتصادى . وازدادت ارصدة الاستهلاك الاجتماعية (للفرد من السكان) بنسبة ٨٦ بالمئة تقريبا ، ورصيد التراكم في القطاع غير المنتج حوالي ٣ مرات . وتحققت نجاحات كبيرة في ميدان الرعاية الطبية والتعليم والثقافة.

ان نتائج العمل هي الاساس الواقعي الوحيد الذى يحدد وتائر وحجم نمو الرفاهية الشعبية . ولذا فاننا لا نضع الاهداف في ميدان رفع مستوى حياة الشعب الا في ضوء امكاناتنا وانجازاتنا الاقتصادية . هنا يكمن مفتاح تطبيق السياسة الاجتماعية للحزب وتحويلها الى عامل نشيط ووسيلة جبارة لتطوير القاعدة المادية التقنية وتكثيف الاقتصاد الوطني بصورة شاملـــــة .....

والحزب والدولة يخلقان ، انسجاما مع هذه السياسة ، المستلزمات الاقتصادية والتنظيمية الضرورية لاشراك جماعات العاملين والشغيلة كافة بنشاط في النضال من اجل رفع مستوى المعيشة . ونعمل على تعزيز الدور المحفز والمنظم لاجرة العمل وفقا للمبدأ الاشتراكي في الدفع حسب كمية العمل ونوعيته ، وتطوير الاكتفاء الذاتي للوحدات الاقليمية من المواد الغذائية الاساسية والخ ..

وتكوّن السياسة الاجتماعية الوحدة بين رفع مستوى معيشة الشعب وترسيخ نمط الحياة الاشتراكي . والسمة المميزة لهذه السياسة هي الاولوية في تلبية الحاجات العليا المرتبطة بتوطيد صحة الانسان واطالة عمره ورفع مستوى ثقافته وزيادة فترة الراحة واستخدامها بعقلانية من اجل تطوير الفرد .

ان السياسة الاقتصادية ـ الاجتماعية للحزب الشيوعي البلغارى بمجملها تظهر ببلاغة ان مجتمعنا هو مجتمع البناء . فالنظام الاشتراكي ينطوى على امكانات ضخمة للتقدم لان المستقبل له ، وهذا ما يميزه عن الرأسمالية . وبهذا المعنى فان النضال من اجل بناء الاشتراكية المتطورة لا ينفصم عن المطامح الانسانية للبشرية جمعاء وعن اتجاهات تطورها المعاصـــر .

في الوضع الدولي المتوتر الراهن ، حيث تبذر الدوائر الامبريالية الميالة الى الحرب وعلى رأسها ادارة ريغان ، بذور الكارثة النووية ، يجمع الحزب الشيوعي البلغارى باتساق بين جهود بناء المجتمع الاشتراكي الناضج والنضال في سبيل السلام وضد الخطر النووى ومن اجل تحويل البلقان الى منطقة خالية من السلاح النووى . ويتفق هذا الموقف مع آراء الاحزاب الشقيقة الاخرى ومع سياسة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي التي توحد

Digitized by Birzeit University Library

بصورة عضوية بين النضال في سبيل الارتقاء بالاشتراكية المتطورة والنضال في سبيل السلام ويؤدي ذلك الى وحدة طبيعية بين اعمال الاحزاب الشقيقة على الصعيد الدولي ، لان ثمة حاجة موضوعية لتنسيق السياسة الخارجية لجميع اعضاء المنظومة الاشتراكية .

فنحن نواجه الامبريالية العالمية بقيادة الامبريالية الاميركية ، التي ينتابها حقد مرضي على عالم الاشتراكية والاتحاد السوفييتي ، بوحدتنا وقدرتنا الاقتصادية المتنامية ، التي تشكل الاساس المادي لسياسة السلام والانفراج والتعاون المتبادلة النفع ، واساس قدرتنا الدفاعية . ونواجه المنظومة الاشتراكية بتلاحمها المتزايد " الحملة الصليبية" التي تريد العسكرية الاميركية بواسطتها الانتقام اجتماعيا لمواقعها المفقودة على الصعيد العالمي .

ووفقا لقرارات اجتماع القمة الاقتصادي لبلدان مجلس التعاضد الاقتصادي (حزيران ١٩٨٤) يوجه حزبنا ودولتنا الجهود لخلق الظروف التي تؤمن مشاركة بلغاريا النشيطة والفعالة في الاعمال التكاملية ، التي تمهد للادخال السريع لمنجزات التقدم العلمي التقني والتكثيف الشامل والزيادة الحادة في فاعلية جميع ميادين الحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية والدفاع النشيط عن مواقع الاشتراكية القائمة .

ان ايامنا ، وكذلك فترة اربعين عاما من البناء الاشتراكي في بلغاريا ، تؤكد واحدة من الحقائق الاساسية لعصرنا : ان الاتحاد السوفييتي هو الضمانة الرئيسية لبناء المجتمع الجديد بنجاح ، وهو القوة الرئيسية للحركة العالمية في سبيل السلام والتفاهم بين الشعوب ودعامة التقدم الثوري العالمي . ونعمل على تطوير الصداقة والتعاون مع اول بلد للاشتراكية المظفرة في العالم على كل الاصعدة . وتعتبر العلاقات البلغارية ـ السوفييتية مثالا للعلاقات الاخوية المتكافئة الجديدة ، التي لا يمكن ان تقوم الا بين شعوب القت عن عاتقها الى الابد نير النظام الاستغلالي .

ان سياستنا المنسجمة مع الخط العام للتوسيع والتعميق المضطردين للتعاون الاقتصادي والعلمي ـ التقني في اطار مجلس التعاضد الاقتصادي مفتوحة لتطوير العلاقات الاقتصادية والعلمية ـ التقنية مع جميع بلدان العالم على اسس المنفعة المتبادلة والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية .

ان الانتصارات الرائعة لبلغاريا الاشتراكية تظهر بوضوح القوة التغييرية للافكار الشيوعية والامكانات التي لا تنضب لعمل وابداع الامة الحرة ، والوحدة التي لا تنفصم بين الحزب والشعب . وفائدة الاخوة مع البلدان الاشتراكية وبالدرجة الاولى الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي العظيم .

ان انجازاتنا كلها هي ثمار السياسة البعيدة النظر للحزب الشيوعي البلغاري ولجنته المركزية بقيادة الماركسي ـ اللينيني المجرب والشخصية البارزة في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية تودور جيفكوف . ويحدد الحزب ـ طليعة الشعب السياسية ـ ببعد ثوري ونضج سياسي زجرأة وتبصر علمي الاتجاهات العامة لتطور البلاد ، ويدرس قضايا التطور الاجتماعي ويحلها بنجاح .

لقد اجتازت الماركسية ـ اللينينية الخلاقة امتحان التاريخ . وتثير النجاحات لدينا شعورا

Digitized by Birzeit University Library

مشروعا بالفخر وتدفعنا الى مضاعفة الجهود . وامامنا مرحلة طويلة نسبيا من تطور الاشتراكية في بلادنا ستؤدي الى المجتمع الاشتراكي الناضج . والسمة المميزة لهذه المرحلة هي البعد الجديد لقياس ما تم انجازه بمعايير ومتطلبات الغد لا الامس .

ويسير شعبنا نحو مملكة الحرية ، نحو الاشتراكية بخطى راسخة ، واثقا بقواه ، ملتفا حول سياسة الحزب اللينينية .

عن قضايا السلم والاشتراكيه

الهوامـــش

==========

١) تودور جيفكوف . المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي البلغاري ومهام الارتقاء بالاشتراكية المتطورة . قضايا ، مهام ، مواقف . صوفيا ١٩٨٢ ، ص ١٣٢ ، (باللغـــة البلغاريـــة) .

٢) اتحاد الشعب الزراعي البلغاري ـ حزب فلاحي برجوازي صغير في الماضي . في عام ١٩٤٢ انضمت القوى البارزة داخله الى الجبهة الوطنية ، وفيما بعد اعترف الاتحاد بالدور القيادي للحزب الشيوعي البلغاري وببرنامجه . يتمثل الاتحاد في اجهزة السلطة في الجمهورية ويشارك بنشاط في بناء الاشتراكية ـ المحـــرر .

٣) الفئة "أ" تضم الفروع المنتجة لوسائل الانتاج ، والفئة "ب" تضم الفروع المنتجة لمواد الاستهلاك ـ المحـــرر .

٤) انظر لينيـــن ، المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٩ ، ص ٢١ .

٥) المصدر السابق ، المجلد ٣٦ ، ص ١٣٠ .

٦) تركز خطة الدولة الاهتمام على الاتجاهات الرئيسية للتطور الاقتصادي وتؤمن تناسقه وتوازنه وتنفيذ التزامات بلغاريا الدولية . لا تحصل جماعات العاملين في المؤسسات من الدولة الا على بعض المؤشرات الالزامية الاساسية وعلى اساسها تضع بصورة مستقلة خطتها المقابلة ، وهي برنامج واسع للنشاط الانتاجي ـ الاقتصادي والتطور الاجتماعي . وهذه الخطة لا تضمن فقط انجاز المهمات التي تضعها الدولة ، بل وتكشف عن الاحتياطيات ايضا رافعة بذلك من فاعلية نشاط المؤسسات ـ المحـــرر .

Digitized by Birzeit University Library

محاولة لتحليل الهيكلية الجديدة للمجتمعات العربية

بقلم : صالح الحاجي* ـ الهاشمي الطرودي**

ان الدول التي أنشأتها البورجوازية الصغيرة في البلاد العربية مدعية انها فوق الطبقات ،وأنها تمثل مصلحة المجتمع وتجسم الوحدة القومية، ليست في واقع الامر وكما أكدته الاحداث الملموسة، الا دولا ذات تعبير طبقي معين، وأن منشأ الغموض والاوهام التي نشأت حول طبيعة هذه الدول (وليس من قبل ممثليها الايديولوجيين فحسب بل حتى من بعض الاوساط اليسارية) انما مرجعه ان هذه الدول ما تزال في حالة تبلور طبقي، والضبابية الايديولوجية تعتبر نتيجة ملازمة له. فالقضية الاساسية التي ينبغي ان نعيرها اهتمامنا وأن تشكل مصدر حيرة نظرية بالنسبة لنا، انما هي قضية المراحل الانتقاليـــة .

واذا مسكنا بهذه العقدة النظرية فاننا نستطيع التخلص من هذه الحجب وأن نواجه الواقع بمنظار من الالمام بمعطياته وتشعباته . فالواقع اثبت ان البورجوازية الصغيرة التي ادعت لنفسها، من خلال برامجها وايديولوجيتها وممارساتها السياسية، انها تفي للصراع الطبقي، وتهميش لايديولوجية الطبقة العاملة، ونفي للبرجوازية التقليدية، وتجاوز لعجزها وقصورها عن ايجاد حلول لمتطلبات وأهداف الحركة الوطنية، ونفي للهيمنة الاستعمارية بأشكالها المباشرة والمقنعة، هذه البرجوازية الصغيرة انتهت الى نفس الازمة، وأفضت تحركاتها الى خلق واقع جديد فقدت فيه هيمنتها كطبقة ، ومهدت فيه لقوة طبقية جديدة تمثل في نظرنا تجاوزا لواقع البورجوازية التقليدية وانبثاقا من صلب هذه البورجوازية الصغيرة لشريحة جديدة، وجد كلاهما أرضية بالانتقاء، وصياغة لمرحلة جديدة هي المرحلة

* عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي التونسي

** ماركسي تونسي

Digitized by Birzeit University Library

الراهنة التي تعيشها عدة بلدان عربية اثر انحسار مواقع ومواقف هذه القيادات ، واثر انصهار معظم عناصرها ومكوناتها السياسية البيروقراطية والتكنوقراطية ولا تقول القواعد العريضة للبورجوازية الصغيرة في صلب هذه القوة الاجتماعية العديدة التي يصطلح عليها بالبورجوازية الجديـــــدة .

قد يبدو هذا المصطلح غريبا ، أو يؤدي الى اساءة الفهم ،اذ أن المصطلحات السياسية التي اعتاد التفكير السياسي ان يتناولها بصفة مبسطة تتأرجح بين البورجوازية التقليدية والكومبرادورية والوطنية والبورجوازية الصغيرة، هذه المصطلحات التي قد تعبر عن محتويات محددة في اطر تاريخية معينة ، قد لا تفيدنا بمفهومها المبسط في تحديد المحتوى المرحلي والتركيب الطبقي المتشعب وغير المستقر مرحليا وهيكليا بحكم العوامل الداخلية من جهة والعوامل الخارجية من جهة اخـــرى .

واذا اردنا ان نواجه هذا الواقع المعقد بقطيعة مع الدوغمائية يتعين علينا ان نفكك مكونات هذا الواقع التي يتحدث عنها الجميع (الامبريالية ، الاستعمار الجديد الاثراء الفاحش..) وان نفكك العلاقات بين مكونات التركيب الاجتماعي في سيرورتها وافاق تطورها ، وفي الواقع الاجتماعي الذى ينشأ عنها موضوعيا ، وفي التطور الايديولوجي والتعبير السياسي الذى يعكس ويوجه مختلف مواقفهـــــا .

واذا تلمسنا هذا الواقع المعقد في محاولة لتحديد هذا المفهوم فانه ينبغي أن نطلق التفكير المبسط والميكانيكي الذى قد يرى في البورجوازية الجديدة قوة اجتماعية حدثت بمجرد سقوط هذه التجارب ، أوأنها قوة محددة اقتصاديا وسياسيا قلبت موازين القوى لفائدتها اذ تثبت الوقائع ان ما يسمى بالبورجوازية الجديدة هو بمعنى المادية الجدلية تأليف لقوة جديدة. فالبورجوازية التقليدية لم تعد هي هي كما كانت في العهد الاستعمارى او المرحلة الاولى من الاستقلال الوطني اذ استفادت من التحديث الذى ادخلته الدولة الجديدة ومن الدور الذى لعبه الرأسمال الاجنبي في تأهيلها للمرحلة الجديـــدة .

والبورجوازية القيادية الصغرى لم تعد هي هي بكل عناصرها بل تحولت الى موقع جديد لا يشهد لها به اصلها الاجتماعي وانما واقعها في جهاز السلطة ، هذا الواقع الذى فصلها عن شعاراتها الايديولوجية وعن قواعدها الاجتماعية العريضة ومكنها من احتلال مواقع اقتصادية ، أى من مواقع بورجوازية في البناء التحتي وأهلها بدورها الى التكيف وبالتالي الى التعبير السياسي المكثف عن الواقع الجديد الذى لا يمثل تطلعاتها فحسب وانما يمثل تركيبة لها خصوصياتها : فهي على الاصح في طريقها للتعبير اولا عن هيكلة طبقية جديدة ما فتئت مكوناتها تترابط وتتلاقى عضويا وهي البورجوازية التقليدية في صيغتها الجديدة ، وثانيا الرأسمال الاجنبي الذى اصبح في ظل النهج الرأسمالي للتنمية طرفا مباشرا في الواقـــع الاقتصادى والاجتماعي للبلدان العربية. وثالثا هي نفسها باعتبارها جناحا في هذه التركيبة

Digitized by Birzeit University Library

تحتل مركز القيادة بحكم موقعها في السلطة من جهة، وبحكم روابطها الجديدة بالبناء التحتي بقطبيه الداخلي والخارجي ،وتتوجه هذه البرجوازية نحو السياحة والوساطة (السمسرة) والتوريد والتصدير والمضاربات المالية والصناعات التصديرية، والصناعات المعملية الممو لة اصلها من الدولة بالقروض والمساعدات ومختلف التشجيعـــات .

بكل هذا وبالواقع الفكرى والثقافي الجديد للاوساط البورجوازية وللباعثين الصناعيين ، أمكن لهذه الشريحة ان تمسك بمفاصل الواقع الاقتصادى في اطار التداخل بين مصالحها ومصالح الرأسمال الاجنبي في اطار الاستعمار الجديـــد .

كل هذا يبين أن ما نسميه البورجوازية الجديدة لم تكن ظاهرة فجائية، وانماكانت افرازا لوضع طبقي في حالة تشكل وهو وضع ساهم فيه موضوعيا والى حد ما واقع التخلف ونوعية الهيكلة التي صاغ فيها الاستعمار المجتمعات العربيـــــة .

لكن هذا الواقع كان نتيجة منطقية لسياسات الانظمة البورجوازية الصغيرة التي تتمثل سمات سلطتها اساسا في عدم القطع مع نمط التنمية الرأسمالية وفي مفاهيمها الايديولوجية القائمة على الوحدة القومية بالمفهوم الاقليمي او بالفهوم القومي الشامل النافية للواقع وللصراع الطبقي والقائمة على النظرة السكونية التي تتجاهل التغييرات الاقتصادية والاجتماعية وما تفضي اليه من فرز طبقي ، هذا فضلاعن منهجها السلطوى ونزعتها الوصائية على المجتمع .هذه النزعة التي قادتها في المجتمعات العربية دون استثناء رغم ما ترفعه من شعارات الى قمع الطبقة الشغيلة وتعبيراتها السياسية والايديولوجية بمختلف اشكالها (التنظيمات السياسية، المنظمات النقابية، الانشطة الثقافية ...) .

ان البورجوازية الصغيرة التي هادنت البورجوازية ، وأفسحت لها المجال لتحتل موقعا في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية الجديدة، مارست في الوقت نفسه كل انواع القمع ضد الطبقة الشغيلة ومختلف تعبيراتها السياسية والايديولوجية والحال ان الوضع كان يدعو موضوعيا الى تشكل مجموعة تاريخية جديدة قد تقود الى تحولات جذرية داخل البنى الاجتماعية في العالم العربي . لكن الاحداث اثبتت ان القضية الجوهرية هي قضية قيادة بناء علاقات التحالف وأن الاجراءات والشعارات التي رفعتها البورجوازية الصغيرة رغم طابعها الايجابي احيانا لم تكن قادرة على ارساء ظروف هذا التحالف . وكما اشرنا فالواقع الطبقي لتيارات البورجوازية الصغيرة، الذى يتميز بانطماس الهوية الطبقية، وتذبذب الموقف السياسي من جهة، وبتأثيرات آلية التركيبة الاجتماعية للبلدان العربية، كل هذا يفسر الازمة الشاملة التي سقطت فيها هذه القيادات البورجوازية الصغيرة كما يفسر دخول هذه المجتمعات في مرحلة جديدة هي المرحلة الليبرالية او مرحلة الانفتاح الاقتصادى .

والسؤال المطروح هو : هل أن هذه الازمة ظرفة ام انها أزمة هيكلية ؟ ان الجواب عن هذا السؤال يجرنا الى التعرف على خصائص البورجوازية الصغيـــرة .

Digitized by Birzeit University Library

مرحلة الانفتاح الاقتصادى

لقد فشلت الانظمة البورجوازية الصغيرة، في عدة بلدان عربية (مصر ، السودان، الصومال على وجه الخصوص) ، اما ان قيادتها قد تحولت الى اجنحة ضعيفةتجاه القوة الجديدةالحاكمة التي افرزها المسار الاقتصادى والاجتماعي (كتونس) ، او انها لم تسقط بعد ولكنها تشهد ازمة وتتحكم فيها نفس العوامل الداخلية والخارجية التي سبق ان ادت الى فشل هذه الانظمة ، وتعويض سياستها ذات التوجه التقدمي بنهج رأسمالي صريح ومكشوف .

وقبل ان نتعرض الى احتمالات الدور الذى يمكن ان تلعبه مختلف اجنحة القيادات البورجوازية الصغيرة سواء منها التي ازيحت عن السلطة، وتعرضت احيانا الى قمع ومضايقات او التي ما تزال في السلطة ولكنها تحتل موقعا ثانويا في مركز القرار ... ينبغي ان نحلل خصوصيات المرحلة الجديدة التي تعيشها بلدانعديدة من العالم العربـــي .

- فما هي القوانين العامة للرأسمالية في البلدان ذات النهج الرأسمالي التبعي ؟
- وما هي نوعية الترابط الجديد بين الرأسمال الاجنبي والبورجوازية الجديدة ؟
- وما هو الدور الذى لعبه العنصر الايديولوجي والسياسي في دفع البلدان العربية وغيرها من البلدان النامية في هذا النهـــج ؟
- وما هي مواصفات الهيكلة الطبقية الجديدة ؟

القوانين العامة للرأسمالية في البلدان ذات النهج الرأسمالي التبعي

ان الفئة الجديدة من الرأسمالية الحاكمة في هذه البلدان لم تولد في اوج العلاقات الرأسمالية السائدة، اذ نشأت في رحم هذه العلاقات وفي اطار التطور الرأسمالي العام ، وتبلورت كقوة، بصفة تدريجية وبترابط وتشابك مع بقية الفئات الرأسمالية الاخرى الداخلية والخارجية، ولكن مع ذلك يمكن ، ومن خلال استقراء مراحل نشوئها وتبلورها كشريحة تحتل موقع الصدارة وقيادة عمليات التنمية وتعبر عن الطبقة الرأسمالية ككل يمكن ان نحدد خصائصهـــا فـــي :

أ) نمو هذه الفئة التي تشكلت خلالها الفئات الرأسمالية القديمة نتيجة للتطور الباطني لقوى وعلاقات الانتـــــاج .

ب) استخدام جهاز الدولة والقطاع العام استخداما مباشرا لتراكم رأسمالها .فهذه الفئة لم تصل موقع القيادة، نتيجة للمنافسة الرأسمالية وتراكم رأس المال ، وانما احتلت مواقع القيادة، بسيطرتها على جهاز الدولة واحتكارها لمراكز اتخاذ القرارات الاقتصادية الرئيسية الحاسمة وسيطرتها الادارية والسياسية على قطاع الدولة وموءسساته وعقد الاتفاقيات والقروض الاجنبية.فكثير من عناصر هذه الفئة تتكون من البيروقراطية والتكنوقراطيةورجالات الدولة والعناصر الطفيلية المنتفعة من النظـام الاجتماعـــي .

Digitized by Birzeit University Library

ج) لعبت هذه الفئات دورا هاما في دفع عجلة النمو الرأسمالي وتوسيع القاعدة المادية للعلاقات الرأسمالية وتوسيع صفوف طبقتها باتاحة فرص الاثراء المفتوح بلا ضوابـط .

د) استفادت هذه الفئة، في تجارب بعض البلدان ، من المجال الفسيح الذى تركته الانظمة البورجوازية الصغيرة للقطاع الخاص في اطار تجربتها ، كما استفادت من الدور الذى لعبه الرأسمال الاجنبي حتى في ظل هذه الانظمة لتشجيع البورجوازية المحلية ولتحقيق مواقع اقتصادية من خلال التعامل معها . ففي التجربة التونسية مثلا تركت المخططات انشطة اقتصادية هامة للقطاع الخاص ومكنته من التطور والنمو الى جانب القطاع العام : مثل النشاط البنكي ، والمقاولة والمضاربات العقارية والسياحية ، شركات التأمين ،بعض فروع التجارة الخارجية. وقد لعبت البنوك دورا في مساعدة هذه الرأسمالية الخاصة ويكفي ان نشير ان نسبة ٤٠٪ من جملة القروض التي منحها رأس المال المصرفي في العشرية الاولى كانت من نصيب الرأس المال الخاص .

نوعية الترابط بالاستعمار الجديد

لقد اشرنا في بداية هذا المدخل الى ان الانظمة البورجوازية الصغيرة لم تقض على العلاقات الكولونيالية بل اعتمدت في مجهوداتها التنموية الى حد كبير على رأس المال الاجنبي وفي اطار علاقات الاستعمار الجديد هذا الرأسمال الذى ، وان فقد بعض المراكز التي شغلها في صلب اقتصاديات البلدان المستعمرة ــ أمكن له بحكم هذه السياسات ان يتسرب ويحتل مواقع جديدة وأن يهيكل التركيبة الاقتصادية عبر مسالك جديدة ومتعددة. ففي تونس مثلا مولت الرساميل الاجنبية ٥٠٪ من جملة استثمارات المخطط كما بلغ حجم الديون الخارجية التجارية في بداية السبعينات نسبة ٤٥٪من الناتج الداخلي الخام . هذا بالاضافة الى ان المبادلات التجارية لم تشهد تحولا نوعيا .. فجل المبادلات ٧٥٪ تمت مع السوق الرأسمالية العالمية وخاصة مع السوق الاوروبية المشتركة. كما أن هيكل الصادرات لم يتغير حيث بقيت البلاد تصدر المواد الاولية وتستورد مواد التجهيز والاستهلاك. الا أن رأس المال الاجنبي الذى لعب هذا الدور في ظل التجارب السابقة قد ازداد توغلا ونفوذا في الواقع الاقتصادى الجديد بسياسة البورجوازية الجديدة التي عمقت ادماج البلدان العربية في السوق الرأسمالية العالمية وربطت مصالحها أكثر بتطوير التركيبة الاقتصادية في هذا الاتجاه. فالاستعمار الحديث وجد في هذه الفئة المواصفات التي يتطلبها لخلق فئات رأسمالية حديثة تتولى قيادة التنمية الرأسمالية تحت هيمنته وتحتل شيئا فشيئا مكان القيادة والانموذج لبقية الفئات البورجوازية وليس لبقية هذه الفئات فحسب بل حتى لقطاعات عريضة من البورجوازيات الصغيرة التي اغراها هذا الانموذج وألهب خيالها وشحذ تطلعاتها للبورجوازية مما جعلها ولفترة طويلة نسبيا واقعة تحت التأثير الايديولوجي والسياسي لهذه الفئة ورأت في انموذجها البديل الذى يحقق الرخاء ويخرجها من الكبت

Digitized by Birzeit University Library

السياسي والخنـق الاقتصـــادى .

ومن هذه المواصفات انحدار مجموعة من هذه الفئة من المتعلمين الذين لهم دراية بجهاز الدولة والجهاز المصرفي واتجاهات السوق العالمية ... والممثلون السياسيون لهذه الفئة هم ايضا من المثقفين، وبعض العناصر التي لها ماض وطني ولها قدرة في استخدام شعارات الوطنية والاشتراكية بعد أن افرغتها من مضمونها الاجتماعي لمصلحة افكار تحديث المجتمع (السادات كان يقول بـ " دولة العلم والايمان ") . ثم ان هؤلاء الممثلين السياسيين او الاحزاب التي يقودونها لم يعزلوا في البداية عن الاوساط الاجتماعية الواسعة بل نجحوا في التأثير عليها وايهامها بأن سياستهم هي سبيل الخلاص .. ولم يقتصر تأثيرهم على هذه الاوساط بل مارسوا هذا التأثير حتى على بعض مجموعات من القيادات النقابية العمالية وحضروها لتزكية سياستهـــــم .

ومن سمات هذه البورجوازية الجديدة ايضا جريها وراء الارباح السريعة، فهي لا تقبل على المشروعات التي تستدعي بطئا في دورة رأس المال، وهذا ما يفسر انصرافها الى قطاع الخدمات والسياحة والصناعات المعملية والمضاربات العقارية والمقاولات والبنوك والاستيراد والتوريد الـــخ ....

ان هذه المواصفات مكنت الاستعمار الجديد من التغلغل في الاقتصاد الوطني للبلدان العربية التي سلكت النهج الرأسمالي .. فقد فسحت المجال للرساميل الاجنبية للتدخل في كل القطاعات الاقتصادية (البنوك، الصناعة، الزراعة، المواصلات، التجارة ...) كما عملت على اضعاف القطاع العام وسعت الى أن تجعل من الدولة أداة لتمهيد الطريق للتنمية الرأسمالية : فالدولة هي التي سنت قوانين الاستثمار الصناعي والزراعي وقوانين الخدمات الاقتصادية والسياحية، هذه القوانين التي فتحت الباب على مصراعيه للاستثمارات الاحتكارية بمنحها رأس المال الاجنبي الامتيازات والاعفاءات الجمركيـة الخ..

وفي سياستها هذه خضوع لدوائر الاستعمار الحديث التي عملت في ظل التجارب السابقة وتعمل بشكل انشط في اطار الاختبارات الجديدة على توسيع القطاع الخاص وجعله ركيزة اساسية للتنمية وتسخير قطاع الدولة لخدمته ... فقطاع الدولة ضمن هذه السياسة تقلص دوره شيئا فشيئا وانحصر في توفير القاعدة المادية لاحتكار السلطة واصبح وسيلة للاسراع بتطوير العناصر الرأسمالية من داخله . فعلى الرغم من ملكية الدولة له فهو مصدر اثراء لفئات من الرأسمالية الجديدة والبيروقراطية المتحكمة فيه (في القطاع العام) والتي لها صلة بالقطاع الخاص عبر عمليات قطاع الدولة الخاضعة لقوانين السوق الرأسمالية . وهكذا يتواصل الاندماج بين هذه الفئات ورأس المال الخاص في عملية متواصلة تؤدى الى توسيع الفئـات الطفيليـــــة .

نستنتج من كل هذا ان هذه الفئة الجديدة التي احتلت مكان القيادة او التي هي في طريق الهيمنة عليها، انما تمكنت من ذلك بما حققته من توسيع القاعدة المادية للتطور

Digitized by Birzeit University Library

الرأسمالي الاني واللاحق وما تقدمه للاستعمار الجديد من خدمات وامتيازات .

الدورالايديولوجي والسياسي

ان هذه الفئة من البورجوازية تعيش حالة اغتراب بالمعنى الشامل على كل الاصعدة : الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية فهي ايديولوجيا وسياسيا نتيجة للاستعمار الجديد الذى لا يستخدم في تركيز نفوذه العامل الاقتصادى فحسب بل يعمل على تسريب مفاهيمه وقيمه لهذه المجتمعات عبر قنوات متعدده تلعب فيها اجهزة الاعلام ومؤسسات الدولة وسلوك اوساط البورجوازية دورا فعالا. فالاستعمار الجديد يعنى العداء للشيوعية والتشويه للايديولوجية الماركسية واستغلال الوضع الديني ضد الافكار التقدمية . ويدمج كل هذه العوامل ليخلق منها ايديولوجية لهذه البورجوازية الطفيلية تبرر وجودها واختياراتها .

الهيكلية الطبقية

ان نمو العلاقات الرأسمالية وسيادة الاقتصاد السوفي والقضاء على الاقتصاد الطبيعي ودفع عجلة التطور الرأسمالي من قبل هذه الفئة، كل هذا ادى الى تغييرات عميقة ونسبية في الوقت نفسه . فقد ادى هذا الى نمو الطبقة الشغيلة والى تزايد عدد الاجراء من ناحية والى تناقص سكان الريف وتضخم المدن من ناحية ثانية. لكن هذا التهشيم للبنية الاقتصادية والاجتماعية القديمة وهذه التغييرات التي شهدتها اوضاع البلدان العربية، لم يفض الى هيكلة اجتماعية واقتصادية جديدة تخلف البناء القديم لان من خصائص النمو الرأسمالي التبعي العجزعن استيعاب القوى الاجتماعيةالتي افرزتهاآليةهذاالنمو الرأسمالي . فتفقير الفلاحين والحرفيين والتزايد الديموغرافي في غياب سياسة قادرة على استيعاب هذه الطاقات وتشغيلها جعل البنى الاجتماعية في هذه البلدان تتميز بمواصفات خاصة. فالنهج الرأسمالي في ظل هيمنة السوق الرأسمالية العالمية لا يمكن ان يحل مشكلة التخلف ولا يمكن ان يبني اقتصادا قادرا على استيعاب هذه القوى الاجتماعية التي افرزتها آلية هذا النمو وهذا سر بطالة الشباب والحرفيين والفلاحين الفقراء الذين اجبرتهم السياسة الرأسمالية في الريف على النزوح الى المـــدن .

فالتضخم السكاني العفوى في البلدان المتخلفة لا يرجع كما هو الحال في اوروبا الى الثورة الصناعية والتغيير الثورى لعلاقات الانتاج الاجتماعية، بل هو راجع اساسا الى رأسمالية تابعة ومسقطة اى غير نابعة عن حركية المجتمع الداخلية . وقد ولد هذا الوضع بروليتاريا رثة غير متجانسة وغير متوحدة في تكونهـــا .

ان هذه التشكيلة الاجتماعية المشوهه انتجت جمهورا متسكعا لامدينيا Urbain

Digitized by Birzeit University Library

ولا ريفيا بل هو ازدواج بينهما ، وبين القيم التقليدية والقيم العصرية دون ان يكون احدهما ، انتجت شبابا مهمشا عن عملية الانتاج لا يحتل موقعا مستقرا ولا ينتمي الى شريحة اجتماعية متميزة فهو يأتي في موقع وسيط بين نمط الانتاج المتحل وطبقة شغيلة لم يكتمل تكوينها المتجانس بعـــد .

وهكذا نشأت بروليتاريا رثة مهمشة وفقيرة ، وقد تكونت هذه البروليتاريا من طبقات واوساط اجتماعية متعددة ، من فلاحين فقدوا أراضيهم وشباب نصف متعلم وعمال موسميين ونازحين وحرفيين صغار وأطفال شرد !!! وتعيش هذه البروليتاريا الرثة من القطاع اللا متشكل Secteur Informel والمرتكز على النشاطات الاقتصادية المعاشية الذاتية (الباعة المتجولون ، ماسحو الاحذية ، الحمالة ، باعة السجائر ...) يمثل هذا القطاع اللا متشكل والفئة التي تحتله شبكة تتوسط الشرائح الاجتماعية وأنماط الحياة ، انه يحمل بكثافة كل المظاهر الاجتماعية والتناقضات المتعددة بين الريف والمدينة ، بين الجديد والقديم . وبذلك يكون له تأثير على الحركية السياسية والايديولوجية وحتى في البحث عن الهوية الوطنيـــة .

ان هذه المعوقات الهيكلية تقف ، حائلا دون تأصيل عملية الفرز الطبقي في مستوى القاعدة الاجتماعية العريضة وتجعل من الاستحالة التاريخية تحقيق اوهام البورجوازية الجديدة في تحديث المجتمع وتطوير بنيته الهيكلية وفق الانموذج البورجوازي في مرحلة الرأسمالية التنافسية. فليس من الممكن بناء الرأسمالية في طور تعيش فيه الرأسمالية أزمة نموها وتواصلها في الاطار العالمي . وما الهجمة الامبريالية على بلدان العالم الثالث الا محاولة لايجاد منفس لازمتهـــا .

عندما نلقي نظرة عابرة على الهيكل الطبقي في البلدان ذات النهج الرأسمالي التبعي نلاحظ ان البورجوازية الجديدة بمختلف شرائحها من جهة والطبقة العاملة والاجراء بوجه عام من جهة أخرى يشكلان قطبي التناقض ولكن هذا لا يعني تبلور الهيكل الطبقي فالبورجوازية الصغيرة بمختلف شرائحها وجماهير العاطلين ذوي الاصول الاجتماعية المتباينة تشغل حيزا اساسيا داخل هذه التركيبة الاجتماعية الاقتصادية الامر الذي يسمح لنا بالقول أن الهيكلة الطبقية في هذه المجتمعات هي هيكلة مشوهة ومعاقة ، وهذا ليست له انعكاسات اقتصادية فحسب بل له ايضا انعكاسات على البناء الفوقي ، على المسار السياسي والايديولوجي لهذه المجتمعـــات .

على الصعيد السياسي والايديولوجي

ان الايديولوجية البورجوازية الصغيرة بشعاراتها القديمة وباصلاحاتها الاجتماعية ونزوعها الوطني ومناهضتها للامبريالية وعلاقات الصداقة التي كانت تربط العديد من الانظمة ببلدان المنظومة الاشتراكية ،وشعاراتها (اقتصاد وطني والاشتراكية والوحدة العربية

Digitized by Birzeit University Library

ومقاومة الصهيونية والقومية العربية) والدور الذى تحتله الاوساط المثقفة في المستوى الاجتماعي والسياسي والايديولوجي بكل هذا تمكنت من خلق انموذج جديد للتفكير وحركية نحو آفاق افضل، اى انها خلقت نوعا من البناء الفكرى المتماسك الذى غطى الفراغ الايديولوجي الذى تشعر به هذه المجتمعات والذى جذب اليها فئات واسعة من الشبـــاب .

لكن بعد فشل هذه التجارب عملت البورجوازية الجديدة وبصفة مكثفة وحازمة على تغيير سلم القيم والتشكيك في جدوى الشعارات والنهج التقدمي الذى كانت رفعته القيادات البورجوازية الصغيرة. كما عملت على ترسيخ مفاهيم جديدة لتصهر المجتمع في اطار اختياراتها ولتوهم الطبقات الشعبية التي تضررت من السياسات السابقة بأن نهجها هو الذى سيحقق التقدم الاجتماعـي والرفاهيـــــة .

لقد حطمت البورجوازية الجديدة بكل وسائلها وبتعاون مع الاستعمار الجديد مجموعة القيم التي بدأت تتغلغل في أذهان الناس وسلوكاتهم . فعمقت بنهجها الاقتصادى وبسلوكها الاجتماعي النزعة الفردية وهزت المجتمع من اعماقه فاندفعت كل القوى الاجتماعية الى الجرى وراء الثروات ، واقتنعت في البداية انه بامكانها ان تحقق مستوى الترف الاستهلاكي الذى حققته الشريحة البورجوازية وأنه يكفي للحصول على ذلك الانخراط في منطق هذه الاوساط والعمل على (تدبير الرأس) ... وقد ادى هذا الى تحطيم كل القيم واستشرت الانانية وتفشى الفساد واصبح الفرد لا يتردد في استعمال اية وسيلة من أجل الوصول الى أهدافه وتحقيق الطموحات التي ألهبت بها البورجوازية الجديدة خيال الناس وغرائزهم . ونتيجة لذلك طغت ممارسة السمسرة والوساطة والرشوة والمحسوبية والتسابق الوحشي ، والتقليد والمسخ الاجتماعي وازدواجية الشخصية والبانديتية Banditisme . لكن هذه الاحلام سرعان ما بدأت تتبخر فالطبقة العاملة والطبقات الشعبية بوجه عام رأت أن الجنة الموعودة ليست ابوابها مفتوحة للجميع فسرعان ما ساءت أحوال الجماهير رغم الانتعاش الظرفي الذى يعزى الى الحركية الاقتصادية التي خلقتها هذه البورجوازيات والذى يعود اساسا الى تحسن شروط التبادل وارتفاع اسعار المواد الاولية (البترول خاصة) باستثناء طبعا البلدان البترولية (دول الخليج) وحتى البلدان التي لا تملك عائدات بترولية هامة كمصر وتونس فقد حظيت وخاصة مصر بمعونات من الدول البترولية وتدفقت عليها رؤوس الاموال سواء بشكل قروض ومشاريع مشتركة او في اطار الاعانات . والدول البترولية لم تغدق اموالها على هذه البلدان لسواد عينيها وانما في اطار استراتيجية سياسية مبرمجة مع الدوائر الامبريالية لضرب الايديولوجية البورجوازية الصغيرة وافراغ الشعارات التقدمية من مضامينها ولابعاد البلدان العربية عن بلدان المنظومة الاشتراكية وللتدليل على جدوى التنمية ذات النهج الرأسمالـــــي .

لكن على الرغم من هذا فقد فشلت البورجوازية الجديدة هي ايضا في تحقيق مطامح

Digitized by Birzeit University Library

الفئات الشعبية فقد اصطدمت الفئات العريضة من المجتمعات العربية بهذا الفشل الجديد وتأكدت عبر الممارسات من عجزها عن الارتقاء الى المستوى الاستهلاكي الاستفزازي للطبقة الحاكمة ومن يدور في فلكها ولذلك ساءت احوال الجماهير بسبب تأثيرات الازمة العالمية للرأسمالية والتي انعكست مباشرة على اوضاع هذه البلدان فلجأت البورجوازية الجديدة للمحافظة على نمطها الاقتصادي الى تحميل الجماهير نتائج هذه الازمة وتمثل ذلك في لجم المطالب الاجتماعية والترفيع في الاسعار الشيء الذى أدى الى فشل العديد من اهدافها التنموية واستفحال ظاهرة البطالة والنزوح وضرب القدرة الشرائية للشغالين والفئات الضعيفة

ان سياسة الانفتاح الاقتصادى التي تعتبر كل من مصر والسودان وتونس رائدا لها فضلا عن البلدان البترولية وعن البلدان العربية الاخرى التي تسير بصفة مستترة نحو السقوط في هذه السياسة لم تؤد الا لتعميق الفوارق بين الطبقات وبين المدن والارياف والى الاثراء الفاحش للبورجوازية والطبقات الطفيلية الدائرة في فلكها . ففي مصر مثلا كانت حصيلة سياسة الانفتاح الاقتصادى هي حصول ٥٪من السكان في اعلى الهرم الاجتماعي على أكثر من ٢٠٪من الدخل القومي بينما يحصل ٢٠٪ من السكان في ادنى السلم على ٥٪ من الدخل القومي.وبعد أن كان الدخل يوزع بين العمل والملكية مناصفة على المستوى القومي في بداية السبعينات هبط نصيب العمل الى ٣٠ ٪ فقط في نهاية العشرية الماضية .. كما اصبحت مصر تستورد نصف المواد الغذائية التي تحتاجها وارتفعت الديون الخارجية من ٢ر١ مليار دولار سنة ١٩٧٣ الى ١٧ مليار دولار سنة ١٩٨٠ ذهب اغلبها لمواجهة الاستهلاك لا الانتـــــاج .

وفي تونس اثبت التحقيق حول الاستهلاك العائلي لسنة ١٩٧٥ أن ٢٠٪ من السكان في اعلى السلم يحصلون على ٥٠٪ من المبلغ الاجمالي للاستهلاك وأن ٢٠ ٪ من ادنى درجات السلم لا يحصلون الا على ٥ ٪ وبعبارة اخرى ان ٥ ٪ من السكان الاكثر فقرا يحصلون على ٥ر٠٪ من المبلغ الاجمالي للاستهلاك بينما يحصل ٥ ٪ الاكثر غنى على ٢٢ر٠٪ من المبلغ الاجمالي. وهذا يعني ان الفارق بين المجموعتين من ١ الى ٤٤ وبعد أن كان الدخل يوزع بين العمل والملكية بنسبة متناصفة في بداية العشرية هبطت مداخيل العمل الى ٤٥ ٪ كما ان الديون الخارجية ارتفع حجمها الاجمالي من العشرية الى ٧ر٢٣١٦ مليون دينار مسجلة ارتفاعا بنسبة ٣٨٦ ٪ خلال عشر ســـــنوات .

ان هذه الحصيلة لسياسة الانفتاح جعلت الجماهير الشعبية التي اغترت ، بها لفترة وجيزة واعتبرتها بديلا للوضع السياسي والاقتصادى ما تتبين ان هذه السياسة ليست نهجا للتحرر الوطني وليست طريقا لتحسين اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية على العكس من هذا فقد تدهورت المقدرة الشرائية للفئات الشعبية وساد اليأس بدل الامل . وهذا لا يعني الطبقة الشغيلة فقط بل حتى الفئات البورجوازية الصغرى التي لمست عجزها عن الارتقاء الى الوضع الاجتماعي الذى تعيشه البورجوازية الجديـــــدة .

Digitized by Birzeit University Library

وأمام هذا الوضع اصطدمت فئات واسعة من المجتمعات العربية بهذا الواقع المرير وتأكدت وعبر الممارسة من عجزها عن الارتقاء الى المستوى الاستهلاكي الاستفزازي للطبقة الحاكمة ومن يدور في فلكها ورأت ايضا عبر الممارسة اتساع الفوارق الطبقية وتدهور مستوى معيشتها بالمقارنة لهذه الطبقات . انها قضية انسداد الافق ، وضع ليس باليسير تحليل جزئيات مكوناته وحتى بالنسبة لبعض الاوساط اليسارية ، وضع يبعث على الحيرة ويدعو موضوعيا للمس المفارقة بين التحليلات النظرية للاوساط المتطرفة بما في ذلك بعض الاوساط الماركسية ووضع يغرى بنهج سلوك واقعي ولكنه يميني بالنسبة لاوساط اخرى من اليسار .

انها مرحلة التأرجح مع كونها ايضا مرحلة الفرز الطبقي وتبلور الرؤية النظرية .

وهذا الوضع جعل البنية الثقافية بوجه عام وبمختلف منطلقاتها النظرية والايديولوجية تشهد تهشما عميقا وحيرة تشبه الى حد ما الحيرة الميتافيزيقية بالمعنى الفلسفي او الانفصام الايديولوجي بمعنى التحليل النفسي . فهو مراجعة وشبه اقتناع بالايديولوجية السائدة وعودة الى الوراء وتمسك بتجارب البورجوازية الصغيرة التي لم يعد يشهد لها الواقع الطبقي والفرز الاجتماعي الحالي وهروب من الواقع الذى تدهورت فيه كامل مظاهر الحياة . فهناك الكثير يقفون موقف عدم المبالاة تجاه هذا الوضع المفاجئ الذى غير القيم والعلاقات وقضى على جملة القيم الانسانية التي كانت ركيزة للوجود الاجتماعي للفرد ، الكثير ايضا اعتصم وخاصة من الشباب ، نتيجة اندفاع المجتمع في ما يشبه المرض نحو الترف والنمط الاستهلاكي الاوروبي ، الى الدين . هذه الجموع الغفيرة من الشباب لا تنظر الى الدين بمفهوم تاريخي وانطلاقا من فقه حقيقي وداخلي للظاهرة الدينية ولاحتمالات تعبيراتها المعاصرة ، هذه الجموع ذات الانتماءات الطبقية المختلفة لا يمكن أن نفسر عودتها الى الدين بالمنظور التاريخي الا من خلال انسداد الافق ومن خلال التأزم الايديولوجي الذى أفرزه هذا الوضع فعودة الظاهرة الدينية لا يمكن ان تفسر باعتبارات ثقافية وانطلاقا من العودة الى الاصول وانما ينبغي تفسيرها انطلاقا من الازمة التي تعيشها حركة التحرر الوطني العربية . أزمة اظهرت فشل البرجوازية من ناحية وفشل البرجوازية الصغرى وقصور اليسار لاسباب موضوعية وذاتية عن ان يؤهل نفسه لان يكون البديل لهذه القوى المتأزمة . ومن هنا فالتمسك بالدين في عالم بلا رحمة وفي اوضاع حطمت قيم الانسان ولم تبدلها بقيم اخرى ليس من الغريب ان يشهد هذا النمو وهذا الاشعاع ، لكن اذا تعمقنا في هذه الظاهرة وحددنا المرحلة التاريخية التي ظهرت اثناءها نتبين ان القضية ليست ظاهرة ثقافية وليست اغترابا ايديولوجيا في الصافي وليست رفضا لقوانين التطور الحاضر بقدر ما هي رفض للمجتمعات القائمة ولمنهجها الطبقي في تسيير المجتمعات العربية وفي اختيار منهج نموها . فالعجز القائم في نظرنا له مظهران عجز للبورجوازية الجديدة المتعانقة مع الامبريالية في صياغة المجتمعات العربية ومجتمعات العالم الثالث بوجه عام وهو في نفس الوقت أزمة للقوى الاجتماعية وتعبيراتها السياسية التي وان تتحسس البديل فانها لم تمسك بعد بمقوماته ولم تظهر بمقوماتها الذاتية لترشح نفسها بديلا للبورجوازية التي اثبتت الوقائع التاريخية عجزها عن تلبية مطامح القوى الاجتماعية في التحرر السياسي والتقدم

Digitized by Birzeit University Library

ولذا فان الصياغة السلفية لمجتمعاتنا المعاصرة لا يمكن ان تجارى القوانين العلمية لتطور الواقع الحالي وما اللجوء اليها الا تعبير عن الرفض للنهج الرأسمالي الذى يسد آفاق التطور الاجتماعي ويجعل الفرد والفئات الاجتماعية مهيأة لرفض هذا الواقع الذى لا تجد فيه مجالا لتحقيق ذاتها ٠ الامر الذى يدفعها الى المحافظة على وجودها بل للرجوع الى الوراء بوصفه شكلا افضل لوجودها ٠فهي بهذا تعكس وضعية الفلاح الصغير والمتوسط الذى يطمح الى عيش افضل٠ لكن معوقات النمو الرأسمالي تسد أمامه الافق ، وهي تعكس ايضا عقلية الارستقراطي الذى وان لم يتضرر ماديا من الوضع الحالي فقد نفوذه المعنوى وسيطرته الايديولوجية على المجتمع بوصفه حاملا لقيم اهترأت امام الواقع المعاش،وهي تعكس امال شباب يجد نفسه مهيض الجناح ويجد احلامه في الواقع الطبقي القاسي اضغاث احلام ٠كل هذا يؤكد ان المجتمعات الرأسمالية التابعة غير قادرة على هيكلة سليمة للمجتمعات العربية وللمجتمعات في البلدان النامية بوجه عام ٠فهي بحكم آليتها وتطورها في اطار التبعية للرأسمال العالمي بكل اشكالها ليست قادرة على تلبية مطالب ومطامح القوى الاجتماعية التي يفرزها هذا النمط التنموى فحسب بل هي عاجزة حتى عن تثبيت مواقعها في تلبية مطامع القوى الاجتماعية التي انخرطت ضمن هذه العلاقـــــات ٠

فالمعارضة اليوم لهذا النمط التنموى لا تنحصر فحسب في القوى الاجتماعية التي همشها هذا النمط التنموى (الفلاحين الفقراء ، الشباب المتعلم العاطل ٠٠٠) ولا في الطبقة العاملة التي ترتكز الاختيارات التنموية للبورجوازية الجديدة والاستعمار الجديد على استغلالها بشكل فاحش، بل امتدت الى الفئات البورجوازية المتوسطة التي تشغل موقعا متميزا نسبيا في اطار العلاقات القائمة٠ فهذه الفئات العريضة من المعلمين والاساتذة وحتى المحامين والمهندسين والاساتذة الجامعيين والاطباء والصيادلة العموميين وحتى بعض الاطارات العليا في المؤسسات العمومية وشبه العمومية ،كل هذه الفئات اصبحت في ظل هذه السياسة الجديدة تتفصل عن السلطة السياسية وتجد نفسها في وضع اجتماعي يتناقض مع مؤهلاتها ويجعلها في موقع تلتقي فيه مع مواقع العمال والفئات الاجتماعية الدنيـــــا ٠

وهذا الموقع لا يعني انخراط هذه الفئات في الموقع الطبقي والتفكير الايديولوجي للطبقة الشغيلة والفئات الشعبية ومجموع الشعب وانما يعني البلورة ذات الاتجاه الافقي التي اصبحت تشق هذه المجتمعات ،فان الوضع الاجتماعي الذى تولده هذه المواقع غير المتكافئة وغير المحسوسة طبقيا تجاه القوى الاجتماعية اقتصاديا وتعبيراتها السياسية ليس واقعا ثابتا وانما هو واقع متأرجح يثمر التمايز الطبقي على المستوى المثالي كما يثمر الضبابية الايديولوجية والفكرية ويغذى في الوقت نفسه مختلف التوجيهات والتعبيرات التي لم يفرز الواقع الطبقي بتعقيداته وتشعباته وتأرجحاته البنوية الهوية الطبقية على مستوى الانتماء العضوى او الفكرى والمصداقية على مستوى التعبير والفعالية لممارسة تلك الهويـــــة٠

Digitized by Birzeit University Library

وانطلاقا من هذه الملحوظة من ناحية وارتكازا على طبيعة الهيكلة الطبقية التي افرزتها آلية النمو الرأسمالي في نطاق العلاقات الهيمنية للاستعمار الجديد وخاصة في اطار مرحلة البورجوازية الجديدة (كما بينا) يمكن القول بأن البورجوازية وان فقدت القواعد الاجتماعية العريضة التي عملت على أن تكون سندا لها في مرحلة الانطلاق، وان تعاني حاليا وضعا شبيها بالانعزال فانها لم تفقد بعد سندا موضوعيا في بعض الشرائح العليا من البورجوازية الصغيرة بتلبية بعض تطلعاتها الاجتماعية وبمحاولة الحاقها وتذييلها للسياسة الحالية. في وضع كهذا من الطبيعي ان يكون التعبير السياسي للطبقة الشغيلة ضعيفـــا .

ان هذا الوضع الذى تهيمن عليه البورجوازية الجديدة والذى يحمل القديم ولكن لا يهيمن عليه الجديد .هو وضع متأزم ينجه ـ رغم التنازلات الظرفية ـ موضوعيا وذاتيا نحو القطيعة لا في المستوى الاقتصادى الذى يمثل المظهر الصارخ من التناقض وانما ايضا على المستويين السياسى والحضارى ببعديه الثقافي والايديولوجي لكن وفي ظل المحدودية والبطء اللذين يتسم بهما الفرز الطبقي داخل هذه التشكيلة الاجتماعية والذى لا يسمح بالتمايز بين هوية الطبقة العاملة ايديولوجيا وسياسيا وبين الفئات الاخرى من الاجراء من ناحية وبينهما وبين البورجوازية الصغيرة بمختلف شرائحها من ناحية اخـــرى .

في ظل كل هذا يمكن المسك بأسباب محدوديةالدور الذى تلعبه الطبقة الشغيلة وتعبيراتها السياسية في بنية مشوهة ومهشمة. وخلاصها كطبقة تمثل القطب النقيض المهيمن عليه ضد البورجوازية والامبريالية لا يمر في اطار هذه البنية بصراعها بمفردها ضد هذه القوى النقيضة وانما يمر عبر الموقع الذى ينبغي ان تشغله في حيز هذه البنية بوصفها قطب التناقض ومجمع كل القوى المناقضة لهذه الهيمنـــــة .

فالطبقة العاملة في هذا الاطار البنيوى الهلامي Gelatineux أى في اطار علاقات الانتاج الرأسمالي التبعي الذى يفضي الى الفرز الطبقي والى الاستقطاب داخل الهيكلة الاجتماعية، يضع الطبقة الشغيلة في بعديها كقوة اجتماعية منجذبة الى تأثيرات المحيط الاجتماعي الذى يفعل فيها ويعرقل وعيها بذاتها من جهة وكتعبير سياسي يكافح بالارادة السياسية ضد هذا المحيط ليكون مرشحا سياسيا حقيقيا للتعبير الفعلي عن هويتها وطبيعة حركة التحرر الوطني من جهة ثانية وهذه الهوية وهذا الواقع الطبقي الهلامي لا يعني استقطاب الصراع بين نقيض وآخر. فالبورجوازية الجديدة مهيمن عليها :يعني هذا أنها تتحرك في اطار الاستراتيجية العامة للاستعمار الجديد ووظيفتها في اطار هذه الهيكلة هي تجديد وجودها كطبقة مهيمنة. وهي في الوقت نفسه مهيمنة لا على الطبقة الشغيلة فحسب ـ وان كانت الطبقة الشغيلة هي النقيض لهيمنتها ولهيمنة الاستعمار الجديد ـ وانما هي مهيمنة على بقية الشرائح الاجتماعية الاخرى ولذا فان مهمة حركة التحرر العربي في هذه المرحلة ليست على عاتق الطبقة الشغيلة فحسب وانما على عاتق كل القوى الاجتماعية التي تمثل هيمنة البورجوازية الجديدة في تحالفها مع الاستعمار الجديد العائق الموضوعي لتطلعاتها السياسية والاجتماعيـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

فبعد الفشل الذى منيت به البورجوازية التقليدية وبعد الفشل الذى منيت به البورجوازية الصغيرة في قيادتهما للحركة الوطنية ببعديها السياسي والاجتماعي ، وأمام التأزم الذى قادت اليه الطبقة الجديدة المؤلفة عبر العملية التي وصفنا ، أى البورجوازية الجديدة يمكن التأكيد بأن القضية المطروحة حاليا هي قضية خلق محور جديد تلعب فيه الطبقة العاملة وتعبيرها السياسي الدور الرئيســـــي .

لكن ما يتميز به الوضع الداخلي للبلدان العربية بصفة عامة داخل بلدان "العالم الثالث" هو الهلامية. وهذا الوضع جعل ويجعل الطبقة الشغيلة وحتى تعبيراتها السياسية لا تفلت من تأثيرات البورجوازية الصغيـــرة .

فالبورجوازية الصغيرة ــ وان فشلت من موقع السلطة في قيادة الجماهير الشعبية في العديد من البلدان العربية ــ فانها تشعر بأن ذلك مجرد انتكاسة ونتيجة اخطاء ينبغي تداركها لتحتل موقع القيادة من جديد ... فهي ترى أن ايديولوجيتها هي الايديولوجية المرشحة طبيعيا لتحقيق التنمية والتقدم الحضارى لهذه البلدان .وتعتمد في هذا على عناصر موضوعية تميز التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية لهذه البلدان ويمكن ان نحددها في

ثلاث سمات رئيسيـــة :

أ) أن البورجوازية الصغيرة في البلدان العربية وفي بلدان "العالم الثالث" بوجه عام تمثل عدديا اوسع الفئات الاجتماعية، فهي تمثل المثقفين والفلاحين الصغار والتجار والموظفين الصغار والحرفيين .وبهذا الموقع العددى ترى نفسها القوى المؤهلة شرعا لتمثيل المجتمـــــع .

ب) ان هذه الفئة غير متجانسة ايديولوجية فهي تتأرجح بين المفاهيم الدينية والمحافظة والمفاهيم الليبرالية المتحررة والمفاهيم اليسارية البورجوازية الصغيرة. وهذه المنطلقات ــ وان اختلفت ــ فانها تشترك في الادعاء بأنها تمثل هوية الطبقة الشغيلة وموقفها الايديولوجي والسياســـــي .

ج) ان جزءا من المثقفين الذين ينتمون الى هذه الفئة الاجتماعية والذين انتسبوا الى اليسار في فترة ما واصطدموا بتشعبات هذا الواقع الاجتماعي المعقد اصبحوا وبتحليل مبسط ينفون دور الايديولوجية والهوية الطبقية ويقعون بذلك في حالة الرفض الذى هو في الواقع خضوع للايديولوجية والسياسة المهيمنة، او يقعون نتيجة رفعهم لشعارات لا يشهد بها الواقع في اسر مفاهيم الايديولوجية البورجوازية وفي ظل هذا الواقع السياسي فانهم وقعوا في حالة انفصـام ايديولوجـــــي .

وكل هذا يؤدى الى محاولة طمس الهوية للطبقة العاملة وتأطيرها من جديد في سياسات البورجوازية الصغيرة سواء بادعاء الفئات البورجوازية الصغيرة انها الممثل الحقيقي لمصالحها أو بالدور الذى تلعبه التوجهات اليسارية التي تسلك مسلكا ينطلق من الهوية الطبقية بقدر ما ينطلق من مواقع آنية في موازين القوى او من التشكيك وبشكل واضح من

Digitized by Birzeit University Library

جدوى الماركسية وفاعليتها الثورية في الواقع العربـــــي .

وهذه الافكار الرائجة والمتحركة لا في الاوساط البورجوازية الصغيرة فحسب بل في الاوساط العمالية بالمعنى العلمي، تمثل أكثر من عائق في اتجاه الوعي الذاتي للطبقة العاملة بهويتها وبدورها في مسار حركة التحرر الوطني العربيـــــة .

ان وجود الطبقة العاملة وسط هذا المحيط البورجوازى الصغير بمختلف تعبيراته السياسية وبتأثير تعبيراتها السياسية بهذا المحيط يجعلها في موقع دفاعي يحجم من دورها كقوة ثورية مؤهلة موضوعيا لقيادة حركة التحرر الوطني العربيـــــة .

نستنتج من هذا التحليل أن المجتمع كله يعيش أزمةايديولوجية نتيجة أزمة أيديولوجيات البورجوازيات التي سيطرت على حركة التحرر الوطني لان الايديولجية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة قد هيمنت لا على القواعد الطبقية فحسب بل على المجتمع ككل بما في ذلك الطبقات الاجتماعية التي تتناقض مصالحها جوهريا مع مصالح الطبقة المهيمنـــــة .

فالوضع الايديولوجي العام هو في أزمة لكنه يعيش حركية متناقضة في شبه دوران حول النفس، حركة محاولة لتجاوز الازمة لكنه في الوقت نفسه داخل الدائرة ذاتها بحكم آلية الازمـة لكن كل شعور بالازمة هو في حد ذاته تعبير سياسي وتلمس لحل الازمـــــة .

عـن مجلـــة النهـــج

Digitized by Birzeit University Library

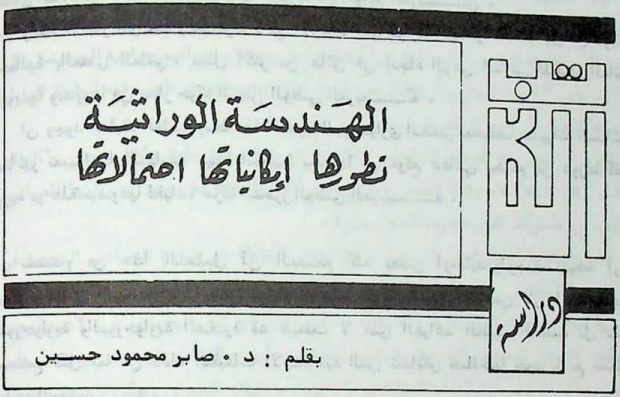

مقدمة

الوراثة ظاهرة يعرفها الانسان منذ اقدم عصوره . فكل المجتمعات البشرية تعرف أن الخلف يحملون صفات سلفهم من حيث المظهر الخارجي على الاقل . الا ان هذه المعرفة بدأت تصبح علما وفقا للمفهوم الحديث للعلم منذ ان كشف قوانينها الاساسية الراهب النمساوى جريجور مندل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ومع نهاية القرن الماضي كانت قد تراكمت كمية من المعلومات حول انتقال الصفات من الاباء الى الابناء كان أهمها اكتشاف الكروموسومات كحاملة للصفات الوراثية . ثم جاء اكتشاف الاحماض النووية (DNA) التي كانت قد اكتشف من قبل الكيميائيين حتى قبل أن يضع مندل قوانينه "كمكون رئيسي للكروموسوم وأعطت بالتالي امكانية التفسير الكيميائي ـ الفيزيائي لعملية توريث الصفات . وتوجت هذه المرحلة من تقدم علم الوراثة بوضع فرضية واتسون وكريك في الخمسينات من هذا القرن حول عملية تضاعف ال DNA التي تسبق او تصاحب عملية انقسام الكروموسومات التي ستوزع بالتساوى على الخليتين الابنتين الناتجتين عن اية خلية منقسمة .

Digitized by Birzeit University Library

هندسة وراثية ـ ماكروتكنيك

رغم ان الوراثة لم تصبح علما بقوانين معروفة الا منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، ولم تعرف الاسس الفيزيو ـ كيميائية له الا في خمسينات هذا القرن، فقد استخدم الانسان تطبيقات هذا العلم قبل اكتشاف كنهه بآلاف السنين : أمثلة ذلك عمليات التهجين بين مختلف السلالات النباتية والحيوانية .

واذا كانت الهندسة هي نشاط انساني علمي عملي لاعادةتشكيل الطبيعة بما يتناسب واحتياجات الانسان فتزاوج ذكر حيواني ما مع انثى تحت اشراف الانسان من اجل تحسين النسل، كانتاج دجاج بيّاض، او عجول لاحمة، أو أبقار تدر اللبن اكثر من والدتها يعتبر نشاطا هندسيا وراثيا"، وبما ان الهندسة الوراثية اصطلاح حديث خصص لنشاطات هندسية تجرى على الكائنات الحية على مستويات اكثر دقة من التهجين بالتزاوج كثيرا دعنا نطلق على التهجين اسم "الهندسة البيولوجية" حفظا لحرمة الاصطلاح العلمي ودقتة .

فهندسة التهجين واضرابها كالحفاظ على نقاء سلالة نباتية او حيوانية مثلا (بمنع اختلاط حبوب اللقاح بواسطة العزل في تلقيح سلالة ثبتت جودتها، أو عزل الذكور عن الاناث الحيوانية للتحكم في التزاوج بينها) هي هندسة"بدائية"و"اجمالية" من حيث انها تتعامل مع خلط المادة الوراثية لكلا الجنسين بمجملها دون انتقاء لصفة ما في احدهما ونقلها الى الاخر، بل يكون هذا التكنيك مضطرا لنقل كل الصفات من حيوان ذكر الى الانثى من اجل الحصول على صفة واحدة معينة ، وعليه فهذا التكنيك هو "ماكروتكنيك" لانه يتعامل بوحدات كبيرة ودون تدقيق كالذى نراه في الهندسة الوراثية الحديثة .

وهذا التقسيم الى ماكرو ومايكروتكنيك لايقتصر ـ كما يمكن ان يفهم خطأ ـ على الهندسة البيولوجية بل صاحب تطور جميع العلوم التطبيقية دون استثناء . فهو بقدر ما ينطبق على الهندسة الكهربائية والالكترونية (كهربة الانارة مقابل كهربة الكومبيوتر)، وعلى ميكانيكا نشل الماء من البئر بالبكرات مقابل الانسان الالي، ينطبق على هندسة التعدين من استخراج النفط وحرقه مباشرة في السابق الى تكريره (من الزفت حتى بنزين الطائرات) في وقتنا الحاضر .

القمح والبغل وغربوا النكاح

الا أن الماكروتكنيك لم يبق دون انجازات ،كما أن تحقيق تلك الانجازات لا يقل حاجة الى العناية والدراية في التطبيق .

ولعل الكثيرين لايدرون ان قمح الخبز الذى نأكل هو نتاج "لهندسة" وراثية طبيعية تعاونت فيها الطفرات واختلاط حبوب اللقاح لعشب برى، ينبت في شمال شرقي تركيا وشمال

Digitized by Birzeit University Library

ايران ، مع بويضات زهرات جد قمحنا الحالي في تلك المنطقة قبل حوالي ستة آلاف سنة . أما دور الانسان في تلك العملية فكان ما يسمى "بالاختيار العفوى او اللاواعي" حيث استزرع القمح ومارس انتقاء البذور الجيدة للزراعة في الموسم التالي ، وبعدئذ الحفاظ على النوع الى يومنـا هـــذا

والبغل الذى يتمتع بميزات ابوية : جلد الحمار وقوة وحجم الحصان ــ هو شاهد على هندسة وراثية في المملكة الحيوانية قامت على خلط الانواع .

أمّا تحالف الرغبة في الهيمنة السياسية والجهل بالهندسة الوراثية او بعبارة اخرى التزاوج الداخلي في العائلات الفرعونية رغبة من الاباء في ابقاء السلطة في ابناء انقياء الدم والعرق فقد ادى الى انقراض تلك العائـــلات .

الا ان التراث الاكثر فطنة وادراكا نجده في نوع من التفتح على الهندسة البيولوجية المتمثل في تدخل الانسان في تحسين النسل او تجنب الكوارث الوراثية على الاقل في قولنا التراثي المشهور : " غربوا النكـــاح" .

كل الامثلة السابقة وغيرها من محاولات الانسان "الانتقاء الصناعي" (مقابل الانتقاء الطبيعي حسب داروين) التي مورست منذ القدم لم تحاول ، او بالاحرى لم تنجح في التدخل الدقيق في المادة الوراثية او في ازالة الحواجز الوراثية بين الانواع ، واقتصرت على مزج متعدد في الاحتياطي الجيني للنوع الواحـــــد .

غير أن فك رموز "اللغة الوراثية" الذى تضافرت فيه جهود علماء من مختلف اتجاهات العلوم الطبيعية بما فيها الفيزياء والكيمياء والعلوم البيولوجية : علم الكيمياء الحيوية او الاحيائية ، علم الاحياء الدقيقة ، علم الخلية وعلم الوراثة ، وما صاحب ذلك من معرفة كيفية تعبير المعلومات الوراثية عن ذاتها وكيفية حدوث الطفرة في الكائن الحي جعلت التعاطي التكنولوجي مع المادة الوراثية والتدخل فيها من الامور الممكنـــــة .

فما هي هذه اللغة الوراثية وكيف تعبر عن نفسها في الكائـن الحي ؟ تتكون ابجدية الوراثة من جزيئات تسمى قواعد نيتروجينية تتحد كل واحدة منها مع سكر خماسي لا اكسجيني (في ال DNA) او سكر خماسي (في ال RNA) وفوسفات مكونة ما يسمى بالترتيب نوكليوتيدات لا اكسجينيةونوكليوتيدات Deoxynucleotides Nucleotides تنقسم القواعد النيتروجينية الى قسمين : بيورين Purine وبيريميدين Pyrimidine والبيورينات نوعان : Adenine و Guanine يقابلهما نوعان من البريميدينات Thymine و Cytosine المكون من شريطين متكاملين : DNA وهناك نوع ثالث يدخل في تركيب ال RNA وهو ال Uracil بدل ال Thymine .

وعليه تتكون الابجدية الوراثية من اربعة حروف هي : T,C,G,A أو U ، وكل ثلاثة منها بترتيب معين تعني حامضا امينيا في بروتين . وبهذه الطريقة تشتمل لغة

Digitized by Birzeit University Library

ال DNA على اربع وستين "كلمة" (٤^٣ = ٤ × ٤ × ٤ = ٦٤) .

وحتى يمكن نقل المعلومات الموجودة في ال DNA الى جسيمات موجودة في كل خلية حية مسؤولة عن تركيب البروتين تسمى الرايبوزومات يجب ان ينسخ ال DNA الى ال RNA المراسل ،وأبجديته ــ كما نعلم الان ــ تتكون من قواعد نيتروجينية. والرايبوزومات تقوم بترجمة ال RNA المراسل الى بروتينات ، التي تتكون "مفرداتها" من احماض امينية وهناك حوالي عشرين نوعا من الاحماض الامينية موجودة في الكائنات الحية. وبما ان مفردات ال DNA وكذلك ال RNA المراسل تصل الى ٦٤ كلمة فهى كافية لضبط الاحماض الامينية العشرين وحتى بمترادفات في اللغة ، أى يمكن أن يكون اكثر من كلمة ثلاثية مسؤ ولا عن حامض اميني واحـــــد .

والبروتينات هي وحدات التركيب والوظيفة في الكائنات الحية. فما من صفة او نشاط حيوى الا ويخضع للبروتينات ، فمنها الانزيمات التي تدير التفاعلات الحيوية في الخلية كالهضم وانتاج الطاقة وبناء الجزيئات العضوية العديده. وبعبارة اخرى فان المادة الوراثية او ال DNA تعبر عن نفسها عن طريق البروتينات ، فكل جين او صفة وراثية هو أو هي بروتين او مجموعـــة من البروتينات

واىخطأ في قاعدة نيتروجينية واحدة ، كأن تستبدل باخرى أثناء تضاعف ال DNA او تسقط خطأ ، يؤ دى الى تغير في البروتين وكذلك في الوظيفة التي يؤ ديها ،وقد يكون هذا التغير بسيطا او خطيرا بل وقاتلا احيانا .وهذا التغير هو ما نسميه الطفرة : اى التغير الثابت والذى ينتقل عبر الاجيـــــال .

والطفرات تحدث بندرة شديدة بصورة طبيعية مما يدل على دقةعمليةتضاعفال DNA ومما يؤ دى الى ثبات نسبي في النوع . ولكن مجرد حدوث الطفرة النادرة هذا يبقي الباب مفتوحا امام التغير التطورى .

ولكن الانسان أوجد العديد من المواد الكيميائية واستخدم الاشعاعات كالاشعة فوق البنفسجية لاحداث طفرات صناعية في الكائنات الحية المختبرية وخاصة في الكائنات الدقيقة كالبكتيريا . أما الطفرات الناتجة عن هذه المؤ ثرات فعشوائية الى حد كبير. وبما أن غرض الانسان الباحث من احداث الطفرات انحصر اولا في دراسة العوامل الوراثية وكيفية تعبيرها أى دراسات البروتينات والعمليات الكيميائية الحياتية في الخلية بتعطيل جزء من تفاعل كيماوى ومحاولة التعرف على اسباب العطل ومن ثم تتبع العملية الحياتية ومعرفة تفاصيلها ، لم ينقطع عن البحث عن وسيلة لاحداث تغييرات وراثية محددة الهدف والموقع في الكرومـــــوزوم .

ويجدربنا هنا ان نذكر ان التقدم الذى شهده علم الوراثة على المستوى الجزيئي قد اعتمدكثيرا على ادخال الميكروبات وخاصة البكتيريا كفئران مختبر" وخاصة ذلك النوع الذى يعيش في امعاء الانسان الغليظة والمسمى Escherichia Coli وذلك لعدة اسباب منها :

Digitized by Birzeit University Library

سرعة التكاثر والحصول على اجيال عديدة في فترات زمنية قصيرة، كثرة "النسل" وصغر الحيز المطلوب، وكذلك بساطة مادتها الوراثية (جزئ واحد من ال DNA ، على شكل شريطين متكاملين دون وجود بروتينات مرتبطة معه وغيرهـــا) .

كذلك اكتشاف الفيروسات التي تهاجم البكتيريا والمسماة Bacteriophges واستقطابها في علم الوراثـة الجزيئيـــة .

عمـليات شبـه جنسية لدى البكتيريا

من المعروف ان البكتيريا تتكاثر بواسطة الانقسام او الانشطار الثنائي بحيث ينتج عن الخلية الواحدة خليتان ابنتان تشبهانها تماما في صفاتهما ـ الا ما تغير بالطفرات الطبيعية النادرة . وهذا النوع من التكاثر غير جنسي او لا جنسي .

غير ان نوعا من "التكاثر" الجنسي اكتشف لدى البكتيريا حيث تعطي احدى خليتين جزءا من كروموزومها الى الخلية الاخرى بحيث تكتسب الخلية المستقبلة صفات جديدة وتتحول بحيث تختلف عنها قبل عملية "التزاوج" وكما هو واضح تختلف هذه العملية عن الجنس لدى الكائنات الراقية، فأنثى الحيوان او الانسان تبقى انثى كما كانت قبل العملية الجنسية أما ما يحدث فهو فقط خلط الصفات الوراثية للابوين لانتاج نسل يحمل صفاتهما ـ اذا حدث حمل بالطبـــع .

وواضح ايضا ان مثل هذه العملية الجنسية الميكروبية اشبه بالطفرة منها بالتكاثر الجنسي لدى الكائنات الراقية. وهذه العمليات شبه الجنسية تحدث اما مباشرة او بواسطة . والواسطة يمكن ان تكون فيروسا بكتيريا او نوعا من ال DNA يوجد في الخلية مستقلا عن الكروموسوم الرئيسي وهو اصغر حجما ويحمل عددا محدودا من الصفات الوراثيـة ويسمـى بلازميد Plasmid .

والطفرة الناشئة عن العملية شبه الجنسية والمؤدية الى تحول الخلية المستقبلـــة (Transformation) شكلت المدخل الى تكنولوجيا الهندسة الوراثية واحداث طفرات او تحولات هادفة ومحددة فكيف يتم ذلـــك ؟

الفيروس البكتيرى والبلازميد عوامـل لنقل الصفات بين السـلالات

يعتبر الفيروس وسطا بين الجماد والكائن الحي . فهو غير قادر على التكاثر بذاته بل يحتاج الى خلية حية، نباتية، حيوانية أو بكتيرية تقوم بتكثيره. ولكنه يحتوى المعلومات الوراثية اللازمة لتكاثره عندما تترجم في الخليـة العائـل . والفيـروس البكتيـــرى (Bacteriophage) يحقن ال DNA الذى يخصه في خلية البكتيريا حيث يتحد هذا مع كروموسوم البكتيريا ويتضاعف معه كجزء منه. وفي نهاية المطاف تقوم خلية

Digitized by Birzeit University Library

البكتيريا بترجمة المعلومات التي تؤدي الى تحللها وموتها الاكيد ،او قد ينفلت ال DNA الفيروسي عن ذاك البكتيرى فيحمل الاول جزءا صغيرا من الثاني ويغلف في رأس الفيروس المكون من البروتين. وهكذا يستطيع الفيروس لدى مهاجمته خلية جديدة أن ينقل اليها صفات بكتيرية قد لا تكون موجودة لديهـــــا .

والبلازميد يشبه الفيروس الى حد بعيد . ويختلف عنه أنه موجود بصورة دائمة في خلية البكتيريا ولا غلاف مستقل له . ولعلّ الكثيرين سمعوا بأن بعض انواع البكتيريا تصبح مقاومة لهذا النوع او ذاك من المضادات الحيوية كالبنسلين مثلا . وهذه المقاومة ترجع في معظم الحالات الى بلازميد يحمل جينات (عوامل وراثية) مسؤولة عن المقاومة ـ بتكوين انزيم ـ بروتين ـ يؤدي الى تحطيم البنسلين قبل ان يقتل البكتيريـــــا .

لقد لوحظ ان البلازميدات تنتقل بين السلالات وحتى بين الانواع البكتيرية المختلفة وبذلك تنتقل صفات من سلالة الى سلالة ومن نوع الى آخـــــر .

قفزة هامة نحو التحكم في زرع الجينات

تعتبر آلية الدفاع التي اكتشفها آربر (Arber) في بداية الستينات في بازل والتي تدافع بها البكتيريا عن نفسها ضد الفيروس البكتيرى المهاجم نقلة هامة مكنت العلماء من "تفصيل" قطع من ال DNA جاهزة للزرع في خلية اخرى محطمين الحواجز بين الانواع الى حـد كبيـــــــر .

ويتمثل هذا في اكتشاف انزيم يقطع ال DNA ليس من اطرافه بل من وسطه الى اجزاء صغيره وبتخصص كبير بحيث لا يقطع الا في مكان معين يمتاز بتماثل في قواعده النيتروجينية حول نقطة ما في الكروموسوم ، بحيث تكون من نتيجة القطع هذه شريط صغير له "نهايات لزجة" أى قابلة للاتحادمرة اخرى ، بحيث يمكن "لحمة" نهايات الشريط كما يلحم الحداد قطعتين من الحديد ، ويسمى هذا الانزيم Restraction Endonuclease والمثال التالي للانزيم Ecori الذى اكتشفه Boyer وزملاؤه في سان فرانسيسكو يوضح كيفية عملـــه :

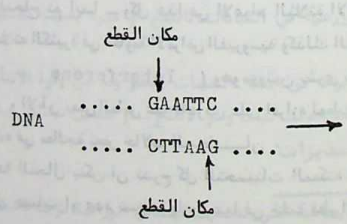

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا اصبح ممكنا انتاج ما يسمى " Recombinant DNA "اى ال DNA القابل للتمازج مع غيره من الكروموسومات .وهذه هي أهم وسيلة في ايدى مهندسي الوراثة فماذا يمكنهم ان يحققوا بهذه الوسيلة ؟

في الحقيقة ، ما كادت تتكشف معالم وسائل الهندسة الوراثية في المختبرات العلمية حتى بدأت تتأكد امكانياتها واحتمالاتها التطبيقية في مجالات شتى سنأتي على ذكرها في ما يلـــي :

١ ـ الطب وصناعـة الادويـة

من المعروف ان هناك امراضا عديدة تولد مع الانسان ناجمة عن خلل وراثي يستتبع خللا وظيفيا معينا في عمليات الايض(Metabolism) لدى الفرد المصاب . ومثال ذلك بعض انواع داء السكرى حيث تعجز الخلايا المسؤولة في البنكرياس عن افراز الانسولين وهو هرمون ينظم حرق السكر في الجســـم .

والعلاج الناجح للسكرى اليوم يتمثل في حقن المصاب بالانسولين المستخلص من المواشي والخنازير . الا ان هذا البروتين الغريب قد يولد حساسيات لدى الكثيرين من المرضى وطموح المهندسين الوراثيين يتجه في اتجاهين في هذه الحالة وأمثالهـــا :

الاتجاه الاول يطمح الى حل جذرى وهو نقل جينات مسؤولة عن انتاج الانسولين من شخص سليم او من نفس الشخص، من خلايا اخرى من جسمه، الى الخلايا المعنية في البنكرياس وزرعها هناك حيث ينتج الانسولين . ومع الكثير من المؤشرات المتوفرة حاليا تشير الى أن خلق مثل هذه العملية الدقيقة لن يكون لها اخطار على صحة الفرد فما زالت غير ممكنة من الناحية العملية لان التركيب الجيني للانسان والحيوانات الراقية ما زال بحاجة الى الكثير من البحث . واذا تم ذلك فسوف يعني الشفاء للكثيرين ممن يعانون من التخلف العقلي ، وضعف النمو والنقرس وأمراض الجهاز البولي الموروثة وغيرهـــا .

أما الاتجـاه الثانـي فقـد تحقـق بالفعـل ، فقـد تـم استخـدام البكتيريا من نوع Escherichia Coli في صناعة الانسولين البشرى . وذلك بزرع الجين البشرى في البكتيريا التي تنتج الانسولين بعد ذلك كما لو كان ضروريا لنموها هي .

ومثل هذا النجاح تم ايضا ـ وكل هذا في الاعوام الثلاثة الاخيرة ـ في انتاج بروتين صغير وهام لتدخلاته الكثيرة في مقاومة الامراض الفيروسية وكذلك السرطانية . وهذا البروتين هو الانترفيرون (Interferone) وهو بروتين بشرى يفرز بكميات قليلة لاغراض دفاعية كما يبدو . الا أن بعض الناس غير قادرين على افرازه لعطب جيني موروث . وأهميته تأكدت باستخدامه في معالجة بعض حالات السرطـــان .

وفي مثل هذا المجال يمكن ان ندرج كل التحسينات الممكنة في مجال الميكروبيولوجيا الصناعية : كنقل جينات او عدة نسخ منها وزرعها في خلية فطر او بكتيريا ، بحيث تضاعف هذه الجينات المسؤولة عن انتاج مادة كيميائية نريدها مثل المضادات الحيوية بأنواعها العديدة الانتـــاج

Digitized by Birzeit University Library

٢ـ التغذيـة الانسانيـة والحيوانيـة

عدد سكان الارض ينمو بسرعة اكبر مما تنمو به مواردها الغذائية . بل ان ملايين البشر في آسيا وأفريقيا وامريكا الجنوبية يعانون من سوء التغذية وبخاصة نقص البروتين . وارتفاع مستوى الحياة وتقدم الانسان بواقعه الحالي يسهم مباشرة في تقليص الرقعة الزراعية والاراضي المهيأة للرعي لتزايد العمران والشوارع المعبدة على حساب الارض الزراعية .

في هذا الواقع ، وفي المستقبل الاسوأ ، سيكون البروتين الميكروبي أو "البروتين وحيد الخلية" كما يسمى احيانا قد يشكل حلا غير مباشر بادخاله في تغذية الحيوان الذى يتغذى عليه الانسان فيما بعد او مباشرا بادخاله في تغذية الانسان .

ولكننا هنا بحاجة الى افضل الميكروبات واسرعها نموا على ارخص المواد الغذائية التي لا تصلح كغذاء للانسان . والمواد المرشحة هنا هو السليولوزالنباتي وسيد الخامات المتوفرة في بلادنا ولا نقدر الا على حرقه هدرا وهو البترول .الا ان الفطريات المعروفة التي تستطيع التغذى عليه بطيئة النمو لاسباب عديدة . وهنا تكمن وظيفة الهندسة الوراثية التي تهدف الى تجميع عدد من الصفات التي تمكن الفطر او البكتيريا من النمو السريع ، تجميعها بزراعة الجينات في خلية واحدة . (لعل هذه النقطة تكون موضوعا لمقالة مستقلة قادمـــة) .

٣ـ الـزراعـــة

الحلم الذى يراود العلماء في هذا المجال هو تخليص النباتات الزراعية من الاعتماد على الاسمدة الكيماوية او تقليص هذا الاعتماد الى حد ادنى . والحقيقة الهامة في هذا الصدد ان النيتروجين من العناصر الهامة في السماد النباتي لانه ضرورى لبناء البروتين . والنيتروجين متوفر في الهواء بنسبة ٨٠٪ تقريبا . الا ان النباتات غير قادرة على الاستفادة منه والوحيد الذى يستطيع ذلك هو عدد محدود من انواع البكتيريا حيث تحتوى هذه مجموعة من الجينات تتحكم في انتاج مركب من الانزيمات تمكن من تثبيت النيتروجين . وهذه الجينات تسمى (Nif-Genes) . والذى تريده الهندسة الوراثية هو نقل مثل هذه الجينات من البكتيريا وزرعها في النباتات كالقمح او غيره بحيث تستفيد من نيتروجين الهواء مباشـــرة .

أضف الى ذلك ما يراد من انتقاء الجينات المسؤولة عن وفرة الانتاج سواء كان هذا ثمارا ، أوراقا ام درنات لاستحداث نبات وافر الانتاج ـ او تفصيل نباتات حسب الطلـــب .

مخـــاوف وتحـــذيرات

الى جانب الافاق الايجابية التي تفتحها الهندسة الوراثية توجد اخطار ممكنة في قدرة الانسان على التحكم في الجينات . وهذه الاخطار قد تطرأ عن غير قصد وأخرى عن سوء استعمال الانسان المقصود لقدراته . النوع العفوى يمكن التغلب عليه بالتدابير الوقائية التي

Digitized by Birzeit University Library

وضعت وبزيادة المعرفة بعلم الوراثـــــة .

لقد اتخذت عدة اجراءات ميكانيكية (العمل في جو معزول ، بملابس خاصة ، والاستحمام قبل مغادرة مكان العمل ... وغيرها) وبيولوجية (العمل بسلالات بكتيرية لا تتوفر لها فرص الحياة خارج المختبر ، اذا تسربت منه اصلا . وذلك باحداث طفرات ثابته عديدة تجعلها مكيفة للبيئة المخبرية الخاصة . فهناك سلالة من E- C 1 مستخدمة في المختبرات حاليا وفرصتها في الحياة تقل عن واحد في المئة مليون في الطبيعة) لمنع انتقال الجينات التي تجرى عليها التجارب الى البيئة الخارجية . فامكانية حدوث ميكروبات ضارة عن طريق الصدفة تبدو قليلة الا ان الحذر مطلوب لاننا ما زلنا نجهل الكثيـــر .

الا ان الخوف الاكبر يأتي من خوف الانسان من الانسان والذى يحلو لبعضهم وصفه بالخوف من التكنولوجيا . فكما يمكن استخدام الهندسة الوراثية في معالجة الامراض يمكن استخدامها في انتاج بكتيريا وفيروسات ضارة وفتاكة ، تستخدم في الحروب البيولوجية .

ومما يخشى منه ايضا هو تعاون الهندسة الوراثية والعلوم البيولوجية الاخرى كالتلقيح والاخصاب خارج الرحم (أطفال الانابيب) ووضعها في أيدى ساسة غير مسؤولين لانتاج اصناف من البشر حسب هواهم وبالمواصفات التي يريدون . صحيح ان هذا غير ممكن فنيا الان ،ولكن الامكانية واردة في المستقبل والمستقبل القريب ايضا . وامكانيا وجود قادة مجتمع يطمحون لانتاج سوبرمان مثلا لا يمكن اعتبارها من اللامعقول اذا اخذنا بعين الاعتبار ان هتلر حاول بوسائل "التهجين" البشرى انتاج الرجل الجرماني الارى ، طويل القامة ، اشقر الشعر أزرق العينين ، ذكي العقل حسب رأيـــــه .

استنتاجات ختـامـية

نحن اذا بصدد فتح علمي وتكنولوجي كبير . وقد لا نبالغ ان قلنا ان العقدين القادمين سيجلبان معهما ما يمكن من تسمية الفترة التي نعيشها بعصر الهندسة الوراثية الذى لن يقل أهمية عن الانشطار النووى او عن الكمبيوتر والانسان الالي من حيث الانجاز ، ولعلها – الهندسة الوراثية – مع احتمال تحكم الانسان في الاندماج النووى وبناء المفاعلات الاندماجية النووية (ممكن الان انتاج القنابل الهيدروجينية اى التفاعل غير المحكوم . وايجابية المفاعل الاندماجي تكمن في عدم او قلة تلويثه للبيئة اشعاعيا ووفرة المادة الخام اللازمة – الهيدروجين) لتوليد الطاقة واستخدام الطاقة الشمسية بمثابة ضمانات لمستقبل الانســـــان .

وبما ان كل انجاز علمي صغر ام كبر ، يحمل في طياته الخير والشر معا ، فاذا مثل الهندسة الوراثية مثل الطاقة النووية وغيرهما مثل السكين ، سكين المطبخ الذى تفرم به بصلا لتأكل تستطيع ان تطعن به شخصا لتقتل ، يبقى الانسان هو العامل الحاسم في توجيه ادواته الى الخير او الى الشر . ولذلك فان الضمان الوحيد لتسخير كل هذه المنجزات لمصلحة البشرية هو في القضاء التام على مصدر الشر والعدوان الرئيسي في العالم ، اى قوى الحرب والرجعية والاستغـــــلال .

Digitized by Birzeit University Library

الادارة الأميركية و «تسييس» الرياضة

بقلم : محمد شاهين

لقد عكس اعلان اللجنة الوطنية الاولومبية السوفييتية" ان الولايات المتحدة كضيفة للالعاب الاولومبية لعام ١٩٨٤ تخلق ظروفاً على اساسها لا يمكن ان يشارك رياضيو الاتحاد السوفييتي في هذه الدورة الاولومبية" ردة فعل مميزة في جميع انحاء العالم . ومن وسائل الاعلام الغربية (بغض النظر عن عدائها العادى للاتحاد السوفييتي وللدول الاشتراكية عامة) فقد طرحت ايضا اراء واقعية اشارت الى ان موقف الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية بمقاطعة اولومبياد لوس انجلوس هي الخطوة الوحيدة تجاه موقف ادارة ريغان بعدم توفير الحماية لرياضيي الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى حسبما ينص عليه الميثاق الاولومبي .

لقد كان اول تعليق في معسكر الرجعية الامريكية تاكيد حكومة ريغان "بأن قرار الروس عدم ارسال رياضيين الى لوس انجلوس هو عبارة عن عملية سياسية فقط" ، وبهذا الخصوص فقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز بأنه حسب آراء المختصين في حكومة ريغان وفي UPI ان هذه العملية السياسية هي على الاقل "ثأر" للمقاطعة الامريكية للالعاب الاولومبية في موسكو سنة ١٩٨٠، وروت الصحيفة ايضا بأن هذه المقاطعة هي بسبب "الصراع الايديولوجي بين القوتين العظميين" .

ان هذه الاقوال والروايات ما هي الا اساليب واهية للتمويه على السبب الجوهرى . وفي اعتقادى بأن العمل السياسي والانتقام الذى اخذ طابعا سياسيا ، كان مقاطعة الرياضيين

Digitized by Birzeit University Library

الامريكيين لاولومبياد موسكو في عهد حكومة كارتر ،والذى وبشكل واضح ادخل السياسة الى الرياضة ومنع الرياضيين الامريكيين من المشاركة في اولومبياد موسكو، بسبب بعيد كل البعد عن الواقع وهو على حد رأيهم "ثأر" للمساعدة السوفييتية للحكومة الثورية في افغانستان .

لا يمكن ولا بأى شكل من الاشكال اعتبار قرار مقاطعة الدول الاشتراكية لدورة لوس انجلوس بأنها "ثأر" كما حاولت الادارة الامريكية تفسيرها للعالـــم .

ان اللجنة الاولومبية السوفييتية وباقي لجان الدول الاشتراكية كانت مجبرة على هذا القرار انطلاقا من ان السلطات الامريكية تجر السياسة الى الرياضة، وعلى العكس من ذلك فان اللجنة الاولومبية السوفييتية وقفت وبجدية للدفاع عن اهداف وشعارات الحركة الاولومبية امام الدعاية الهستيرية الامريكية، وكانت اللجنة الاولومبية السوفييتية على مستوى من المسؤولية في قرارها هذا من اجل حماية الرياضيين السوفييت امام الاهانات المعنوية والجسدية التي كان من الممكن ان تمارسها ضدهم المخابرات الامريكية في اولومبياد لوس انجلوس. ومن ناحية اخرى فقد اكدت اللجنة السوفييتية بأنها سوف تدعم دائما اهداف وشعارات اللجنة الاولومبية الدولية. ولا تقصد اللجنة السوفييتية بقرارها هذا ولا بأى حال الاساءة الى الرياضيين الامريكيين وللعلاقة الودية التي بينهم ، في حين تتظاهر الادارة الامريكية وكأنه لا يوجد لها علاقة بالاعمال "غير البريئة" التي كانت تستهدف تهيئة الظروف لعدم مشاركة رياضيي الدول الاشتراكية في اولومبيادة لوس انجلوس .

ان الحقائق تؤكد بان المحرض الرئيسي ضد الاشتراكية والنظام الاشتراكي هو الرئيس ريغان، الذى اعلن "حملته الصليبية" والتي كان من نتائجها خلق الجو العدائي، الشوفيني والعنصرى ضد رياضي ومرافقي (من صحفيين وغيرهم) البلدان الاشتراكية الذى نشأ في لوس انجلوس، ومثال على ذلك فقد رفض مجلس بلدية لوس انجلوس وادارة ولاية كاليفورنيا السماح للرياضيين من البلدان الاشتراكية الدخول الى اراضيها ،كما ان الحكومة الامريكية لم تعترف بتأشيرات الدخول الاولمبية التي بحوزة هؤلاء الرياضيين، وما الى غير ذلك من الاساليب الحقيرة التي اتبعتها الادارة الامريكية . فليس من المستغرب الا يشارك رياضيو البلدان الاشتراكية في دورة لوس انجلوس، فقد التزمت الادارة الامريكية بل ونسقت مع البوليس و CIA ، وقامت بتنشيط المنظمات المعادية للشيوعية بالاضافة الى المهاجرين والفارين امام العدالة من الدول الاشتراكية، الذين كانوا يهيئون انفسهم للقيام بمظاهرات معادية للدولة الاشتراكية، ويدربون العملاء ، الذين كان من اهم مهماتهم الضغط على رياضي الدول الاشتراكية وابتزازهـــم .

كل هذه الجهات المسؤولة بالطبع لا تقر بهذه الافعال حيث ذكر رئيس لجنة تنظيم دورة لوس انجلوس (اوبيروث) ان الانباء التي تتحدث عن عدم توفر الامن للرياضيين السوفييت مبالغ فيها، والامر يدور على حد قوله "حول مجموعة من المعتوهين الذين

Digitized by Birzeit University Library

يثيرون الشغب ضد رياضيي الدول الاشتراكية، وهم ليسوا اكثر من حمولة باص سنعمل على تسفيرهم الى الصحـــراء".

والحقيقة ان الانباء تتحدث عن وجود اكثر من ١٦٥ منظمة بآلاف الاعضاء تعد نفسها للقيام بأعمال همجية ضد رياضيي البلدان الاشتراكية، فقد اعترف "دافيد بالسينغر" قائد الحملة الدعائية التحريضية المعادية انه حصل على خطط وتفاصيل عن برامج رياضيي البلدان الاشتراكية في لوس انجلوس وعن اماكن مبيتهم ... الخ. وقد كان من بين هذه المنظمات ما يسمى بـ(مافيا سايغون) التي تضم آلاف الاعضاء المحترفين للاجرام معظمهم من الجنود ورجال الشرطة المسرحين واعضاء البوليس السرى للنظام البائد في سايغـون .

والان ، هل بقي احد يستغرب لماذا قاطعت الدول الاشتراكية دورة لوس انجلوس ؟ في اعتقادى لا احد ... ولكن الاسف الكبير هو ان هذه الدورة لم تضم افضل رياضيي العالم ، وهذا ليس ذنب الدول الاشتراكية ،بل ذنب الادارة الامريكية التي هدفت للوصول الى هذه النتيجـــــة .

ان اى دورة اولمبية بدون مشاركة رياضيي الاتحادالسوفييتي والدول الاشتراكية الاخرى لن تكون ابدا استعراضا جيدا يستمتع به جمهور الرياضة في جميع انحاء العالم . كما انها ستساهم في الابتعاد عن هدف الالعاب الاولومبية السلمي والذى هو اصلا تحسين وتوطيد اواصر العلاقة الطيبة بين الشعوب ، وبالتالي فان هذه الالعاب اصبحت احدى المعايير التي تحدد مدى الانفراج الدولي الذى عملت وتعمل المنظومة الاشتراكية على المحافظة عليه وتقويته من اجل السلام العالمي وتفادى خطر الحروب المدمرة .

وفي محاولة لاظهار ان عدد الدولالتي شاركت في لوس انجلوس هي اكثر من التي شاركت في موسكو، فقد كشفت التقارير الصحفية ان اللجنة الاولومبية دفعت ما قيمته ٢٢٦ الف دولار لاحضار ممثلين عن ٣٠ دولة من افريقيا للمشاركة في دورة لوس انجلوس، ومعظم هذه الدول لم تود المشاركة في هذهالدوره اصلا "اما بسبب التكاليف اوبسبب عدم وجود مستوى رياضي فيها . هذا من افريقيا وستكشف الحقائق كم من آسيا وامريكيا اللاتينية تم احضارهم بهذه الطريقة . فعلى سبيل المثال فقد ارسلت حكومة الاستعمار الامريكي في غرينادا وفدا رياضيا عنها لاعطاء صورة للعالم ان الجزيرة بخير والامن فيها مستتب !!! ان هذه لمهزلة تعكس مدى سخف السياسة الامريكية. وبالاضافة الى ذلك فقد اعلن رئيس اللجنة الاولومبية الامريكية انه تلقى اشعارا من ما يسمى بـ(اللجنة الاولومبية الاوكرانية) التي يتألف اعضاؤها من الفاشيينالقدامى واعوانهم ابان الاحتلال النازى للاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية، والذى يوجد مركز تنظيمهم الان في كندا. هذا بالاضافة الى اشعار من ما يسمى بـ (الرياضيين البولنديين في المنفى) ، وهم عبارة عن مجموعة من المناوئين للحكومة الشعبية في بولندا من اعضاء منظمة تضامن العميلة وفروا الى الولايات المتحدة حيث استقبلتهم الادارة الامريكية بالاحضان. هؤلاء وغيرهم من امثالهم بعثوا

Digitized by Birzeit University Library

* اولبه هون (المانيا الديمقراطيـــة) * يوري سيديخ (الاتحاد السوفيتي) * ليدي ديريدجه (البوبيا) الفائز في المراتون * فـتـلين لوكتوف (الاتحـاد السوفيتي) - (من اليسار الى اليمين) جريدة «الصداقة» ١٩٨٤

اشعارات للمشاركة في اولمبيادا لوس انجلوس.وقد حاولت الادارة الامريكية جاهدة اعطاء انطباع للرأى العام العالمي بأن غياب الدول الاشتراكية عن لوس انجلوس لم يؤثر على هذه الدورة وأنها دورة ناجحـــــة .

ان ادخال السياسة الى الرياضة او كما يقولون (تسييس الرياضة هي مبادرة ونهج امريكي وليس سوفييتي ،وقد حرص الاتحاد السوفييتي على أن تبقى الرياضة بعيدة عن السياسة ولم تكن في نيته"الثار" بدليل انه بدأ في اعداد رياضييه للمشاركة في لوس انجلوس وتحديدهم منذ اكثر من سنة- ولكن الظروف التي حالت دون ذلك والتي تكلمت عنها سابقا كانت مخططة ومدروسة ومعد لها من قبل الادارة الامريكية . ولا استغرب ان تهيئ مثل هذه الظروف الهمجية في " سيئول" عاصمة كوريا الجنوبية، التي من المقرر ان تقام الالعاب الاولومبية القادمـــة فيهـــــا .

لقد استنكرت كافة الدول ذات الانظمة التقدمية والتحررية في العالم واستاءت جميع شعوب العالم للسياسة التي انتهجتها ادارة ريغان للحيلولة دون مشاركة دول المنظومة الاشتراكيـة في لوس انجلوس،كما ابدت اسفها الشديد بأن هذه الدورة لم تكن ذات مستوى رياضي مقبول، لا سيما وأن معظم الابطال الاولمبيين هم من الاتحاد السوفييتي وألمانيا

الديموقراطية وباقي الدول الاشتراكية . وكانت العاب الصداقة التي جرت فيموسكو وتالين من ١٧-١٩٨٤/٨/٣٠عدا عن انها اثبتت لجمهور الرياضة العالمي المستوى الرياضي الذى يحتله رياضيو الدول الاشتراكية والصديقة والتي تفوقت من ناحية الارقام القياسية كثيرا عن العاب لوس انجلوس وسجلت ارقاما قياسية عالمية جديدة في مختلف العاب القوى، كانت تلك الالعاب مثالا لوحدة وترابط الشعوب . ان مبدأ الانفراج الدولي والتعايش

Digitized by Birzeit University Library

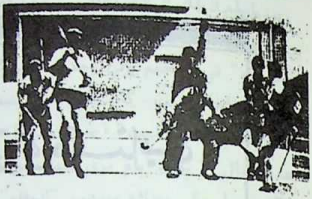

لقطة من مباراة الهوكي بين الشاب بن منشجي لنلندا وزمبابوي . وقد فاز فيها لاعبو زمبابوي بالنتيجة ٦ مقابل صفر . مهرجان «الصداقة-٨٤»

عداءون من ليبيا يبدأون الله التدريبات في موسكو لتعوض مهرجان «الصداقة-٨٤»

السلمي بين الشعوب هو مبدأ اساسي في برامج الدول الاشتراكية كافة وتضحي بالكثير من اجل تطبيق هذا المبدأ ، ولعل شعار العاب الصداقة (الرياضة الصداقة ـ السلام) لاكبر دليل على ذلك . ان اسلوب استغلال الرياضة من اجل الضغط السياسي الذى تنتهجه الامبريالية الامريكية هو واحد من اساليب عدائية كثيرة ضد دول المنظومة الاشتراكية وضد كافة قوى التحرر في العالم ، ولكن هذا لا يزيد الا من فضح نهج الامبريالية الامريكية المعادى للشعوب ، ومن جهة اخرى من ايمان تلك الشعوب بان الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية هي قوى السلام الحقيقية وقوى التحرر والتقدم وصديقة الشعوب الصادقة والوفية .

لين ارمان لبالبدى (بيتن) يقوم بقفزة ثلاثية - مهرجان «الصداقة-٨٤»

Digitized by Birzeit University Library

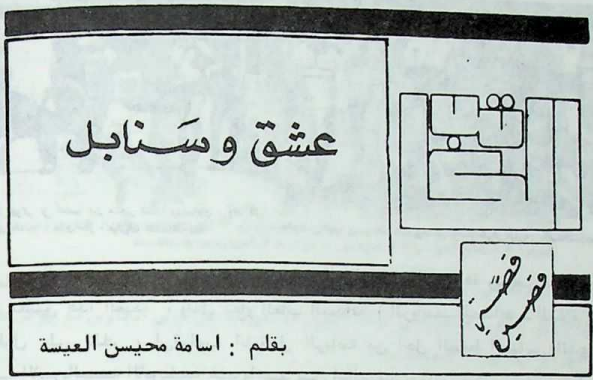

كنت عائدا الى البيت مسرعا ، .. علي ان اصل قبل المغيب وبذلك يكون هناك متسع من الوقت لاصطحب الوالد صاحب القلب الكبير الى طبيب القلب ، ...لقد وعدته في الصباح ان أقضي غرضا لمدة ساعةبالكثير وأعود اليه ، ... ولكن ظروفنا في العادة لا تأتي كما نشتهي ..،... فاضطررت ان أتأخر ... وعلى الان ان أعُدالخطى واسرع لاصل قبل أن يكون قد نفد صبر الوالد ويطلع علي بالصوت العالي ، ... هذا الرجل ذو القلب الرائع الذى صارعه الدهر طويلا ولم يتغلب عليه... وها هو الان ينذره ولم يبق له غير شهور او سنين يقضيها في الرجاء والتمني برؤية الاحباب الذين طال غيابهم ،...يوصيني دائما بأن أدفنه في البلد ... وبلدنا قرية صغيرة لا ترى على الخارطة تتوسط مدينتي "الخليل" و"الرملة"... اسمها "زكريا" ،... أدفنه في البلد ــ هذه وصيته الوحيدة ــ حيث الهواء غير الهواء الذى نعرفه ــ كما يقول لي دائما ــ وماء البئر ــ "السفلاني" غير الماء الذى نشربه ...،... ولكن كيف ايها الوالد الصابر الذى تحديت الدهر ولم ينتصر عليك تطلب مني ذلك وكأنك لا تعرف ما حصل ببلدنا ؟؟ حتى اسمها غيروه يا والدى العزيز ... !!، ... وحين كنت ادعوه لزيارتها بعد حزيران اللعين، .. كان يرفض بالحاح... والعبرات تفترش وجهه وتنتهي في لحيته البيضاء لتضيع كل وقاره ويقول :

– الا تذكر ما حدث مع عمك "عبد المنعم "...

... والعم عبد المنعم " نرتبط معه بقرابة بعيدة نسبيا ، ... وَعينا عليه نحن الجيل الشاب في المخيم ، وكله عنفوان يشار له بفعالية في المظاهرات والانتفاضات ضد "حلف بغداد" وغيره...،... ويزور اسر المعتقلين ويرعاهم ، ... وأحيانا كثيرة لم نكن نشفع له مكانته ولحيته البيضاء وحب الناس له ، من أن يطوله بعض من "غضب "جنود البادية...،...

Digitized by Birzeit University Library

وعندما سلم الملك البلاد وغادر ... اصطحبنا العم "عبدالمنعم ، ليعرفنا على "زكريا" ، ... واني لاذكره ذلك اليوم جيدا ... ايها الوالد ، ... عائدين من البلد الى بيت "الزينكو" في المخيم وفي وجدان كل واحد منا ... شجون وافكار ... وتأملات ، ... ولكن المفاجأة ، ... كانت مع العم "عبد المنعم" ، ...فبعد ساعات من وصولنا جاء من يخبرنا بأن العم "العبد" أصيب بالشلل ... لا يستطيع السير ، ... ولم يبق عمنا على هذه الحال الا بضعة ايام نرى فيها دموعه تغسل وجهه وتختصر سبعين عاما من عمره وتعيده طفلا صغيرا يبكي ببراءة ويندب "المقام" و"المسجد" و"الطابون" و"البيرالسفلاني" و بير "الصرارة" ... ، الى ان مات بعد ان قال ثلاث كلمات :

- ادفنوني في البلد ...

... وتعرف يا والدي اننا لم نستطع ان نلبي رغبته ... ، وعندها قلت لتخفف عنا حزننا :

- للضرورة احكام يا أولاد ... معلش ...!!

آه ... كل الرحمات عليك يا عم "عبد المنعم" ...

.... بعد ان وصلت البيت ، ...كان علي ان افتح الباب بسرعة وأدخل لاطمئن على الوالد ... ، الذي وجدته جالسا على الارض يسحب على النرجيلة وينفث .. دخانها في الجو وكأنه يفرغ هموم جيل بكامله... ، وبجانبه "أبو محمد " الدير باني ، ... جارنا ... الشهم ، ... الذي يفخر دائما بأنه كان يعمل تحت علم فؤاد نصار في الثورة ، ... حيث كانت جبال الخليل الشاهد على الرجولة وتقف سدا منيعا في وجه اللصوص والانتهازيين الذين يتسللون من حين الى آخر في صفوف الثورة ، ...

- كل ثورة ... فيها الصالح والطالح يا ابني ...!!

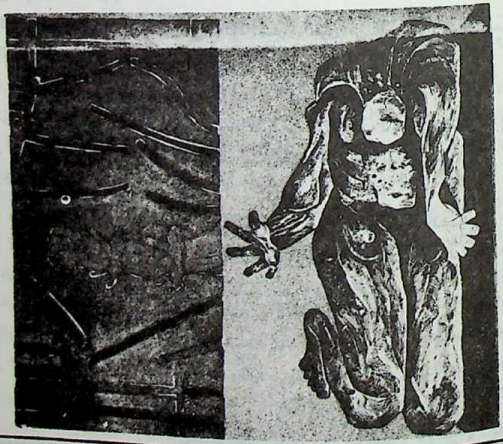

Digitized by Birzeit University Library

.. كان يقول لي "أبو محمد " ذلك باستمرار كل ما نسمع خيانة اوانحراف عن الطريق لتحقيق فرحنا المشترك ...

... وقبل ان ارد التحية بادرني الوالـــد :

ـ هيك بعلموكوا البلشفيك ، ... أن لا تعتنوا بأهاليكوا !!...

... ولم يعطني فرصة لاتكلم وأبرر وأشرح له ... ، وقال :

ـ تعال ... اجلس، "ابو محمد " بنتظرك من ساعة ...

... ماأروع صبرهم ... ، طوال حياتهم يكتوون بنار السلاطين ، ..كم احبهم هـــؤلاء الرجـــال ... !!

ـ أهلا وسهـلا ... أبو محمـد ...

قلت مرحبا ... وجلسـت ...

فناولني أبو محمد" ورقة ، .. وطلب مني ان أفسرها لـــه ...

ـ هذه دعوة للمحكمـــــة ...

ـ أعـــرف ...

رد "ابو محمـد " مهمومـــا ...

ـ مطلوب ان تمثلوا للمحكمة في منتصف الشهر القادم ... ... شو الموضوع ...

زفـر الرجـل الشهـم وقال :

ـ كنا الاسبوع الماضي في "ديربان" ، احنا والعيلة ، واحنا راجعين لقونا مجموعة من "حرس الحدود" ، وصادروا ما جمعناه من "العرمية" و"الزعتر" وسجلوا ارقام الهويات وكسروا رجل الولـــد !!...

ـ سقاالله على الايام اللي كانت فيها العرمية" كالشجرة اطول من الرجل ، ...نخلعها ونستعملها في الموقد للتدفئة من كثرهـــا !!...

قال الوالد ... وتمتم ببعض التهليلات وكأنه يحدث نفســه .

ـ ولا يهمك يا حاج ..بكرة بنتصل مع المحامية "فليتسيا" وبنشوف شو ممكن نعمل !!...

ـ قوم يا ولد استعجل الشاى ... ، والا البلشفيك علموك قلة الحيلة كمان !!...

قال الوالد آمرا ومستفزا بتحبـــب ...

ـ ...اسكت يا حاج ، ... والله ما بيوخد بيدنا وبينصرنا غير الله والحزب الشيوعي !!...

وقفزت أنا لاجلب الشاى ، ... والدنيا كلها عاجزة أن تسع حبي لهؤلاء الرجال .. الجذور ، ... الذين يملأون علينا الارض عشقا وسنابل !!!...

Digitized by Birzeit University Library

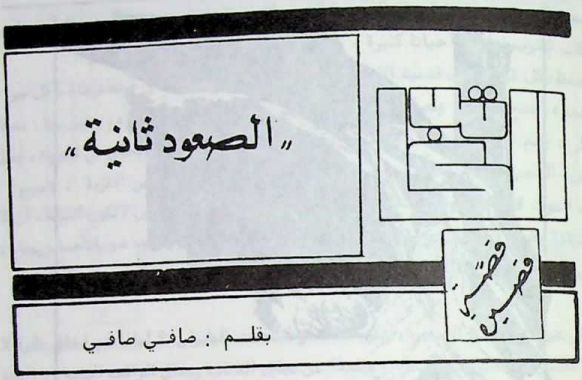

الطرقات مليئة بالعربات تسير باتجاه الشمس، تود معانقتها ، والقبض عليها .... الطرقات مليئة ايضا بالحفرات ، يبدو أن الحفرات هذه من صنع قطاع الطرق ،فمن السهولة ملاحظة بقايا الادوات التي استخدمت ، فؤوس ، مجارف، زيوت سوداء دلت على آلات ميكانيكية ، أسلاك كهربائية دلت على آلات حديثة، وأجساد ملقاة هنا وهناك، الا أنها ما زالت تحتفظ بنقاوتها ، أحدهم ما زال ممسكا بعجل قيادتها، محتفظا بابتسامته، وبجديته أيضا ، أجساد آخرى سقطت من على العربات ، والرائحة النتنة تفوح منهـــا .

عربتهم صنعت بمزايا خاصة، تسير بين هذا الجمع ، أدركوا أن القبض على الشمس ليس بالامر السهل ، والمواصفات الخاصة هذه ستوصلهم لها لا محالة، يحسون بالدفء من بعيد ، رغم أن شدة البرودة ، والعواصف ، والصقيع تنخر عظامهم .

أدرك أن قوته الخاصة ، يستطيع بها التغلب على كل العقبات ، وجلوسه بجانب السائق منحه ثقة عالية بنفسه، أسدى نصائحه للاخرين في المقاعد الخلفية ، أن يمسكوا جيدا بمقاعدهم ، حتى لا يهزهم المرور بحفرة أن وقعوا في شركهـــا .

فجأة ، وجد نفسه قد وقع ايضا ، ووجد نفسه بين التراب ، مما أحدث رضوضا وجراحا عميقة في جسده ، وحين صحا لنفسه، وجد أجسادا قد بدأ الدود ينخرها ، والذباب يحوم حولها ، أما العربة فما زالت تسير، ترتفع أيادى منها، تنادى أن يلحقوا بها بالسرعة الممكنة ، وكان من السهولة ملاحظة ان ركابا ينتقلون من العربات الاخرى، من مفترقات الطرق ، والصعود ، مشاركين في رحلة الشمـــس .

Digitized by Birzeit University Library

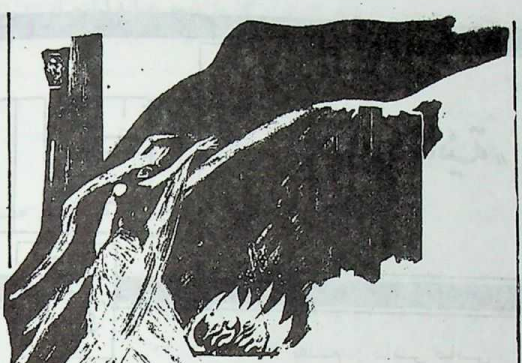

هز رأسه مرات عديدة ، كي يتخلص من حالة الغثيان والاشمئزاز التي ما زالت تعتريه، شعر بخيبة أمل هزته ، هل يعيش بين الحشرات ؟ أشاح بيديه يمينا وشمالا محاولا ابعادها، وقشعريرة أمل تسري في جسده كلما نظر نحو العربة التي شارك بصنعها ما زالت تسير، يزداد هذا الشعور كلما رأى الايادى تلوح له بلحاقها ، ورفع يده هو الاخر ، صرخ بأعلى صوته ودمعة تقفز من عينيه " سألحق بكم ".

نهض من جلسته الاجبارية تلك ، وقف على قدميه بصعوبة، ضرب ببدية على جسده ، محاولا ازالة الغبار عن ثيابه الممزقة، يحس بالام كلما ضرب ثانية، كما "الهراوة" تسقط على جراحه التي لم تجف بعد ، راودته نفسه" لا فائدة لكن، هل يترك جسده لاكل الديدان والحشرات والذئاب التي بدأت تقترب ؟ وكلما رأى ذئبا يقترب ، يلتقط الحجارة ويرشقها ، مما حال دون المس به، حاول أن يبدأ خطوته الاولى ، يبدو أن قدمه اليسرى قد كسرت، وماذا يفعل اذن ؟ اما ان يبقى كما هو ، تنهشه الكائنات المتوحشة واما ان يركض ،اللحاق بالركب ، المشوار طويل .. أحس بشيء من البرودة ـــ الجراح تحرقه ... القبض على الشمس ... رجله تؤلمه ... ، قفز على قدمه الاخرى، كان يبدو مضحكا ، عرضوا عليه أن يركب معهم ، رفض، كان على قناعة بأن العربة ذات المواصفات الخاصة هي التي ستوصله للنور، للدفء ، ظل يقفز، والذئاب تلاحقه، انهكه التعب ، التفت للوراء ، انبعثت فيه قوة جديدة للهرب، للحاق بالعربة، بدأ يرتكز على قدمه الاخرى ، متيحا لها مزيدا من الوقت لكي تلتئم جراحها ، بحيث يستطيع الركض بصورة طبيعية ... مضى زمن طويل على ذلك، الثواني كانت بالنسبة له اياما ، والايام سنوات ، والسنوات قرونا ، وما زال يركض ، وكلما أسرع في سيره ، أحس بالانتعاش فالنسيم يدغدغه ، والرائحة النتنة تبتعد اكثر ... أكثر.

Digitized by Birzeit University Library

بعض العربات توقفت اقصى اليمين، آخرى اقصى اليسار يصلحون العطب الذى اصابهم والذئاب تقترب مهاجمة أحيانا كثيرة ، مكشرة عن انيابها، ظنها البعض تبتسم .

ضغط بكل قوته على قدميه الاثنتين، سلم نفسه للريح، وجد أن قوته تزداد، كل جزء من جسده أصبح طاقة ، ومعركة لا زالت تدور في رأسه، طبقة من دماغه، يحس بها، مغطاة بالغبار ، رغم أن الغبار يكسو صفحة براقة، بها لوحدها يستطيع ان يحلق في الهواء ، يصل للشمس، الشمس بعيدة، لكنه يدرك كيفية الوصول لها، لو تخلف عن العربة ، لاصبح ميتا ، الموت لا يعني توقف الخلايا الحية عن العمل، الموت يعني ان لاتكون انسانا، ان لا تشعر لماذا وكيف يجب أن تعيش، الموت يعني ان تعيش حياتك الخاصة دون الاحساس بمعاناة الاخرين، أن لا تكون منهم ولهم، الموت ... يعني ... الموت .

قفز عن الحفرات الصغيرة، فكر، ماذا لو استطعت الطيران ؟ لماذا لم أخلق طيرا لا يحتاج للمشي ! يحلق في السماء ! مبتعدا عن مطال الذئاب ومجال الرائحة النتنة ! رائحة اصحابه القدامى . تذكر عباس بن فرناس، حاول الاستفادة من تجربته دون ان يقع وتكسر احدى اطرافه، تذكر كل من حاول الطيران، توصل بنتيجة، وهي أن الطير يبذل أكبر جهد عند بدء الطيران وعند انتهائه، " يجب ان يصفق بجناحيه بأقصى قـــوة ".

أخذته افكاره بعيدا ، راجع تفاصيل كل ماحدث معه، "حين يقع الواحد بمصيبه، يصبح مفكرا، خاصة اذا ما حاول التخلص منها" ، حاول تحديد الاخطاء وحده ، وحين نظر للايادى الكثيرة المرتفعة من العربة ، سمع صوتا، أسرع بخطواته أكثر ، متغلبا على الانهاك الذى اصابه ؛ أشاروا بأيديهم كيف يقفز، كيف يصلهم ، يمدون ايديهم بين الهواء ، وأكفهم مفتوحة، يشيرون أن يأتي كما الريح، صارت خطواته اكثر ثباتا، اكثر اتساعا، وبينما هو كذلك ، أحس بحفرة لا مناص من الوقوع فيها ، فقد كانت مغطاة بالاشواك بمساحة كبيرة، أكبر من خطواته، ماذا يفعل اذن / من الصعب التراجع ، واذا ما تحول عن هذا الطريق ستنهشه الكائنات المفترسة، سيموت " الوصول للعربة ومن ثم للشمس يأتي فقط بالقفز عن هذه الحفرة تذكر الطيران، صفق بيديه ، رفعها عاليا، وأنزلها بكل ما يستطيع، ازدادت سرعة يديه، والغبار يتكاثر من على ثيابه، ثيابه تتمزق، ويحمر جلده ، لم تعد هناك سوى ذكرى جراح، انطلق باقصى سرعة يستطيع، مرتكزا على قدمه ، تلك التي كسرت من قبل، ملقيا بنفسه بين ذرات الهواء ، جزءا منها، يطير فوق الحفرة، والغبار يتطاير، تمزقت ثيابه جميعها، تجمعت باطراف يديه ، أصبحت اجنحة ، ارتفع اكثر وأكثر ، فاذا به قد تجاوز الحفرة، عرف ذلك حين سمعهم يصفقون وينادون باعلى صوتهم ، هذه المرة كان واضحا، أسرع، حاول الطيران دون أن يرى حفرا ، أمسك بيديه مؤخرة العربة، ملقيا بكل جسده على أرضها، ما كان من السهولة ملاحظة الدموع، دموع الفرح ، تغسل جسده العارى، ويشير بيديه، للاخرين، وبين الازقة، أن يأتوا، فالشمس تقـــترب

Digitized by Birzeit University Library

انتصارات

بقلم : خالد فلاح

كانت الخطة مدروسة ومحسوبة "بالشعرة" ، وأى خلل في طريقة تنفيذها يؤدى الى الفشل الذريع ، ويجتر عواقب وخيمة لكن الرفاق كانوا مصممين على النجاح ، فتحلقوا حول القائد يصغون باهتمام بالغ الى شرحه ، كأنهم ارواح بدون اجساد ، لا طرفة عين ، لا بنت شفة ، لا نأمة ، لا حركة ، وكان القائد يرسم خارطة الموقع المنوى اقتحامه على الطاولة الرملية ويغرز طرف عصاه في صدر الموقع ، كأنه يطعن الرجال فيه ، وبدت المنطقة الكبيرة واضحة كل الوضوح في هذه الطاولة الصغيرة ،وقد احس كل واحد من الرفاق كأن العدو في متناول يده ، وتحت رحمتـــه .

لكن الواقع شيء آخر ، فالمهمة صعبة للغاية ، وتنفيذها يحتاج الى اجتياز موانع طبيعية واصطناعية كثيرة ، والعسس منبثون في كل مكان ، لكن ارادة القائد لا تعرف المستحيل وقرار تدمير موقع الاعداء لا يحتمل التأجيل .

وانفض الاجتماع على موعد عقد لقا ثان في منتصف الليل ، وفي طريق عودتهم إلى خنادقهم ،قفزت تتراقص امام اعينهم اشباح الموت ، واغصان الاشجار تبدو كالحراب المصوبة الى صدورهم ، واحسوا انهم اقزام امام هذه المهمة الخطيرة ، وان الثمن سيكون فادحـــا للغايـــــة .

وفي لحظات الشدة تنفجر النكتة ، كأن الانسان يريد ان يسرق اكبر قدر من السعادة قبل حلول المنية ، فقد قهقه احدهم قائلا : انها مزحة ، فلا يعقل ان يفكر انسان في مثل هذه المجازفة الا اذا كان يريد ان يتخلص من احد اصحابه ، وذكر آخرون ان هذه الاساليب من بنات افكار بعض القادة الذين اذا احسوا بالوهن يدب في عضد رجالهم طرحوا افكارا براقة ، يقصدون منها صب الزيت في سراج القضية لتواصل الشعلة وهجها ،ويتعمدون بذلك تحذير

Digitized by Birzeit University Library

اتباعهم ، ثم سرعان ما يزعمون ان تحقيق هذه الافكار مرهون بالزمان ..." ونهق يا حمار .. !"

وفي اجتماع منتصف الليل همس القائد :" ساختار الرجل سنفسي . انها عملية انتحارية من نوع خاص ، وتحتاج الى شخص تتوفر فيه مؤهلات معينة . وعاد القائد يحفر بعصاه في جوف الطاولة الرملية وعيون الاركان تركض مع عصاه ، كأنها تلهث في اعياء وهي تحاول ان تنتبأ عن اسم الشهيد المرشح للموت في العملية المقبلة . وانهى القائد الاجتماع قائلا : " الفجر موعد تنفيذ المهمة" وحدد لحظة انشغال العدو في تبديل الحرس كساعة الصفر للانقضاض على الهدف ، وأكد ان عنصر المباغتة في هذه المهمة هو العامل الحاسم لتوفير النجاح الكامل .

ولم ينصرفوا كما امر القائد ظل كل واحد يتحسس عنقه وهو يتوجس خيفة من سماع الاسم الذي ستناط به اخطر عملية . بعضهم همس :" لنقرأ الفاتحة ونتلو صلاة الغائب ". وكانت الرهبة تختصر قاماتهم وتعقد السنتهم ، لكنهم مع ذلك ، كانوا يحاولون مناقشة كل صغيرة وكبيرة ، والقائد منشرح الصدر ، اذ انه يؤمن ان الخوف وانت تعترف بوجوده يتحول الى شجاعة ساعة العمل الحقيقي .

وصعق الجميع وهو يؤكد باطمئنان الواثق من ذاته انه اختص نفسه بشرف تنفيذ المهمة وحده ، فصرخوا وقد هبوا هبة رجل واحد :" مستحيل" كانت المهمة محفوفة بالاخطار ، ويتطلب الوصول الى الهدف القفز فوق حقول الغام متناثرة تجعل سلامة المغامر من المستحيلات .

هذا القائد استطاع ان يستحوذ على حب الرفاق واحترامهم ، رفعوه كرمز حي للثورة ، كثيرون قبله حصروا كل جهادهم في " بطولة" تلقي الضربات وابتكار المبررات للتراجع المستمر ، اما هو فقد رسخ عقيدة الثبات حتى الموت ، ولا يسمح بأي تراجع ابدا ، ويؤمن بالهجوم كخير وسيلة للدفاع ، ومن هنا كان اتخاذه ذلك القرار الخطير ..

لفهم الذهول واعترتهم الحيرة .. بعضهم صرخ :" ان الخطر الذي يصيب القائد ينعكس على الثورة ، والمحافظة على حياته ، أحسن ضمان لاستمرار الثورة ، وعليه يجب الحيلولة بينه وبين القيام بهذه المهمة ". وضحك رفيق منهم وهو يؤكد ان القائد لا يتراجع عن قراره ابدا . وهنا عقد الرفاق النية على افتداء قائدهم ، وشرع الواحد تلو الاخر ينهض بكل طول قامته ، ويرفع كل اصابعه معلنا تطوعه لتنفيذ المهمة ... وكانوا يتبارون في سرد الاسباب التي تخول كل واحد منهم حق الانفراد بهذا الواجب المقدس : فهذا اعزب ، وذلك يقول انه يعرف المنطقة بالشبر ، وثالث يدعي انه يتقن لغتهم ويستطيع الاختفاء بينهم ، لكن الكلمات كانت تنزلق عن اذني القائد كأنها لا تعنيه ، وكان يحسم الموقف بجملته المعروفة :" هذا امر عسكري ".

احس الرفاق ان الامر يفلت من بين ايديهم ، وانه لا قوة تستطيع زحزحة القائد عن

Digitized by Birzeit University Library

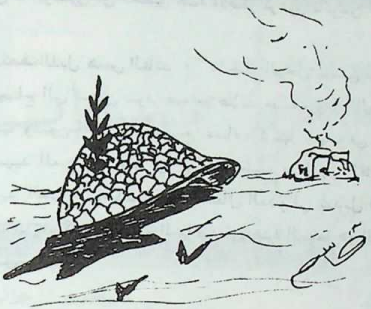

عزمه ، فصمموا على تخليد ذكراه قبل استشهاده وكان في الموقع جريدة يومية يحررها المقاتلون ،ولدى تأسيسها كانت نصيحة القائد الا يكون اسم او صورة فيها حتى لا يغطي على اسم الثورة وصورة الفداء ويؤكد القائد ان ذكر الاسماء ونشر الصور ، يصبح مع التكرار هدفا يتقدم على الهدف الرئيسي ، بل يساعد على نسيانه كليا ، وكان يشجب صبغ الجدران بالشعارات ويرفض الفكرة من اصلها ويقول انها تولد احساسا بالتعويض عن الهدف ، وهذا الاحساس يتحول مع الوقت الى رضى بالواقع ورضوخ تام له ، ويقول ان الجدار الاسير لا يحمل اى اسم قبل التحريـــــــــر .

وهكذا ظلت الصحيفة بكر عذراء تلك الليلة عندما احس الرفاق ان مخاطرة القائد تفرض عليهم تمجيده وتخليده فصدر عدد الجريدة يحمل رسمه في كل عمود ، واسمه في كل سطر كأنهم يؤبنونه قبل استشهاده ، كما ظهرت الشعارات بكل الالوان تتغنى ببطولته ، فعلوا ذلك وهم يعلمون انهم يخالفون امر قائدهم . ولكن شبح الموت والاشفاق على من تحب يحررانك من كل قيـــد .

ومع الخيط الاول للفجر الجديد قفز القائد من فراشه ، والعصا في يد ، والخارطة في الاخرى ، وفتح الباب ، واذ بمساعده يناوله نسخة من جريدة الميدان ، فيجمد الدم في عروقه ويمزقها اربا اربا ، ويطلب الى اركانه جمع كل الاعداد وتمزيقها . اقسموا له انهم سيفعلون ذلك وسيتأكد بنفسه بعد عودته من المهمة ، لكن القائد ، اصر على موقفه مبينا انه لا يمكن انقاذ الاسم الكبير ما دام هنالك اسماء صغيرة الى جانبه . واقسم الا يتحرك حتى تباد كل الاعـــداد .

وفعلا تم ذلك ، ولما اطمأن الى تلفها جميعا ومع اول خطوة الى الهدف ، استرعت انتباهه الالوان الزاهية العالقة بكل الجدران تحمل عبارات شبه تأليهية له ، فتسمر في مكانه والخجل يحشره حشرا ، وصرخ " لن اتحرك قبل ان تطمس كل الشعارات ، " وشرب الارض بقدمه كأنه يحاول ان يحفر قبرا يدفن فيه كل الغضب الملتهب في صدره .

Digitized by Birzeit University Library

قال القائد ." ان نجاح العملية التي ساقوم بها مؤكد ، لكن اهم من كل انتصار خلق المناضل الاصيل الذى يرتفع فوق الاسماء الزائلة ، ويؤمن بوحدانية الهدف ، هدف لا شريك له ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفؤ احد ...

واستطرد القائد يعلم رجاله :" ان نشر الصور والاسماء يؤدى الى القناعة بوجود التعويض والاحساس بالاكتفاء بانتصارات وهمية تخلقها معركة الشعارات وهذا كفر، ويجب على المناضل الشريف ان يحاربه .. قال هذا وانقض على الجدران يمحو الشعارات بكلتا يديه كأنه " دون كيشوت" في هجومه على طواحين الهواء .

قال مساعده وهو يهدئ من روعه :" اهتم انت بالعملية ونحن نتعهد بمحو كل الشعارات" واحس القائد بأن افعى تلدغه وهو يسمع ذلك فصرخ ." انا ادافع عن مبدأ والمبادئ لا توضع في كفة الميزان ، انا اعبد الثورة ، ولا اشرك فيها احدا حتي نفسي .

وفي اليوم التالي احتفل الموقع بانتصارين كبيرين ، اذ عاد القائد بعد تنفيذ المهمة بنجاح ، وتعالت السنة الدخان من الموقع تصل عنان السماء ، وصدرت الجريدة بلا شعارات عبودية ، كما بدت الجدران نظيفة بيضاء كالثلج .

قال القائد في تثمين الانتصارين :" انا اعطي واحدا في المئة لتدمير موقع الاعداء ، وكل الباقي لنجاحنا في تنظيف الثورة من ادران الجاهلية .

Digitized by Birzeit University Library

شهداء

ماجد ابو غوش

(ترانيم على انغام (اوكورديون) الشهيد عبد الفتاح تولستان)

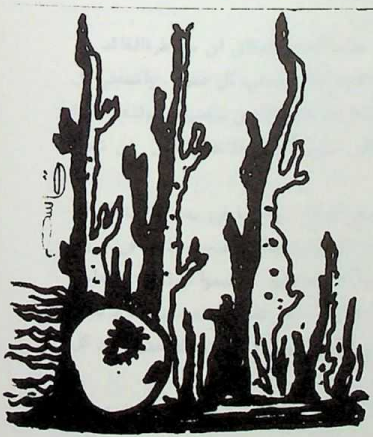

ليالي القيد
حالكة حزينة
وسيفي مصادر
واسمي مصادر
وخلف شباكي
تغفو احلى مدينة
وقلبي
تحركه ذكرى صغيره
تشدني اليك
واعلم اني عاشق
والعشق اقوى
من كل التصاريح

xxxxxxxxxx

تمتد بيني
وبين الطلقة
وتنادى :
اشرب نخب صحبتنا

Digitized by Birzeit University Library

اشـرب نخـب الجـداول
اشـرب نخـب المعـاول
انثـركأسـا علـى تـراب قبـرى
ولا تنسـى دمـي
ولا تنسـى دمـي

xxxxxxxxxxxx

اشـرب والرفـاق
وكأسـك وحدهـا لا ترتفـع
وأقـول غـدا يأتـي
وتصـدح باسمـة الطيـور
غـدا يأتـي
وتنـداح الغيـوم
غـدا يأتـي
وتنهـدم السجـون

xxxxxxxxxx

قالـت لـي الارض
انـي ابنهـا
مـا دمـت اصـل الرحـم
بالمحـراث والمنجـل
لهـذا تراني شامخـا
بانتظـار الغـد الاجمـل
ومهمـا احلولـك الليـل
انـا بـاق
هنـا بـاق
ولـن ارحـل !

xxxxxxxxx

وتجيء قافلـة الشهـداء
غابـة مـن القرنفـل
مـن تولستـان
الـى حنـا مقبـل
يأتـون
مـن وتـر مقطـوع
ومـن قلـم مكسـور
ومـن قلـب عاشـق
نسفتـه رصاصـة
صبـاح الخيـر
يـا أجمـل الخيـول
صبـاح الخيـر
يـا قـرع الطبـول !

Digitized by Birzeit University Library

ماذا ان جبنا قاعات الالعاب ؟
وحملنا الدمية ثم عدونا في ظل الابواب
ماذا ان سافرنا مع اوّ ولى السحب ؟
وصعدنا للشمس الكبرى ،
وذهبنا للكون الترب
وأزلنا النفع بمكنسة او بالحرب
لانملك الا الاغلال وايد عارية
ماذا سيضيع ؟
نتنفس من شجر الزيتون
وناكل من صخر الجرمق
ونبيت في اعشاش غراب يزعج من ينعق
ونصادق انسانا . انسانا لم يخلق
ونعلم صيدا من اسد ضارى
ونحيد الصيد من الاسد الضارى
ماذا ان متنا ؟ ماذا ان عشنا
لا يوجد فرق بين الموت وبين العيش القتّال الحالي
اصحو من سكرتكم
قوموا من غفوتكم
ماذا سيضيع ؟
لا نملك الا القيد وايد عارية ماذا سيضيع ؟!

Digitized by Birzeit University Library

ساعيد بني وطني من شر الوسواس الخنّاس
ليقوموا من اجل الله الرحمن وأجل خيار الناس
حتى يبدو لعيونهم حقد الشيطان
وحزن الله الله على عقل قد مات
وقلب ماتت فيه ملايين الكلمات .
قوموا من غفلتكم
قوموا من سكرتكم ـ قوموا من غفوتكم
لا تملك الا القيد وأيد عارية
فماذا سيضيع ؟! .

Digitized by Birzeit University Library

في أشعار فوزي البكري

بقلم : موسى علوش

فوزى البكرى هو شاعر من شعراء الفقر والتمرد . صدرت له مجموعة شعرية بعنوان "صعلوك من القدس القديمة" عن "مؤسسة الصوت للنشر" وهي جمعية لتعميق الوعي الفلسطيني كما هو مذكور على غلاف المجموعة الشعريـــــــة .

وحين يسمي فوزى البكرى نفسه صعلوكا ، هل يكون صادقا مع نفسه ومع الفقراء ؟! ان الصعلكة بمعناها القديم كانت تعني تمرد الفقراء المحرومين وثورتهم على المتسلطين والاغارة على الاهداف باستمرار وتحصيل لقمة العيش بالمخاطرة . اما الصعلكة في الوقت الحاضر اذا كان لها وجود فهي لاتتعدى الاستكانة بالاضافة الى الفقر والحاجة ، فكلمة صعلوك تكفي لان تجعل الموصوف ليس من الاهمية في شيء .

وطبيعي ان فوزى البكرى اختار المعنى الاول متخطيا جميع احتمالات الفهم الخاطئ وبالرغم من الفارق الزمني الشاسع . ولكن من يعرف عن فوزى البكرى يعرف انه من طبقة فقراء القدس القديمة الرافضين للظلم الطبقي .

وهذه هي الصفة الاساسية التي اتسم بها الصعاليك في العصر الجاهلي غير انه يوجد فرق بين صعلوك يريد ان ينتصر طبقيا وآخر يهرب من واقعه بالخمرة والسكر وهذا هو الصراع الذى يعيشه فوزى البكرى فينعكس على فكره وشعره . فهو ذو الانتماء الفلسطيني الذى يقول :

انـا مـن فلسطيـن دمـي وحفيظتـي
وهويتـي وعقيدتـي والبيـــرق

وهو صاحب الاصرار والحكمة والامل صاحب القضية الذى يدافع عن الفقر والفقراء يقول :

انا لست يضعفني الزمان وانما للنجم في الليل البهيم تألق
انـي اذا اشتـد الزمـان بظلمه نصبت من صبرى شموسا تشرق

Digitized by Birzeit University Library

وهو الذى يقول من قصيدة بعنوان "امل"

لا ابالي ايها الليل فما ... كلت الروح ولا العزم ونى
لم اعد املك شيئا قيما ... غير نفسي حرة تأبى الخنا

وهو ايضا الذى يطلب من الظمآن ان لا يفقد الامل :

ايها الظمآن في الدرب استمر ... ان ينبوعا وراء المنحنى

وكثيرة هي ابيات الحكمة في شعر فوزى البكرى اوردها في عدة قصائد على صفحات ديوانه الشعرى : يقول من قصيدة " في اذن مغرورة ".

هل تحسبين الكبرياء رجولة ... ان التواضع في الكريم تفوق
ليس الجمال مناظرا ومظاهرا ... ان الجمال تفهم وتذوق

ويقول ايضا :

ان الذكاء اذا استقام فضيلة ... والحب والايمان افضل زاد
والمبدأ السامي شعاع مشرف ... للنفس يهديها ونعم الهادى

ويوجه فوزى البكرى اشاره الى فقراء الارض المحتلة يدعوهم الى التمرد على الواقع الصعب الذى يعيشونه يقول من قصيدة " صعلوك من القدس القديمة " :

يا فقراء الارض المحتلة
تعالوا نتمرد
ما عدنا نملك شيئا
فعلام نخاف
لا فرش يحضننا في الليل
ولا يدفئنا في البرد لحاف
والخبز اذا صالحنا نبلعه حاف
وهنا وهناك المتخم والمنعم ذو الارداف
فلنحطمهم وندمرهم
هذا زمن الثورة
يا ابناء الارض المجروحة
والثورة ناموس لا يؤمن بالالحاف

ويتحدث الشاعر عن نفسه وعن مبررات الوضع الاقتصادى الذى يعيشه فيقول من قصيدة "في رحم الليالي " :

لاني لم اطع للدهر امرا ... ولم احسب لعاقبة حسابا
ولم اطلب من الافاك عونا ... ولم اطرق على المغرور بابا

ويذكر الشاعر " اركان دينه" الخمسة في مقدمة مجموعته الشعرية فيقول :

آمنت بالشعب العظيم وبالهوى
والخمر والاوطان والاصفاد
اركان ديني خمسة معقولة

Digitized by Birzeit University Library

فبأى حق تدعي الحادى ؟

فالخمر احد اركان دينه يؤمن به كما يؤمن بالوطن وبالشعب وبالقيد . وهو يكتب عن الخمرة كثيرا يقول :

اشرب فانك بالمدامة بالغ ما قال روح الله في الاصحاح

ويقول ايضا :

حي الخمور وبجل الكونياك فبغير ذلك لن تغيظ عداك
ان انت لم تلعن تعيس كؤوسها لعنت همومك والحياة اباك

فالخمرة كفيلة بأن تجعله ينسى واقعه الاليم :

كنا طفارى والكؤوس كفيلة ان تجعل الطفران ينسى ما نسي
لا عاش قرش والخمور دفينة خلف الزجاج وقد عقدنا المجلسا

ويبدو ان الخمرة قد جعلت الشاعر يعيش التناقض في فكره وحياته . فالشاعر الذى يتبنى قضية الدفاع عن الفقراء ... الذى يبتكر الحكمة ويثور على الظلم نجده يعتزل عناده ويختار في ما هو فيه يقول :

عاتبت قلبي واتهمت فؤادى وجفوت حزمي واعتزلت عنادى
وسبرت اغوارى بعيني حائر فرأيت ابعادا بلا ابعاد

ويذهب الشاعر الى ابعد من ذلك فينزلق في اليأس ويقرر ان يظل مع الماجنين فينسى ثورته وتمرده على الظلم . يقول من قصيدة "المازة ... ترمس "

يا دهر ما شئت واغدر مدبرا
اني اراك على الطبائع موسما
لا خير فيك ولا لعهدك ذمة
حتى قتلت " لعل " فينا او " عسى
سيان جئت علي يوما مقبلا
او جئت ترمني بحال انحسا
فلسوف اقضي الحالتين على الهوى
متعلكا في الماجنين ومفلسا

ويقول خليل السواحرى في كتابه " زمن الاحتلال " :

اما فوزى البكرى فان القصائد القليلة التي نشرها في مجلة البيادر تشير الى شخصية متميزه ، وصوت يبشر بمستقبل شعرى حافل ، وليس يقلل من قيمة قصائده النبرة النوابية (نسبة الى مظفر النواب) التي تتسلل الى بعضها .

ونقول انه بالاضافة الى النبره النوابية في شعر فوزى البكرى نجد بعض المحاولات لمحاكاة نزار قباني ، نلاحظ ذلك في قصيدة " حين يرتفع صوت العهر " :-

رويدك تاجر الشهوات
لا تعتز . ولا تفخر
ولا تغتر بالاقبال

Digitized by Birzeit University Library

بالارباح ... بالارقام .. لا تغتر
فهذا السوق مفتوح
لكل بضاعة متجر

ويحاول البكرى محاكاة سينية شوقي وسينية البحترى ولكن لا يستطيع الابداع يقول :

عادة الدهر ان يحيء بحس ... ابن مجدى وابن خالد امس

ويقارن الشاعر نفسه بشوقي والبحترى ويقول ان الفرق بينه وبينهما انه تحدث عن الحاضر بينما هما تحدثا عن العصور الغوابر يقول :

وأراني بواقعي لي اعتبار ... ويومي لا بالغوابر درسي
وطني كنت مهبط الوحي يوما ... مالك اليوم صرت مهبط رجسي

ويكتب فوزى البكرى قصائده على النمط الكلاسيكي وعلى النمط الحديث وتراه في بعض الاحيان يجدد في الكتابة على النمط الحديث فيكتب القصيدة معتمدا على عدة تفعيلات في القصيدة اى ان كل فقرة من القصيدة تتبع تفعيلة مختلفة وموسيقى مختلفة ، ويظهر ذلك جليا في قصيدة " باقة ورد .. على قبر فرعون " فالجزء الاول من القصيدة على تفعيلة "فعولن" والجزء الثاني على تفعيلة " فعلن " والجزء الثالث على تفعيلة "متفاعلن" ثم يعود ليكمل القصيدة على تفعيلة فعولن وهكذا ..... وفي هذا خروج على المألوف في الشعر الحديث والخروج على المألوف في اشعار فوزى البكرى مألوف جدا في الالفاظ حيث ان الشاعر يستعمل بعض الالفاظ العامية غير اللائقة ادبيا . كما انه يخرج عن المألوف في الكتابة عن الخمرة وفي معالجته لموضوع الدين والدنيا .

وفي ختام الحديث عن فوزى البكرى وأشعاره لا نجد بدا من التنويه الى شاعرية الشاعر وغزارة انتاجه بالرغم من جميع الملاحظات السابقة ونرجو له مزيدا من العطاء .

Digitized by Birzeit University Library

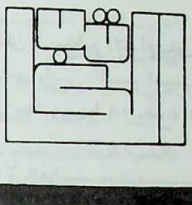

نريد نقدًا علميًا

بقلم : جميل السلحوت

في العدد الثامن والاربعين من الفجر الادبي كتب السيد راتب عبيدات موضوعا بعنوان "مضامين السلحوت الاجتماعية" . ومع تأكيدي اننا بحاجة الى نقد يجلد ولا يرحم لكي نرتفع بكتاباتنا ونستطيع الارتفاع بأسس بناء الحركة الادبية في الاراضي المحتلة. الا ان الذي دفعني للرد على ما كتبه الاخ راتب امران : ـ اولهما : رغبة العديد من الزملاء الذين رأوا في ما كتبه راتب مجافاة للعلمية وابتعادا عن محتويات الكتاب .

وثانيهما : المزاعم التي ادعاها الاخ راتب في كتابي وأخذ يناقشها وكأنها موجودة فعلا .

في بداية ردي على الاخ راتب أشير ان كافة الحكايات التي تضمنها الكتاب نشرت في الصفحة الادبية لجريدة الفجر المقدسية قبل أن يكون لها ملحقا ادبيا وقد اشاد بها محرر الصفحة الادبية للفجر الزميل على الخليلي انذاك من خلال ما نشره لـ " وائل هيثم " عندما كان يكتب عما ينشر في الصفحة الادبية للفجر . كما اعيد نشرها كاملة في الخارج على صفحات اكثر من مجلة مع تقديم للامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين السيد يحيي يخلف وكتب عنها أكثر من ناقد وأشادوا بهـــــا .

والان دعونا نناقش بهدوء ما كتبه الاخ راتب عبيـــدات :ـ

يضع صاحبنا مقدمة لما كتبه عن الموقف من التراث ويتبنى في ذلك الموقف العلمي الماركسي منه، ولا اعلم ما المبرر أو العلاقة لهذه المقدمة مع الكاتب ، فهل يريد ان يقول للقراء بأنه يفهم التراث من منطلقات ماركسية ؟! فاذا اراد ذلك فهو يقع في فخ نصبه لنفسه لانه لم يستطع تطبيق بعض الاستشهادات التي اوردهـــــا !

يقول السيد راتب " خرج الكاتب علينا ليقول أن كل حكاياته الشعبية ايجابية وتحتوى على مضامين اجتماعية ديمقراطية تستحق الابراز والاهتمام والتطوير في حين لم يكن هناك ولا سلبية واحـدة، ويتابع السيد راتب" وكأن الكاتب يريد ان يقول أن لا شيء سلبيا في

Digitized by Birzeit University Library

تراثنا او حكايتنا الشعبية كل ما هناك ايجاب في ايجـــاب ".

وأنا بدوري أسأل راتب عبيدات بقولي أين وجدت قولي هذا فالكتاب في الاسواق وبين يدى القراء وقد اعدت قراءته اكثر من مرة لاجد ما الصقه بي راتب ولسوء حظه انني لم أجده لانه غير موجود اصلا.وموقفي من التراث واضح ونشر في عدد الكاتب ٣٦ – ٣٧ تحت عنوان "الموقف العقلاني من التراث " وأنا أدعو جهارا نهارا الى جمع كافة جوانب تراثنا العملية منه والقولية ، ايجابه وسلبه لان تراثنا مهدد بالضياع نتيجة للهجمة الصهيونية الشرسة التي شنت شعبنا في مختلف ارجاء العالم ،وأنا ارى ان الموقف العقلاني من التراث هو الموقف الانتقائي والمقصود بالانتقائي هو ليس اختيار الايجابي منه كما يفهم السيد راتب عبيدات ، بل المقصود ان نختار ما يخدم قضايانا الراهنة،ايجابيا كان ام سلبيا،ولكي لا يلتبس الامر بشكل أكثر على راتب عبيدات أذكره بأن الاديب الكبير اميل حبيبي في رائعته "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل" اختار الشخصية السلبية في التراث وأبدع فيها ايّما ابـــــداع .

ويتابع السيد عبيدات "فالكاتب لم يبحث ولم يقم بالتحليل تحليل العمل التراثي" ويضيف "بأن الكاتب قد جافى العلمية حينما اطلق على عمله هذا بحثا علميا في التراث ، ويزيد "وللحقيقة أن ما قام به الشيخ السلحوت ليس بالبحث العلمي الاجتماعي رغم دعواه بذلك" أما عن المنهج الذى استعملته فيقول السيد راتب " هذا ما يقوله الكاتب وتأكيده بأنه استخدم المنهج المادى التاريخي في دراستـــه"

عجيب أمر راتب والاعجب منه علميته فكيف يكون "ناقدا" ؟ وكيف يكون "علميا"؟ عندما يأتي بأشياء من عنده ويلصقها بالكاتب؟أما قوله بأنني لم ابحث فأنا اسأله بدوري من أين جئت بالحكايات ان لم أبحث؟ومن أين خرجت بالنتائج ان لم أحلل ؟ أما قوله بأنني جافيت العلمية. حينما اطلقت بحثا علميا اجتماعيا على عملي آنف الذكر ، في الواقع انني اطلقت على عملي بحثا ميدانيا في التراث .ويضيف راتب " هذا ما يقوله الكاتب وتأكيده بأنه استخدم المنهج المادى التاريخي في دراسته" والصحيح ان ما جاء في الكتاب في الصفحة السادسة" اعتمدت على المنهج الاجتماعي في دراستي للحكاية الشعبية" فهل وصل السيد راتب الى مرحلة علمية عالية حتى لم يعد يعرف الفارق بين المنهجين الاجتماعي والتاريخي في دراسة التـــراث .

وعندما يستشهد راتب بكلمات للينين بقوله " كم هي عظيمة كلمات لينين حينما قال : "التحليل الملموس للوضع الملموس " ظننت انه يريد أن يوضح لي وللقراء امرا غاب عنّا لكن شكوكي زالت عندما اوضح لنا ماذا يريد بهذا الاستشهاد حينما قال مخاطبا اياى " لقد قمت بمحاكمة احداث واعمال خارج اطار الزمان والمكان وخارج اطار اللحظة التاريخية الراهنة فكيف تكـون المحاكمـــــة "؟

وأنا بدوري أذكر الاخ راتب عبيدات بأنني لم احاكم الاحداث والاعمال خارج اطار زمانها ومكانها فأنا أخذت حكايات شعبية رويت من سالف الازمان واستنبطت منها بعض القيم الاخلاقية التي تخدم مرحلتنا الراهنة وأنا حللت تحليلا "ملموسا" لوضع "محسوس"

Digitized by Birzeit University Library

واستشهاد راتب جاء شاهدا عليه لا لـــــه .

وبعد ذلك يخرج علينا راتب باستنتاجات أنا وكتابي منها براء كبراءة الذئب من دم يوسف ، فيقول : بأن الحكايات عززت القدرية ... وجاءت لتدعيم الاتكالية" فمع ان ما أورده راتب ليس موجودا في الحكايات الا انني استشف منه هو أنه لا يعتبر الدين جزءا من التراث ولا أعلم بهذا مع أيّ مذهب فكري يقف؟ فاذا ما ادعى ان موقفه ماركسي فلا اظن ان ماركسيته اكثر من ماركسية المفكر الكبير حسين مروة الذى يقول في كتابه الموقف الثورى من الادب تحت باب الموقف من التراث في الدين والفلسفة ص ٩٣ " وبناء على هذا المفهوم يرى في التراث الثقافي أنه بنيان متكامل من أشكال متنوعه لهذا الوعي تتجلى في النظرات الجمالية والفلسفية والدينية والحقوقية والسياسية لمجتمع معيـــن "

والاستنتاج الاخر للاخ راتب هو ان الحكايات اعتمدت على" تزوير الواقع الاجتماعي السائد مبعدة انظار الطبقات الكادحة عن الواقع السائد، أى واقع يتحدث عنه راتب عبيدات وأيّ إبعاد لأنظار الطبقات الكادحة عن الواقع السائد وأول حكاية تضمنها الكتاب هي عن الحريـــــة .

ويستنتج ايضا بأن الحكايات تدعو الى طمس اسس الصراع الطبقي فمع ان الحكايات ليست كذلك فانا اوردرأيي في هذا المجال للسيد راتب عبيدات والمدون في كتابي "شيء من الصراع الطبقي في الحكاية الفلسطينية" ص ١٢" ولو أن أصحاب النظرة الفردية للاداب الشعبية ومن ضمنها الحكاية او الذين يرفضون الفهم الطبقي لها محقون في نظرتهم هذه لأمكن ان نرد الادب الشعبي الى مرحلة المشاعية البدائية في حياة الانسان حيث لم تكن هناك طبقات وهذا ما لا يمكن تصوره اذ ان الحكاية الشعبية انتاج اجيال وعصور عديدة "

ويستنتج ايضا ان الحكايات تعتمد على تصوير العلاقات الاجتماعية ... واظهار أن الانتماء ابدا لا يكون للشعب او الارض " وأنا فقط ادعو راتب عبيدات لقراءة حلقة واحدة من الكتاب وهي " الطمع " ص ٦٩ ليكتشف زيف استنتاجه فمما جاء في الحكاية " وبينما هو يسير في احدى القرى مرّ بفلاح يحرث ارضه فوقف بجانبه وأخذ ينظر اليه ، وفي هذه الاثناء أخرج المحراث جرة ذهـب من باطـن الارض "

أما زعمه بأن الحكايات عمدت الى " الدفاع عن الملوك وكيل المديح لهم " فأنا اسأل راتب أين قرأ هذا ؟ في "مضامين اجتماعية" لا يوجد وفي "شيء من الصراع الطبقي" يوجد سبع حكايات عن فساد الحكام ، وسنرى حكايات تتعرض الى الحاكم نفسه والى زوجته ، أولاده ، بناته ، امه ، وأخواته ، تطرح أمامنا نزواتهم وفسادهم ، غرورهم . بطشهم ، بذخهم ، ترفهم حتى انها نفذت الى حياتهم الخاصة التي يحيونها على اكتاف المسحوقين ، انها في اطار نظرتها الشمولية لفساد السلطة ، تدعو الجماهير للوقوف مباشرة امام مشاكلهم اليومية ، في سبيل تحريضهم على الثورة في وجه السلطة الفاســـده .

أما قوله بأن الحكايات عمدت الى تأكيد الفردية والأنا فكل الحكايات الشعبية عند مختلف الشعوب هي حكايات فردية واذا تقمص الكاتب شخصية بطل اعماله فانه يعتبر ابداعا فنيا لا يستطيعـــه كثيـــــرون !

Digitized by Birzeit University Library

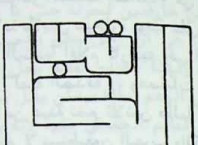

راس روس

بقلم : حسين جميل البرغوثي

مره دهبت الى مستشفى للامراض العصبية في الولايات المتحدة وشعرت بالحاجةلدانتي جديد حتي يصف حلقة جديدة من حلقات الجحيم المتجسد في ذلك المبنى والممرات المفروشة بالسجاد الاحمر . امرأة تجلس القرفصاء على طاولة صغيرة، محلوقة الرأس تماما، وعلىوجههاحبات من "النمش" الاحمر على جلد شفاف ، كانت نحيفة جدا وترتعش وآثار تدل على انها مرت عدة مرات بعمليات فتح الجمجمة واللعب بماكنة الدماغ .سألت عنها قالوا مصابة بمرض الاكتئاب . عندما تحزن تقطع شرايين يدها وعندما تفرح تقطع ايضا شرايين يدها . هذاالعالم المتطرف من المرض والشذوذ والرؤوس المحلوقة والدوامات النفسية القلقة هو العالم الذى استحضر منه عادل الترتير فكرة مسرحيته "راس روس" .

الزمان مختلف والمكان مختلف ولكن الدمار الروحي واحد . هذا الدمار صدرته لنا الرأسمالية من جملة ما تصدره من ازمات الى الضفة الغربية. فمنذ سنة ١٩٦٧ في الضفة صار الوضع لا معقولا وشاذا الىحد نحتاج فيه الى ادب لا معقول وشاذ حتى يعبر عنه . خطط هنا ما شئت بعقلانية ومنطق ولكن نحتاج لعبقرية اينشتاين حتى تخطط لاكثر من سنة ، لان ملايين المتغيرات صارت تستطيع ان "تطير" كل خططك !.فالازمة الاقتصادية الخانقة ومصادرات الاراضي وتدمير الزراعة وانعدام التأمين على كل شيء ، واجهزة الامن المسلحة حتى النخاع والبطالة عن العمل والغلاء ، ومئات الظواهر الاخرى كتصاعد اليمين الفاشي منذ سنة ١٩٧٧ على الاخص ولكن قبلها ايضا ، والسوق الذى حول كل شيء الى بضاعة وصار بيع النفس والضمير ايضا من جملة المعروضات اليومية ،كل شيء في هذه الرأسمالية باختصار لا يترك مجالا للتخطيط والعقل والمنطق في الحياة . لعبة الصدفة العمياء تصبح المقرر الاول والاخير: خططك وافعالك انت تبدو بالنسبة للبقية صدفة وافعالهم وخططهم بالنسبة لك صدفة، قد

Digitized by Birzeit University Library

يطلقون النار وتموت صدفة ايضا . هنا يصبح القلق والتهجم وانسداد الافاق المستقبلية والخوف والشك والحذر والتوقع المستمر والاحباط من الظواهر النفسية الدائمة. في الضفة الغربية نسبة التدخين ربما من اعلى النسب العالمية : ثلاثة ملايين سيجارة يوميا على الاقل كما جاء في بحث عبد الكريم سمارة عن الموضوع . في السينما افلام كاراتيه وفي القدس وغيرها مخدرات و"بانصيب" اسرائيلي يربح ويعيش من "لعبة الصدفة" ، وعصابات اطفال وسرقات مسلحة وروابط قرى وكهانا ، وحوالي (٨٥) بالمائة من عينة تضم ثلاثين طالبا وطالبة في جامعة بيرزيت يحلمون باطلاق الرصاص عليهم وبأنهم لا يستطيعون الهرب والكوابيس كل ليلة ، والخوف من المرض كالسرطان وتسوس الاسنان والجلطة ..الخ يأخذ ابعادا مخيفة اكدها لي الكثير من الاطباء .وهكذا يصبح الصدام بين الانسان ووجوده الاجتماعي اى بينه وبين هذا العالم البضائعي الرأسمالي المتأزم صداما شاملا. دخل الاغتراب حتى للبيوت : التلفزيون والراديو والفيديو لم تترك حتى زاوية صغيرة في البيت يرتاح فيها الانسان قليلا. لم يعد من الممكن الهرب فحتى قراءة الصحف كافية لاثارة الاعصاب ، والمقهى والبيت والكحول والتجول ليلا لم يعد مجديا . امام هذه الازمة "اختار" او بالاحرى اجبر" قطاع معين على الهرب الى الذاتية والاوهام والامراض النفسيـــــة .

بطل مسرحية "راس روس" لعادل الترتير هو من هذا القطاع بالتأكيد ، وهو في الحقيقة بطل بالمعنى المجازى فقط ولا اثر للبطولة فيه. انه الشخصية الوحيدة في المسرحية. واول ما يصدمنا هو "الوحدة" والانعزال والتقوقع في داخل عالمه الوهمي الخاص به . عالمه مجرد غرفة رطبة ،مهمله ،فيها قطع من الاسفنج ولا يسكنها الا هو فقط . عالمه الواقعي ، الحقيقي ، اى عالم الشارع ، انتهى كليا بالنسبة له ، لانه شاذ ولا معقول ومقطع . ولقد ادرك الفنان ماجد الزبيدي الذى صمم الديكور هذا الجانب في "راس روس" . فالديكور عبارة عن ايدى ورؤوس واصابع من الاسفنج معلقة في السماء المظلمة او متناثرة على ارضية الغرفة. من هذه القطع التي هي بقايا أشلاء انسانيته يقوم صاحبنا المريض بصنع عالمه الوهمي : مجموعة من الدمى بوجوه مطلية ، مريضة مشوهة ، ويحتفظ في نعش خاص بالهيكل العظمي لابيه الذى مات وتركه لوحدته وقلقه . والنعش مغلق على هذا الاب الذى لم يعد اكثر من وهم ايضا . وبقية الدمى نسخ مشوهه من شخصيات واقعية : مكنسة تلبس تنوره وتمثل حبيبته فتراقصه وتعطيه مجالا ليتخلص من كبته الجنسي بصورة وهمية ، لعبة متكرشة تمثل السلطة باوسع معانيها من المختار والجندى والمال والمؤسسات ورأس المال الى كل ما يقف على رؤوس اصابع صاحبنا بحذاء من حديد . ولعبة تمثل "ابو علي" وهو عامل طيب وبسيط ولا يجد الا "بسيطه ! الله يهوّنها" ولعبه تمثل والد بنت كان يرغب صاحبنا (وهو كناس) بالزواج منها ولكنها من الطبقة الراقية ، من فوق ، من الذين لا يمكن ان يزوجوا بناتهم لكناس ينظف اوساخهم لئلا تتعكر طهارة الدم فيهم ، ولئلا يفقدون ما هو اهم بكثير من الدم : امتيازاتهم وأخيرا لعبة من شعب "البسكويت" الذى يقضي الصيف في قبرص حتى يزداد حـــــلاوة.

المأساة هو انه اخترع هذه الدمى ليس لمجرد حب الاختراع بل ليصب عليهم نقمته وحقده فهو لم يعد يحتمل الاهانه والذل الطبقي الواقع عليه ، ولكن ميزان القوى الواقعي ضده وبالتالي يحتاج لميزان قوى وهمي بحيث يكون صاحبنا الكناس سيده وديكتاتوره

Digitized by Birzeit University Library

المطلق . في نفس الوقت يصنع صاحبنا دمية اخرى، انسانا جديدا بأذنين خارقتين لا تسمعان الا "الكلام الضرورى فقط" وليس كل ما هب ودب ، وبقلب كبير يحب الناس، وبعينين خارقتين لمعرفة حتى ما يدور وراء الكواليس والجدران المغلقة. ومهمة هذا الطفل الوهمي هي ان يحل محل صاحبنا الكناس في العالم الحقيقي. لم يعد لصاحبنا مكان في العالم ولهذا يحتاج لوهم يحل محله أو،وهذا نفس الشيء ،تحول هو الى وهم ويستطيع بالتالي الوهم ــ الدمية ان يحل محله . وهنا تتكشف ابعاد تراجيكوميديا هذا الفرد المنعزل يدخل العالم الحقيقي عليه لانه يرفض الخروج للعالم الحقيقي. في بداية المسرحية تدخل الشمس لتزيل رطوبة بيته ولكنه يرحب بها ولا ينتبه لاشارة الخطر هذه. في المرة الثانية، عندما يكتمل عالمه الوهمي كليا ، تأتي المظاهرات من بعيد، بعيد جدا ، ويرتفع الموج شيئا فشيئا : "علمنا جيفارا ومات:امريكا راس الحية" . ويتصاعد ضجيج الحقيقة حتى يغمره بيقين مأساوى واحد فقط : لا مجال للهرب بالوهم . ويصرخ صاحبنا في الوهم ــ الدمية ، الذى سيحل محله، ان يخرج للمشاركة بدلا منه في المظاهرة ،ان يخرج للنور ويغير العالم ، ولكنه بالطبع مجرد دميه وهميه من الاسفنج ."لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا لا تخرج " ويحطم صاحبنا وهمه وينهار هو ايضا معـــــه .

صاحبنا مريض لانه ثورى ولكنه ليس ثوريا لانه مريض. لقد اختار قطاع من المثقفين الانتهازية وبيع النفس والرقص على حبلين والذبذبة والشهرة ... الخالخ للخروج من المأزق ولو بفقدان احترامهم لانفسهم واحترام البقية لهم . لكن صاحبنا اختار او اجبر على المرض والوهم ،رغم انه نقيض للثورة ، وهذا خيار فيه صدق مع النفس على الاقل .

هذه المسرحية تجربة فريده فهي من تأليف وتمثيل واخراج عادل الترتير لوحده. وقدرته على القيام بكل العمل لوحده هي قدرة استثنائية ،وبالاخص انه شد انتباه الجمهور الذى تجاوز الالف لمدة تزيد عن الساعتين وهو يحاور مجموعة من الدمى مما يعتبر انجازا تمثيليا بالتأكيد ولكن نقطة الضعف المركزية هي عدم بلورة الشخصيات عبر الحوار بما يكفي من العمق الذى تسمح به فكرة المسرحية ، وهي فكرة فذة فعلا وفيها امكانيات هائلة . هكذا كان يبدو الحوار ككل عاجزا عن بلورة الشخصية ككل ، وبالتالي يفتقر الحوار للكثافة الدرامية الكافية. ولكن عمق الفكرة لم يسمح بالنزول عن المتوسط وحافظت المسرحية على مستوى وسطي معين لم تحققه مسرحيات اخرى . رغم هذا تبقي "راس روس" اول محاولة من نوعها في تاريخ مسرح الضفة الغربية ، وكل من سيهتم بالارتقاء المسرحي لا يمكنه ان يمر عنها بدون الاستفادة من تجربتهـــــا .

واخيرا ، بعد مدة من عرض المسرحية ، استيقظت في الصباح على غناء بنت صغيرة تغني ما كان يغنيه الترتير لمكنسته . لقد احبه الاطفـال وهـذا يكفـــي ٠١

Digitized by Birzeit University Library

يكتبها : محمد البطراوي

● كلمة اولية

يتساءل بعض الاصدقاء عن اسباب تأخير نشر انتاجهم او الرد على ما ارسلوه من تساؤلات .. اننا في " الكاتب " معنيون بكل رسالة تصل الينا ، ومعنيون اساسا في نشر كل المواد التي تصلنا او الرد عليها .. ولكننا محكومون لبعض الظروف الخارجة عن ارادتنا .. فأى مادة تصلنا بعد تاريخ العاشر من كل شهر لا يمكن ان تظهر في العدد التالي مباشرة لذلك التاريخ ، ذلك ان المادة يجب ان تقرأ وأن تراجع وأن تطبع وأن تعرض على رقابة المطبوعات حسب القوانين وأن تعاد طباعتها على آلة الصف في شكلها النهائي وأن تصحح اخطاؤها وأن يخطط عنوانها وأن ترسل للمطبعة لعمل الالواح الزنكية وأن تطبع ، وتجلد المجلة وترزم وترسل الى اماكن توزيعها قبل الاول من الشهر التالي ... نقول كل هذه التفاصيل ليعلم القارئ اهمية قضية الوقت بالنسبة للمادة المرسلة ، وحتى لا يعتب احـــــد .

● تكتب لنا الصديقـة فاطمة أحمد قائلة انها انتظرت طويلا ردا من الفنان فتحي غبن حول قصيدتها المرسلة اليه ، وتقول "يبدو أن القصيدة لم تعجبه" والحقيقة أن الفنان فتحي غبن لم يتمكن طيلة هذه المدة من الاطلاع على القصيدة ولم نتمكن نحن في الكاتب من ارسالها له ، لانه امضى الفترة الماضية في السجن كما تعرف الاخت فاطمة ، ولم يخرج منه الا مؤخرا . نأمل ان نتمكن من ارسال القصيدة اليه قريبا ونحن واثقون أن فتحي سيكون سعيدا بالقصيدة وسعيدا باهتمام الاخت فاطمـة بأعمالـــــه .

● ويكتب لنا احد الاصدقاء من غزة كلمة بعنوان "كلمات الى الوطن" قائلا فيها .

" لست نبيا أقاوم فعل الشيطان ونرجسة الانسان في هذا الركب الحياتي الكبير ، أو أتنبأ بسلسلة الزلازل والكوارث الحادثة بمغارب الارض ومشارقها " ثم يخلص الى القول : " لاني بشر عادى جدا اكره الارتماء في احضان الناحبين شباك الموت البطيء ..

Digitized by Birzeit University Library

. أدعو الولاء لكل جذور الارض المحترمة الطائلة الرامية بكل حملها على اكتاف صليبة الـــخ .

كلام جميل للغاية ، ولكنه كثير التعميم كثير الاعتماد على نمنمة الكلمة . وهذا الكلام الجميل المنمنم نخاله هو الهدف الذى جعل الكاتب يمسك بأناملة "قلما يتواضع في رصف الكلمات المنحدثة بلسان الشمس والقمر والفجر والبحر وأشياء الحياة كلهـــا . . ."

لا يطالبك احد بأن تكون نبيا يقاوم دجل الشيطان او متنبئا بالزلازل ، فالمقاومة يوجهها الثوار في سبيل تغيير كل السلبيات والاخطاء التي كتبت عنها ، والتنبؤ يكون بمعرفة التاريخ وفهم دور الطبقات في صنع المستقبل . أما التنبؤ بالزلازل فمتروك أمره للاجهزة والمراصـــد .

نحن نعلم أن الصديق بما وُهب من قدرة على الكتابة قادر كذلك على الرؤيـــة التاريخية الصحيحة ، وقادر بالتالي على تطويع قلمه للكتابة الواضحة التي تعتمد على الحقائق وترتيبها لا على الكلمـة ونمنمتهـــا فقـــــط .

● ويكتب لنا الصديق عماد نظمي شاكر : عن مقابلة اجراها مع مخرج فرقة الساحـــل المسرحية بطولكرم المخرج حسام الدين هنطـــش .

واللقاء طويل ، يحكي فكرة تأسيس الفرقة وطموحاتها ويعرف بأفرادها ، ويتناول اللقاء تقييما للمسرح الفلسطيني في الضفة الغربية ، ونحن ، وان كنا لا نتفق مع الكثير من الاراء الواردة في اللقاء الا اننا نشد على ايدى افراد الفرقة مؤيدين اهتمامهم بالمسرح كاداة هامة من أدوات الثقافة الجماهيرية ، ونتمنى معهم أن نرى اعمالهم في سائر انحاء الضفة الغربيـــــة .

وتحية لفرقة الساحل المسرحية بطولكرم

● "الجورة قبل الجار" قصة قصيرة اراد بها صاحبها ان يهزل في وقت نحن في امسّ الحاجة فيه الى الجدّ ، وقد كان من الاجدر به ان يكتبها كمشهد كوميدى ساذج يصلح للضحك الساذج كذلك ، ولا ندرى سبب تلك المقدمة التعريفية بشخصية بطل القصة الذى كان راعيا يرمي الحجر الى مسافة ابعد من المسافة التي اعتادها الاخرون . ولا ندرى ما صلة التعريف به كرجل ذكي يمارس الطب الشعبي "لله" بدون أجر ، ثم وصفه بأنه "عقدة" للدلالة على متانة تركيبه الجسماني . الحادثة عادية جدا ، رجل يتبرز ليلا في الخلاء ، وتمسك به دورية ليلية ولا تقتنع بقوله الا بعد ان تثبت لهم الحادثة بالرؤية والمعاينـــــة .

● "ماما" هي قصة حنفي وردة ، لم نستطع أن ننشرها لاسباب كثيرة ، أهمها عدم استقامة بنائها الفني . فهي تنطلق من سرد عادى ، لتتحول فجأة الى اسلوب الحوار المسرحي المباشر بين الممثلين ، وباني هذه الاسباب ضعف اللغة ، مثل "ولكنني خفت ان تدعسه سياراتهم المسرعـــة" .

نعتقد ان الصديق حنفي يتفق معنا حول ما ذهبنا اليه لو أعاد النظر في قصته ، واعاد كتابتها من جديـــــد .

Digitized by Birzeit University Library

المعجزة الكبرى

في الاسواق كتاب صادر عن دار التقدم في موسكو بعنوان "المعجزة الكبرى للكاتب السوفييتي كومياتوف ويقع الكتاب في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط، ويوضح الكتاب كيف ان الثورة الاشتراكية كانت بحاجة الى ثورة علمية هائلة كأساس للتقدم الاقتصادي والاجتماعي بالاضافة الى أن الثورة العلمية الثقافية هي ضرورة حيوية لمحاربة كل المخلفات الرجعية العفنة وبناء الانسان الجديد العصري، التقدمي، واسع الافق ،الداعي، الذي يربط ربطا وثيقا بين ذاته ومجتمعه .

ويضم الكتاب في النهاية الوثائق الاساسية للدولة السوفييتية بشأن البرمجة والتخطيط والتنفيذ للثورة التعليمية ـ الثقافية ....

الاوز البرى يقتل عند الفجر ـ الحرب السرية ضد افريقيا"

كتاب صادر عن دار النشر للاداب السياسة في موسكو للصحفي والباحث السوفييتي "بوريس اسويسان" يتحدث الكتاب عن النشاطات الاجرامية للمخابرات المركزية الامريكية في معظم بلدان افريقيا . ويتضمن الكتاب وثائق اثباتية لما تقوم به المخابرات الامريكية من الانتصارات وأعمال مشينة ضد شعوب افريقيا ..

حصار قرطاج

تونس ـ عن دار نشر محمد علي الحامي ـ صفاقس ـ تونس ـ صدرت مطولة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة حصار قرطاج، في اثنين وثلاثين صفحة من القطع الصغير، الجدير بالذكر أن الشاعر كان ألقى القصيدة المطولة هذه، في مهرجان قرطاج الدولي الذى عقد في تونس آب ١٩٨٣ .

الانتصار على الفاسية

صدر العديد من الكتب التي تعالج ظروف النضال ضد الفاشية والانتصار عليها، وصدرت هذه الكتب عن الكثير من دور النشر السوفييتية، وكان من أهمها كتاب بعنوان "النصر" في أربعة مجلدات شملت افضل ما كتبه الناثرون والشعراء والكتاب السوفييت والدول الاشتراكية الاخرى. وكتاب آخر يضم مذكرات المارشال جوكوف، والمارشال ك .روكوسوفسكي والكسندر فاسيليفسكي . وسيتم عرض هذه الكتب والكثير الكثير غيرها حول الانتصار على الفاشية في كل عواصم البلدان الاشتراكية .

المتشائل في التلفزيون

القاهرة ـ يبدأ قريبا تصوير المسلسل التلفزيوني الجديد ـ الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل ـ وقد ذكرت جريدة الاهالي المصرية أن الكاتب الفلسطيني الكبير اميل حبيبي قد انتهى من وضع السيناريو التلفزيوني لروايته الشهيرة ـ المتشائل ـ

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

54

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library